

نَهجُ السَّالِمَةِ

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضى من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام
الشيخ محمد عبده

مفاتيح الديار المصرية سابقاً

الجزء الاول

الناشر :



دار المعرفة

للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

من هو الامام علي ؟

اجتمع للامام علي بن أبي طالب من صفات الكمال ، ومحمود الشئائل ،
والخلال ، وسناء الحسب وباذخ الشرف ، مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ،
والم يتها لغيره من أفذاذ الرجال .

تحدّر من أكرم الناس ، وانتمى إلى أطيب الاعراق ، فأبوه أبو
طالب عظيم المشيخة من قريش . وجده عبد المطلب أمير مكة وسيد البطحاء
ثم هو قبل من هاشم بن هاشم وأعيانهم ، وبنو هاشم كانوا كما وصفهم
الجاحظ : « ملئح الارض ، وزينة الدنيا ، وحلى العالم ، والستام الأضخم ،
والكاهل الأعظم ، وألباب كل جنّ وهر كريم ، وسر كل عسّ وهر شريف ،
والطينة البيضاء ، والمفرس المبارك والنصاب الوثيق » ، ومعدن القيم ،
وبنبوع العلم

واختصّ بقرباته القريبة من الرسول عليه السلام ، فكان ابن عمه ،
وزوج ابنته وأحب عيترته اليه ، كما كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس الى
فصاحته . وبلاغته ، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه ، أسلم على يديه صبياً قبل
ان يمس قلبه عقيدة سابقة أو يخالط عقله شوب من شرك موروث ،
ولازمه فتياً يافعاً ، في غدوة ورواحه وسيله وحربه ، حتى تخلّق بأخلاقه ،
وانشأ بصفاته وفقهه عنه الدين ، وثقف مائزله به الروح الأمين ، فكان من
افقه أصحابه واقضاهم ، وأحفظهم وأوعاهم ، وأدقهم في الفتيا ، وأقربهم
إلى الصواب ، وحتى قال فيه عمر : لا بقيت لمعضلة ليس فيها أبو الحسن ،
وكانت حياته كلها مفعمة بالاحداث ، مليئة بجلال الامور ، فطلى عهد الرسول
عليه السلام ، فاضل المشركين واليهود ، فكان فارس الحلبة وميسر الميدان
صليب الشيع جميع القواد . ذلك هو الامام علي بن أبي طالب عليه السلام .

مقدمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمد لله سبحانه (١) النعم . والصلاة على النبي وفاء الذمم . واستمطار الرحمة على آله الاولياء ، وأصحابه الأصفياء ، عرفان الجميل وتذكّار الدليل (٢) : وبعد فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة بلا تعمل . أصبته على تغيير حال وتبليبل بال ، وتزاحم أشغال ، وعطلة من أعمال . فحسبته تسلية ، وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته ، وتأملت جملاً من عباراته . من مواضع مختلفات ، وموضوعات متفرقات . فكان يحيله إلي في كل مقام ان حروباً شتت وعارات شتت وإن للبلاغة دولة ، ولل فصاحة صولة . وإن للاوهام عرامة (٣) وللرب دعارة . وإن جحافل الخطابة ، وكتائب الذرابة ، في عقود النظام وصفوف الانتظام ، تنافع بالصفيح الأبلج (٤) والقويم الاماج . وتتلج المهبج برواضع الحجج . فتقل من دعارة الوساموس (٥) وتصيب مقاتل الخوانس . والباطل منكسر ومرج الشك في خمود (٦) وهرج الريب في ركود . وإن مدبّر تلك الدولة ، وباسل تلك الصولة ، هو حامل لوائها الغالب ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

(١) السياج : ما احيط به على شيء (٢) معرفة طريق الحق والهداية اليه .

(٣) العرمة الشراسة . والدعارة سوء الخلق . والجحافل الجيوش . والكتائب الفرق منها والذرابة حدة اللسان في فصاحة . والكلام تخيل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والاوهام . « : تنافع تضارب اشد المضاربة . والصفيح السيف والأبلج الالامع البياض . والقويم الرمح والاملاح الاسر . وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القوية المبدئة للوم وإن خفى مدرّها وتتلج اي تمتص . والمهبج دماء القلوب لا تبقي للاوهام شيئاً من مادة البقاء

« ٥ » قل الشيء لله والقوم هزمهم . والخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء

« ٦ » المرج الاضطراب . والهرج هيجان الفتنة

بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع أحس بتغير المشاهد . وتحول المعاهد
فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية . في حلق من العبارات الزاهية
تطوف على النفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصافية : توحى اليها رشادها .
وتقوم منها مرادها . وتنفر بها عن مداحض الزال . إلى جوارد الفضل والكمال .
وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة^(١) ، وأنياب كاشره . وأرواح
في أشباح التمور ، ومخالب النور . قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب
فخلبت القلوب عن هواها ، واخذت الحواطر دون رماها . واغذات فاسد
الاهواء وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن المركب
الالهي ، واتصل بالروح الانساني . فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسماه به الى الملكوت
الاعلى . وغاب به إلى مشهد النور الاجلي . وسكن به الى عمار جاذب التقديس . بعد
استخلاصه من شوائب التلبس^(٢) . وآثات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء
الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب
ويحذّرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم إلى دقاق السياسة . ويهديهم طرق الكيامة ،
ويرفعهم الى منصات الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير
ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام
سيدنا ومولانا امير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . جمع متفرقه وسماه
بهذا الاسم (نهج البلاغة) ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه . وليس في
وسمي ان أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان
مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار كما ستري في مقدمة الكتاب . ولولا أن غرائز
الجليلة ، وقواضي الذمة ، تقرر علينا عرفان الجليل لمصاحبه ، وشكر المحسن على
احسانه ، لما احتجنا الى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة ، من فنون الفصاحة .
وما خص به من وجوه البلاغة ، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام
إلا اسابه ولم يدع للفكر مبرأ إلا جابه^(٣) .

(١) باسرة : عابسة . (٢) التلبس : التخليط . (٣) جابه يحويه : خرقه ومضيه

الا أن عبارات الكتاب لبعدها منا ، واقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا قد نجد فيها عرائب الفاظ في غير وحشية ، وجزالة تركيب في غير تعقيد ، فربما وقف فهم المطالع دون الوصول الى مفهومات بعض المفردات أو مضمونات بعض الجمل . وليس ذلك ضعفاً في اللفظ أو وهناً في المعنى وإنما هو قصور في ذهن المتناول . ومن ثم همت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة والمشارفة بالكاشفة ، وأعلق على بعض مفرداته ثمرحاً وبعض جملة تفسيراً وثيء من اشاته تمييزاً ، واقفاً عند حد الحاجة مما قصدت . موجزاً في البيان ما استطعت . معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة والمعروف من صحيح الأخبار . ولم اترض لتعديل ماري عن الامام في مسألة الامامة أو تجربحه ، بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات إلى اصول المذاهب المعلومة فيها ، والاخبار المؤثرة الشاهدة عليها ، غير أنني لم أتجاش تفسير العبارة ، وتوضيح الاشارة لا اريد في وجهي هذا الا حفظ ما أذكر ، وذكر ما أحفظ . تصوناً من النسيان وتحرزاً من الحيدان^(١) . ولم أطلب من وجه الكتاب الا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام . وحسي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولن يطلع عليه من أهل اللسان العربي . وقد عني جماعة من أجلة العلماء بشرح الكتاب وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الاسرار ، وكل يقصد تأييد مذهب وتعضيد مشرب . غير أنه لم يتيسر لي ولا واحد من شروحيهم الا شذرات وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب ، فان وافقت أحدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق ، وان كنت خالفهم فالى صواب - فيما أظن - على أنني لا اعد تعليلي هذا شرحاً في عداد الشروح ، ولا أذكره كتاباً بين الكتب ، وإنما هو طراز نهج البلاغة وعلم توشى به أطرافه^(٢) .

وأرجو ان يكون فيما وضعت من وجيز البيان فائدة للشبان من اهل هذا الزمان فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب ، يتدافعون لنيل الأرب من لسان العرب . يبتغون لأنفسهم سلائق عربية وملكات لغوية ، وكل يطلب لساناً خاطباً ، وقلماً كاتباً ، لكنهم يتوَحَّون وسائل ما يطلبون في مطالعة المقامات وكتب المراسلات مما

(١) الحيدان ، كفيضان : الميل والجور . (٢) العلم ما ينصب في الطريق ليهتدي به .

كتبه المولدون . او قلدتم فيه المتأخرون . ولم يراعوا في تحريره إلا رقة الكلمات ، وتوافق الجناسات . وانسجام السجعات . وما يشبه ذلك من المحسنات اللفظية والتي وسموها بالفنون البديعة . وان كانت العبارات خلواً من المعاني الجليلة ، أو فائدة الأساليب الرفيعة .

على ان هذا النوع من الكلام بعض ما في اللسان العربي وليس كل ما فيه ، بل هذا النوع إذا نفردي بعد من ادنى طبقات القول ، وليس في حله المنوطة بأواخر الفاظه ما يردعه الى درجة الوسط . فلوانهم عدلوا الى مدرسة ماجاء عن اهل اللسان ، خصوصاً اهل الطبقة العليا منهم لأحرزوا من بغيته ما امتدت اليه اعناقهم ، واستعدت لقبوله أعراقهم . وليس في اهل هذه اللغة الا قائل بأن كلام الامام علي بن ابي طالب هو اتمرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه (ص) - وأغزره مادة وأرفعه اسلوباً واجمه لجلال المعاني .

فأجدر بالطالين لنفائس اللغة ، والطامعين في التدرج لمراقبها ان يحملوا هذا الكتاب اهم محفوظهم ، وافضل مأثورهم ، مع تفهم معانيه في الاغراض التي جاءت لأجلها وتأمل الفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها . ليصيبوا بذلك افضل غاية وينتهوا الى خير نهاية ، واسأل الله نجاح عملي واعمالهم . ونحقق املي وآمالهم .
ولنقدم للمطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب ، وطرفاً من خبره . فهو ابو الحسن محمد بن ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه . وامه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين علي بن ابي طالب رضي الله عنه . ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض وبذء اهل زمانه في العلم والادب .

قال صاحب اليتيمة هو اليوم ابدع ابناء الزمان وانجب سادات العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيّف بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع

المحامد وافر ، تولى نقابة نقباء الطالبين بعد ابيه في حياته سنة ثمانية وثمانين وثلاثمائة ، ضمت اليه مع النقابة سائر الاعمال التي كان يليها ابوه ، وهي النظر في المظالم ، والحج بالناس . وكان من سمو المقام بحيث يكتب الى الخليفة القادر بالله العباسي احمد بن المقتدر من قصيدة طويلة : نفتخر بها ويساوي نفسه بالخليفة :

عطفاً أمير المؤمنين فأننا في دوحة العلياء لانتفريق
ماينتنا يوم الفخار تفاوت^١ ابداً ، كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فأنني انا عاطل منها و انت مطوق
ويروى ان القادر قال له عند سماع هذا البيت : على رغم انفك الشريف
ومن غرر شعره فيما يقرب من هذا قوله :

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل ابداً ينازع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهم ولم أقل ضجراً : دواء الفارك^(١) التلطيق
وابتداً يقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل . قال صاحب اليتيمة ، وهو

أشعر الطالبين : من مضى منهم ومن غير - على كثرة شعرائهم المفلقين - ولو قلت انه اشعر قريش لم أبعد عن الصدق . وقال بعض واصفيه رحمه الله : كان شاعراً مفلحاً فصيح النظم ضخم الالفاظ قادراً على القريض متصرفاً في فنونه ، ان قصد الرقة في النسيب أتى بالمعجب المعجب ، وان اراد الفخامة وجزالة الالفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشق له فيه غيار ، وان قصد المرثي جاء سابقاً والشعراء منقطعة الانفاس . وكان مع هذا مترسلاً كاتباً بليغاً متين المبارات سامي المعاني . وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة ، وأجود ما جمع منه مجموع أبي حكيم الخيري ، وهو ديوان كبير يدخل في أربع مجلدات كما ذكره صاحب اليتيمة . وضمن كتاباً في معاني القرآن العظيم قالوا يتعذر وجود مثله ، وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة واصول الدين . وله كتاب في مجازات القرآن . وكان علي^١ الهمة نسمو به عزيمته الى امور عظام لم يجد من الأيام عليها مميئاً فوقفت به دونها حتى قضى . وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغا فيها الى النهاية لم يقبل من احد صلة ولا جائزة حتى انه رد صلات ابيه ! وقد اجتهد بنو بويه على قبوله صلاتهم فلم يقبل . وكان يرضى بالاكرام وضيانة الجانب واعزاز

(١) الفارك : المرأة الكارهة لزوجها .

الاتباع والاصحاب. حكى ابو حامد محمد بن محمد الاسفرائيني الفقيه الشافعي . قال : كنت يوماً عند فخر الملك ابي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضي (صاحب كلامنا الآن) ابو الحسن فأعظمه وأجل مكانه ورفع من منزلته وخلي ما كان بيده من القصص والرقاع واقبل عليه بمحادثته الى ان انصرف . ثم دخل بعد ذلك المرتضى ابو قاسم (اخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا اكرمه ذلك الاكرام وتشاغل عنه برقاع يقرأها فجلس قليلاً ثم سأله أمراً ففضاه ثم انصرف . قال ابو حامد فقلت : اصلى الله الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون وهو الامثل والأفضل منها وانما ابو الحسن شاعر . قال فقال لي اذا انصرف الناس وخلا المجلس اجبتك عن هذه المسألة . قال وكنت مجعاً على الانصراف فعرض من الامر مالم يكن في الحساب فدعت الضرورة الى ملازمة المجلس حتى تقوض الناس . وبعد ان انصرف عنه اكثر غلماؤه ولم يبق عنده غيري قال لخادم له هات الكتابين اللذين دفعتهما اليك منذ ايام وأمرتك بوضعها في السفط الفلاني ، فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضي اتصل بي انه قد ولد له ولد فأنفذت اليه الف دينار وقلت هذا للقابلة فقد جرت العادة أن يحمل الاصدقاء وذوو مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ، فردها وكتب اليّ هذا الكتاب فاقراءه ، فقرأته فاذا هو اعتذار عن الرد وفي جملته : اننا اهل بيت لا يطلع على احوالنا قابلة غريبة ، وانما عجائزنا يتولين هذا الامر من نساتنا ولسن بمن يأخذن اجرة ولا يقبلن صلة . قال فهذا هذا . وأما المرتضى فانا كنا وزعنا وقسطنا على الاملاك ببعض النواحي تقسيطاً نصره في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكاً للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمناً دينار واحد ، وقد كتب منذ ايام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقراءه وهو اكثر من مائة سطر يتضمن من الخشوع والخضوع والاستمالة والهزء والطلب والسؤال في اسقاط هذه الدراهم المذكورة ما يطول شرحه قال فخر الملك فأجها ترى اولى بالتعظيم والتبجيل : هذا العالم المتكلم الفقيه الارحند ونفسه هذه النفس ، لم ذلك الذي لم يشهر الا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ . فقلت وفق الله سيدنا الوزير والله ما وضع الامر الا في موضعه ولا أحله الا في محله .

وتوفي الرضي في المحرم سنة أربع وأربع مائة ودفن في داره بمسجد الانباريين بالكرخ ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه الى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام لأنه لم يستطع ان ينظر الى تابوته ودفنه ، وصلى عليه الوزير فخر الملك ابو غالب ، ومضى بنفسه آخر النهار الى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود الى داره . ونما رثاه به أخوه المرتضى الابيات المشهورة التي من جملتها :

ووددت لو ذهبت علي* براسي	بالرجال لفجعة جذمت يدي
فحسوتها في بعض ما انا حاسي	مازلت احذر ويردعا حتى أتت
لم ينهها مطلى وطول مكاسي	ومطلنها رميا فقامت صممت
فالدمع غير مساعد ومواسي	لا تنكروا من يمس دمعى بيرة
ولرب عُمُرٍ طال بالأدناس	لله عمرٌك من قصير طاهر

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع ان بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخفت بياباتها ، وبقيت رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحوادث ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

وطولها بيد البلي تنهب	ولقد بكيت على ربوعهم
نضوى ، ولج بمذلي الركب	فبكيت حتى شج من الغمر
عني الطلول تلفت القلب	وتلفت عيني هذا خفيت

فمر به شخص وهو يشهد لأبيات فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال لا . فقال هذه الدار لصاحب الابيات الشريف الرضي ، فمجب كلاهما من حسن الاتفاق . وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي ما لو نقصناه لطال الكلام ، وإنما عرضنا ان يلم القارى بسيرة بعض الامام . والله اعلم .

مقدمة السيد الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه . ومَعَاذاً من بلائه . وسبيلاً الى جنانه (١) وسبباً لزيادة احسانه . والصلاة على رسوله نبي الرحمة ، وامام الائمة ، ومراج الامة . المنتخب من طينة الكرم (٢) وسلالة المجد الاقدم . ومفرس الفخار المعرق (٣) وفرع العلاء المنعم المورق . وعلى أهل بيته مصاييح الظلم ، وعصم الامة (٤) ومنار الدين الواضحة ، ومثاقيل الفضل الراجحة . صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء لفضلهم (٥) ومكافأة لملهم . وكفاء لطيب فرعهم وأصلهم . ما أنار فجر ساطع وخوى نجم طالع (٦) فاني كنت في عنفوان السن (٧) ، وغضاضة الفصن ، ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم : حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام . وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً عليه السلام . وعاقبت عن اتمام بقية الكتاب

(١) في بعض النسخ ووسيلة وهو جمع وسيلة وهي ما يتقرب به . ورواية سبيلا احسن
(٢) طينة الكرم اصله وسلالة المجد فرعه (٣) الفخار قال بعضهم بالكسر ويفلظ من يقرأ بالفتح لانه مصدر فاخر ، والمصدر من فاعل الفاعل بكسر اوله ، غير انه لا يبعد ان يكون مصدر فخر . والثلاثي اذا كانت عينه او لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمح سماحاً
(٤) العصم جمع عصمة وهو ما يعتصم به : والمنار الاعلام واحداً منارة . والمثاقيل جمع مثقال وهو مقدار وزن الشيء ، لقول مثقال حبة ومثقال دينار ، فثاقيل الفضل زناؤه اي ان الفضل يعرف بهم مقداره (٥) ازاء لفضلهم أي مقابلة له (٦) حوى النجم سقط وخوت النجوم انحلت فلم تخطر كأخوت وخوت بالشدديد (٧) عنفوان السن اولها .

محاجزات الزمان^(١) ومطاللات الأيام . وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا . وفصله فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسطة . فاستحسن جماعة من الاصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائمه ومتعجبين من نواصمه^(٢) وسألوني عند ذلك ان ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومنشعبات غصونه ، من خطب وكتب ومواعظ وآداب علماء ان ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواب الكلام الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام^(٣) ولا مجموع الاطراف في كتاب . إذ كان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها^(٤) ومنشأ البلاغة ومولدها . ومنه عليه السلام ظهر مكنونها . وعنه أخذت قوانينها . وعلى أمثلته هذا كل قائل خطيب^(٥) وبكلامه استعان كل واعظ بليغ . ومع ذلك فقد سبق وقصروا . وتقدم وتأخروا . لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي^(٦) وفيه عبقة من الكلام النبوي . فأجبتهم إلى الابتداء بذلك علماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر . واعتمدت به ان أهين من عظيم قدر امير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدائرة والفضائل الجملة^(٧) . وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد^(٨) . واما كلامه فهو من البحر الذي لا يساجل^(٩) ، والجم الذي لا يحافل^(١٠) وأردت ان يسوغ لي

« ١ » محاجزات الزمان مما نضاهه ومطاللات الايام مدافعاتها ٢٠ . النواصع الخالصة ، وناصع كل شيء خالصه (٣) الثواب المضيفة ومنه الشهاب الثاقب ، ومن الكلام ما بضيء لاسمها طريق الوصول الى ما دلت عليه فيهندي بها اليه (٤) المشرع تذكير المشرعة مورد الشاربة كالشرية (٥) هذا كل قائل اقننى واتبع (٦) عليه مسحة من جمال ، اي علامة أو اثر ، وكأنه يريد بها منه وضياء . والعبقة الرائحة (٧) اعتمدت فصدت ، والدائرة بفتح فسكون الكثيرة (٨) يؤثر اي ينقل عنهم ويحكى (٩) لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء (١٠) لا يغالب في الكثرة من قولهم ضرع حافل اي ممتلئ كتب اللبن

التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق

أواملك آبائي فجئني بمنلهم إذا جمعتنا يا جرير المحامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : اولها الخطب والوامر . وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب^(١) ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب ، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ومفصلاً فيه اوراقاً لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلاً ويقع اليّ آجلاً . وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار^(٢) او جواب سؤال او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى ألبق الابواب به وأشدها ملاحة افرضه^(٣) . وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن كلم غير منتظمة ، لأنني أورد اللكت واللع ولا اقصد التتالي والنسق . ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها ان كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله بمن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حفظ له في الزهادة ولا شغل له بغير العبادة ، وقد قُبِعَ في كسر بيت^(٤) او انقطع في سفح جبل . لا يسمع إلا حسه ولا يرى إلا نفسه ولا يسكاد بوقن بأنه كلام من يتنفس في الحرب مصلاً سيفه^(٥) فيقطع الرقاب ويحذل الأبطال^(٦) ويمود به ينطف دماً ويقطر مهبجاً ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبديل الأبدال^(٧) . وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه

(١) اجمع عليه عزم ، والمحاسن جمع حسن على غير قياس (٢) بالفتح وبالكسر المحاورة (٣) الملاعة الابصار والنظر ، والمراد هنا المناسبة لان من ينظر الى شيء ويبصره كأنه يميل اليه ويلاذه (٤) قُبِعَ القنفذ كمنع ادخل رأسه في جلده ، والرجل ادخل رأسه في قبضه ، اراد منه انزوى وكسر البيت جانب الجباء ، وسفح الجبل اسفله (٥) اصلت سيفه جرده من عمده ، ويقط الرقاب يقطعها عرضاً ، فان كان القطع طولاً قيل يقد ، قال ابن عائشة : كانت ضربات على ابكاراً ان اعتلى قد وان اعترض قط ، ومنه فط التلم (٦) يحذل الابطال يلقيهم على الجدالة كسحابة وهي وجه الارض وينطف من نطف كنصر وضرب نطفاً وتناطفاً سال ، والمج جمع مهبجة وهي دم القلب والروح (٧) الابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم ، اذا مات منهم واحد ابدل الله مكانه آخر

اللطيفة التي جمع بها بين الاضداد ، وألف بين الاشتات^(١) . وكثيراً ما أذكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها . وهي موضوع للعبرة بها والفكرة فيها . وربما جاء في أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافاً شديداً . فربما اتفق الكلام المختار في رواية فنقل على وجهه ، ثم وجد بعد ذلك في رواية أخرى موضوعاً غير وضعه الأول ، أما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة ، فتقتضى الحال أن يعاد استظهارها للاختيار ، وغيره على عقائل الكلام^(٢) . وربما بعد العهد أيضاً بما اختير أولاً فأعيد بعضه سهواً أو نسياناً لا قصداً واعتاداً . ولا أدعى مع ذلك أني أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام^(٣) حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يندناد ، بل لا أبعد أن يكون القاصر عني فوق الواقع الي ، والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي^(٤) وما على الا بذل الجهد وبلاغ الوسع ، وعلى الله سبحانه نهج السبيل^(٥) ورشاد الدليل ان شاء الله

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها . ويقرب عليه طلابها . فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ، ويمضي في أثناءه من الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة^(٦) وجلاء كل شبهة . ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة . وأنجز التسديد والمعونة ، وأستعينهم من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان ، ومن زلة الكلام قبل زلة القدم . وهو حسبي ونعم الوكيل .

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره

ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحصورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة

(١) موضع العجب أن أهل الشجاعة والاقدام والمغامرة والجرأة يكونون في العادة قساة فتاكين متبردين جبارين . والغالب على أهل الزهد واعداء الدنيا وهاجرى ملاذها المشتغين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوي رقة ولين ووضف قلوب وخور طباع . وهاتان حالتان متضادتان فاجتماعهما في أمير المؤمنين كرم الله وجهه مما يوجب العجب ، فكان كرم الله وجهه أشجع الناس وأعظم اراقة للدم ، وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً وأشدهم اجتهاداً في العبادة ، وكان أكرم الناس اخلاقاً واسفرهم وجهاً وواقفهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة .

(٢) عقائل الكلام كرائمه ، وعقيلة الحى كريمته (٣) أقطار الكلام جوانبه . والناد النافر

(٤) الرقة عروحة جبل يجعل فيها رأس البهيمة (٥) نهج السبيل اباته وإيضاحه (٦) الغلة العطش ويلها ما تبل به وتروى .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

« يَذْكُرُ فِيهَا ابْتِدَاءَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ آدَمَ »

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ . وَلَا يُحْصِي نِعَمَاهُ
الْعَادُونَ . وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُذَرِّكُهُ بَعْدُ الْهَمَمُ ^(١)
وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ ^(٢) . الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ ^(٣) وَلَا نَعْتٌ
مَوْجُودٌ . وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ . فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ .
وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ . وَوَدَدَ بِالصُّخُورِ مَبْدَانَ أَرْضِهِ ^(٤) . أَوَّلَ الدِّينِ
مَعْرِفَتَهُ ^(٥) وَكَمَالَ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِّيقُ بِهِ . وَكَمَالَ التَّصَدِّيقِ بِهِ تَوْحِيدَهُ .

(١) أى ان همم النظار وأصحاب الفكر وان علت وبعدت فانها لا تدرکه تعالى ولا تحيط به علما (٢) والفتن جمع فطنة. وغوصها استغراقها في بحر المعقولات لتلتقط در الحقيقة، وهى وان أبعدت في الغوص لا تنال حقيقة الذات الاقدس (٣) فرغ من الكلام في الذات وامتناعها على العقول ادراكا، ثم هو الآن في تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة، فكل صفات الممكن لها في أثرها حد تنقطع اليه كما نجده في قدرتنا وعلمنا مثلا فان لكل طورا لا يتعداه . أما قدرة الله وعلمه فلا حد لشمولهما. وكذا يقال في باقى الصفات الكمالية، والنعت يقال لما يتغير، وصفاتنا لها نعوت. خيانتنا مثلا لها أطوار من طفولية وصبا وما بعدهما وقوة وضعف وتوسط . وقدرتنا كذلك وعلمنا له أدوار نقص وكمال وغموض ووضوح . أما صفاته تعالى فهي منزهة عن هذه النعوت وأشباهها . ثم هى أزلية أبدية لا تعد الاوقات لوجودها وانصاف ذاته بها ولا تضرب لها الآجال (٤) الميدان الحركة. ووتد بالتخفيف والتشديد أى ثبت أى سكن الارض بعد اضطرابها بما رسخ من الصخور الجامدة فى أديمها، وهو يشير الى أن الارض كانت ماثرة مضطربة قبل جودها (٥) اساس الدين معرفة الله وهو قد يعرف بأنه صانع

وَكَمَالُ تَوْجِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ . وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ . فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ . وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ ^(١) . وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ . وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ^(٢) . وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ قَالَ فِيمَ

العالم وليس منه بدون تنزيه وهي معرفة ناقصة وكما لها التصديق به ذاته بصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره وهي وجوب الوجود. ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد لأن الواجب لا يتعدد كما عرف في فن الالهيات والكلام . ولا يكمل التوحيد الا بتمحيض السر له دون ملاحظة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه اليه واستشراق نوره ، ولا يكون هذا الاخلاص كاملا حتى يكون معه نفى الصفات الظاهرة في النعيمات المشهودة في الشخصات ، لان معرفة الذات الاقدس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لامتوحداً ، فالصفات المنفية بالاخلاص صفات المصنوعين والا فللامام كلام قد ملئ بصفاته سبحانه ، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف (١) جهله أى جهل أنه منزّه عن مشابهة الماديات مقدس عن مضارعة المركبات . وهذا الجهل يستلزم القول بالتشخيص الجسماني وهو يستلزم صحة الاشارة اليه تعالى الله عن ذلك (٢) انما تشير الى شيء اذا كان منك في جهة فأنت تتوجه اليها باشارتك ، وما كان في جهة فهو منقطع عن غيرها فيكون محدوداً أى له طرف ينتهى اليه ، فن أشار اليه فقد حدّه ، ومن حد فقد عد ، أى أحصى وأحاط بذلك المحدود لأن الحد حاصر لمحدوده . واذا قلت لشيء فيم هو فقد جعلته في ضمن شيء ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه ، واذا قلت على أى شيء فانت ترى أنه مستعمل على شيء بعينه وما عداه خال منه

فَقَدْ ضَمَّنَهُ . وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ . كَأَنَّهُ لَا عَنْ حَدَثٍ ^(١)
 مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ . مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ . وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا
 بِمُزَايَلَةٍ ^(٢) . فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ . بِصِيرٍ إِذْ لَا مَتَّظُورَ إِلَيْهِ
 مِنْ خَلْقِهِ ^(٣) . مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ
 لِفَقْدِهِ ^(٤) . أَنشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً . وَأَبْتَدَأَهُ أَبْتَدَاءً . بِلَارُويَةٍ أَجَالَهَا ^(٥) . وَلَا تَجْرِبَةَ
 اسْتِفَادَهَا . وَلَا حَرَكَةً أَخْدَتْهَا . وَلَا هِمَامَةً نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا ^(٦) . أَحَالَ
 الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا ^(٧) . وَلَمْ يَنْ مُخْتَلِفَاتِهَا ^(٨) . وَغَرَزَ غَرَائِزَهَا ^(٩) . وَأَلْزَمَهَا
 أَشْبَاحَهَا ^(١٠) . عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطًا بِمُحْدُودِهَا وَأَنْتَهَائِهَا . عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا

(١) الحدث الابداء أى هو موجود لكن لا عن ابداء وابعاد موجد ، والفقرة
 الثانية لازمة لهذه لأنه ان لم يكن وجوده عن ايجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود
 بالعدم (٢) المزايلة المفارقة والمباينة (٣) أى بصير بخلقه قبل وجودهم (٤) العادة
 والعرف على أنه لا يقال متوحد الا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده
 فانفرد عنه . والله متوحد مع التنزه عن السكن (٥) الروية الفكر ، وأجالها أدارها
 ورددها . وفى نسخة أحالها بالمهمة أى صرفها (٦) همامة النفس بفتح الهاء اهتمامها
 بالأمر وقصدها اليه (٧) حوّلها من الوجود الى الوجود فى أوقاتها ، أو هو من حال فى
 متن فرسه أى وثب وأحاله غيره أوثبه ، ومن أقر الأشياء فى أحيائها صار كمن أحال غيره
 على فرسه (٨) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادى (٩) الغرائز جمع غريزة وهى
 الطبيعة . وغرز الغرائز كضوء الاضواء أى جعلها غرائز . والمراد أودع فيها طبائعها
 (١٠) الضمير فى اشباحها للغرائز . أى ألزم الغرائز أشباحها أى أشخاصها لأن كل

وَأَحْنَاهَا^(١) . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتَقَى الْأَجْوَاءَ^(٢) وَشَقَّ الْأَرْجَاءَ وَسَكَاتِكَ
الْهَوَاءَ^(٣) . فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَطِّمًا تَيَّارُهُ^(٤) ، مُتَرَاكِمًا زَخَّارُهُ . حَمَلَهُ
عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ ، وَالزَّعْزَعَ الْقَاصِفَةَ . فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ^(٥) ، وَسَلَّطَهَا
عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَّنَهَا إِلَى حَدِّهِ . الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ^(٦) ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا

مطبوع على غريزة لازمه، فالشجاع لا يكون خواراً مثلاً (١) جمع حنو بالكسر
أى الجانب، أو ما اعوج من الشيء بدنا كان أو غيره، كناية عما خفى. أو من قولهم
أحناء الامور أى مشتبهاها وقرائنها ما يقترب بها من الأحوال المتعلقة بها والصادرة
عنها (٢) ثم انشأ الخ الترتيب والتراخي في قول الامام لا فى الصنع الالهى كما لا يخفى.
والاجواء جمع جو وهو هذا الفضاء العالى بين السماء والأرض . واستفيد من كلامه
أن الفضاء مخلوق وهو مذهب قوم كما استفيد منه أن الله خلق فى الفضاء ماء حله
على متن ريج فاستقل عليها حتى صارت مكاناله ثم خلق فوق ذلك الماء ريجاً أخرى
سلطها عليه فوجته تمويجاً شديداً حتى ارتفع نخلق منه الاجرام العليا. والى هذا يذهب
قوم من الفلاسفة منهم تالس بن الاسكندرى يقولون ان الماء أى الجوهر السائل أصل كل
الاجسام كثيفها من متكانفه ولطيفها من شفافه ، والارجاء الجوانب واحدها رجا
كعصا (٣) السكائك جمع سكاكة بالضم وهى الهواء الملاقى عنان السماء وبها نحو ذؤابة
وذؤائب (٤) النيار الموج . والمتراكم ما يكون بعضه فوق بعض . والزخار الشديد الزخر
أى الامتداد والارتفاع . والريج العاصفة الشديدة الهبوب كأنها تهاك الناس بشدة هبوبها
وكذلك الزعزع كأنها تززع كل ثابت . وتقصف أى تحطم كل قائم (٥) أمرها برده
أى منعه من الهبوط لان الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوى والسقوط وسلطها على شده
أى وثاقه كأنه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة الى السفلى التى هى من لوازم طبعه .
وقرنها الى حده أى جعلها مكاناله أى جعل حد الماء المذكور وهو سطحه الاسفل مماسا
لسطح الريح التى تحمله أو أراد من الحد المنع أى جعل من لوازمها ذلك (٦) الفتيق

دَفِيقٌ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبَهَا ^(١) وَأَدَامَ مُرَبَّهَا . وَأَعْصَفَ
مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا . فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ ^(٢) ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ
الْبَحَارِ . فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السَّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ . تَرْدُ أَوَّلَهُ
إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ ^(٣) . حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامَهُ
فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَهَقٍ ^(٤) . فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا ^(٥) وَعُليَاهُنَّ سَقْفًا مُحْفُوظًا . وَسَمَكًا
مَرْفُوعًا . بَغَيْرِ عَمْدٍ يَدْعُمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا ^(٦) . ثُمَّ زَيْنَهَا بِزِينَةِ
الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ الثَّوَابِقِ ^(٧) . وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا ^(٨) ،
وَقَمَرًا مُنِيرًا . فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ ^(٩) ثُمَّ فَتَقَ

المفتوق والدفيق المدفوق (١) اعتقم مهبها جعل هبوبها عقبا . والريح العقيم التي لاتلجح
سحابا ولا شجراً وكذلك كانت هذه لانها أنشئت لانحرىك الماء ليس غير . والمرب
ميمى من أرب بالمكان مثل ألب به أى لازمه . فأدام مر بها أى ملازمتها ، أو أن أدام من
أدمت الدلو ملائتها . والمرب بكسر أوله المكان والمحل (٢) تصفيقه تحريكه وتقليبه .
ومخضته حركته بشدة كما يخض السقاء بما فيه من اللبن ليستخرج زبده . والسقاء
جلد السخلة يجذع فيكون وعاء اللبن والماء جمعه أسقية وأسقيات وأساق . وعصفت به
الحجّ الرّيح إذا عصفت بالفضاء الذى لا أجسام فيه كانت شديدة لعدم المانع وهذه الرّيح
عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذى يكون لها لو لم يكن مانع (٣) الساجى الساكن
والمائر الذى يذهب ويحجى أو المتحرك مطلقا . وعب عبابه ارتفع علاه . وركامه أنبجحه
وهضبه وما تراكم منه . بعضه على بعض (٤) المنفوق المفتوح الواسع (٥) المكفوف
المنوع من السيلان ، ويدعمها أى يسندها ويحفظها من السقوط (٦) الدسار واحد
الدسر وهى المسامير أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه (٧) الثواقب
المنيرة المشرقة (٨) مستطيرأ منتشر الضياء وهو الشمس (٩) الرقيم اسم من أسماء

مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا . فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ ^(١) مِنْهُمْ
سُجُودٌ لَا يَزْكُمُونَ ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ
وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسَامُونَ . لَا يَفْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْنِ . وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ .
وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ . وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ ،
وَالسِّنَّةُ إِلَى رُسُلِهِ ، وَخُتْلَفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ . وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ
وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ . وَمِنْهُمْ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ ،
وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ،
وَالْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ . نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ ^(٢) .

الفلک، سمي به لأنه مرقوم بالكواكب. وماثر متحرك. ويفسر الرقيم باللوح. وشبه
الفلک باللوح لانه مسطح فيما يبدو للنظر (١) جعل الملائكة أربعة أقسام : الأول
أرباب العبادة ومنهم الراكع والساجد والشاف والمسبح ، وقوله صافون أى قائمون
صفوفا لا يتزايلون أى لا يتفارقون . والقسم الثانى الأمناء على وحى الله لأنبيائه
والالسنة الناطقة فى أفواه رسله والمختلفون بالقضية الى العباد، بهم يقضى الله على من
شاء بما شاء . والقسم الثالث حفظة العباد كأنهم قوى مودعة فى أبدان البشر ونفوسهم
يحفظ الله الموصولين بها من الممالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالانسان
من السلامة . ومنهم سدة الجنان جمع سادن وهو الخادم ، والخدام يحفظ ما عهد اليه
وأقيم على خدمته . والقسم الرابع حلة العرش كأنهم القوة العامة التى أفاضها الله فى
العالم الكلى فهى الماسكة له الحافظة لكل جزء منه مركزه وحدود مسيره فى إداره
فهى المخترقة له النافذة فيه الآخذة من أعلاه الى أسفله ومن أسفله الى أعلاه . وقوله
المارقة من السماء: المروق الخروج . وقوله الخارجة من الاقطار أركانهم : الاركان الاعضاء
والجوارح . والتمثيل فى الكلام لا يخفى على أهل البصائر (٢) الضمير فى دونه للعرش

مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنَحَتِهِمْ . مَضْرُوبَةٌ يَدْنُهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبٌ
الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ . لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ . وَلَا يُجْرُونَ
عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ . وَلَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَّا كِنِ . وَلَا يُشِيرُونَ
إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ

صِفَةُ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزَنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذِيبِهَا وَسَبِيحِهَا ^(١) ،
تَرْبَةً سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ . وَلَا طَهًا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزُبَتْ ^(٢) . فَبَقِيَ مِنْهَا
صُورَةٌ ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُضُولٍ ^(٣) وَأَعْضَاءٍ وَقُصُولٍ . أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ،
وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ ^(٤) . لَوْ قَتِ مَعْدُودٍ . وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ . ثُمَّ نَفَخَ

كالضمير في تحته . ومتلفعون من تلفعت بالثوب اذا التحفت به (١) الحزن بفتح
فسكون : الغليظ الخشن والسهل ما يخالفه . والسبخ مالمح من الأرض . وأشار باختلاف
الاجزاء التي جبل منها الانسان الى أنه مركب من طباع مختلفة وفيه استعداد للخير
والشر والحسن والقيبح (٢) سن الماء صبه والمراد صب عليها أو سنها هنا بمعنى
ملسها كما قال :

ثم خاضتها الى القبة الخضر مراء تمشي في مرمر مسنون

وقوله حتى خلصت أي صارت طينة خالصة . وفي بعض النسخ حتى خضلت بتقديم
الضاد المعجمة على اللام أي ابتلت ولعلها أظهر . لاطها خلطها وعجنها أو هو من
لاط الحوض بالطين ملطه وطينه به . والبللة بالفتح من البلل . ولزب ككرم تداخل
بعضه في بعض وصلب ، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد (٣) الاحناء جمع حنو
وهو بالكسر والفتح كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحي والضلعي
أو هي الجوانب مطلقا . وجبل أي خلق (٤) أصلدها جعلها صلبة ملساء متينة . وصلصلت

فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا^(١) . وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ،
وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا^(٢) ، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا . وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ . مَعْجُونًا بِطِينَةِ
الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ^(٣) ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ . وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ
وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ . مِنْ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ . وَأُسْتَادِي
اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةُ وَدِيعَتُهُ لَدَيْهِمْ^(٤) وَعَهْدُ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ . فِي
الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ . فَقَالَ سُبْحَانَهُ اسْجُدُوا
لَا دَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أُعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشَّقْوَةُ^(٥)

يبست حتى كانت تسمع لها صاعلة اذا هبت عليها رياح وذلك هو الصلصال . واللام في
قوله لوقت متعلقة بمحذوف كأنه قال حتى يبست وجفت . مدة لوقت معلوم ، ويمكن
أن تكون متعلقة بجبل أى جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت
معدود ينتهى بيوم القيامة (١) مثل ككرم قام منتصبا . والأذهان قوى التعقل ،
ويجبلها بحركها في المعقولات (٢) يخدمها يجعلها في ما ربه وأوطاره كالخدم الذين
تستعملهم في خدمتك وتستعملهم في شؤونك . والأدوات جمع أداة وهى الآلة . وتقليبها
تحريكها في العمل بها فيما خلقت له (٣) معجوناً صفة انسانا . والالوان المختلفة
الضروب والفنون . وتلك الألوان هى التى ذكره من الحر والبرد والبله والجود

(٤) استأدى الملائكة وديعته طاب منهم أدها . والوديعة هى عهده اليهم بقوله
انى خالق بشرأ من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .
ويروى الخنوع بالنون بدل الخشوع وهو بمعنى الخضوع . وقوله فقال اسجدوا الخ
عطف على استأدى (٥) الشقوة بكسر الشين وفتحها ما حتم عليه من الشقاء . والشقاء
ضد السعادة وهو النصب الدائم والألم الملازم . وتعززه بخلقه النار استكباره . مقدار نفسه

وَتَعَزَّزَ بِخَلْقَةِ النَّارِ وَأَسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ . فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النُّظْرَةَ
أَسْتَحْقَاقًا لِلسُّخْطَةِ وَأَسْتِمَامًا لِلْبَلِيَّةِ . وَإِنْجَازًا لِلْعِدَةِ . فَقَالَ إِنَّكَ مِنَ
الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ . ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا
أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَتَهُ ، وَأَمِنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ . فَأَغْتَرَهُ
عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمَقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ ^(١) . فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ . وَأَسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلًّا ^(٢) . وَبِالْإِغْتِرَارِ نَدَمًا . ثُمَّ بَسَطَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ . وَلَقَّاهُ كَلِمَةً رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ .

بسبب أنه خلق من جوهر لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال . والصلصال الطين الحر
خلط بالرمل أو الطين ما لم يجعل خزفا . والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التي خلق
آدم عليه السلام منها . وجوهر ما خلق منه الجن - وهم من الجواهر اللطيفة - أعلى من
جوهر ما خلق منه الانسان وهو مجبول من عناصر الأرض . والنظرة بفتح
فكسر الانتظار به حيا ما دام الانسان عامراً للأرض متمتعاً بالوجود فيكون من
الشیطان في هذا الأمد ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ويكون
الله جل شأنه قد أنجز وعده في قوله انك من المنظرين الخ ^(١) اغتر آدم عدوه الشيطان
أى انتهب منه غرة فأغواه وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود
في دار المقام ومرافقته الابرار من الملائكة الأظهر ^(٢) أدخل الشيطان عليه الشك
في أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان في نهى الله له عن تناول ما يوجب له
اليقين بحظره عليه وكانت العزيمة في الوقوف عند ما أمر الله فاستبد بها الوهن الذى
أفضى الى المخالفة . والجذل بالتحريك الفرح وقد كان في راحة الامن بالاخبات الى
الله وامتنال الأمر فلما سقط في المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخوف من حلول العقوبة
وقد ذهب عنه الغرة وانتبه الى عاقبة ما اقترف فاستشعر الندم بعد الاغترار

وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ^(١)، وَتَنَاسُلِ الذَّرِّيَّةِ^(٢). وَأَصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ^(٣)، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ^(٤) فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْإِنْدَادَ مَعَهُ^(٥). وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ^(٦)، وَأَقْطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ. فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ^(٧) لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ^(٨). وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسَى نِعْمَتِهِ. وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ. وَيُثِرُّوَالَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ^(٩)

(١) أهبطه من مقام كان الإلهام الإلهي لانسحاق قواه إلى مقتضى الفطرة السليمة الأولى إلى مقر قد خلط له فيه الخير والشر واختلط له فيه الطريقان ووكل إلى نظره العقلي وابتلى بالتمييز بين النجدين واختيار أى الطريقين، وهو العناد الذى تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين (٢) تناسل الذرية من خصائص تلك المذلة الثانية التى أنزل الله فيها آدم وهو بما ابتلى به الإنسان امتحانا لقوته على التريية واقتراده على سياسة من يعولهم والقيام بحقوقهم والزاهم بتأدية ما يحق عليهم (٣) أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحى إليهم ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له أو أخذ عليهم أن لا يشعروا للناس الا ما يوحى إليهم (٤) عهد الله الى الناس هو ما شئنى يعبر عنه بميثاق الفطرة (٥) الانداد الامثال وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى (٦) اجتالتهم بالجم صرفتهم عن قصدهم الذى وجهوا اليه بالهداية المفروزة فى فطرتهم . وأصله من الدوران كأن الذى يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا (٧) واتر إليهم أنبياءه أرسلهم وبين كل نبي ومن بعده فترة لا بمعنى أرسلهم تباعا بعضهم يعقب بعضا (٨) كأن الله تعالى بما أودع فى الإنسان من الغرائز والقوى وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما أوتى من ذلك فيما خلق له وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لو لا ما اعترضه من وساوس الشهوات فبعث اليه النبيين ليطالبوا من الناس أداء ذلك الميثاق أى ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم وما ينبغي أن تسوقهم اليه غرائزهم (٩) دفائن العقول أنوار العرفان التى

وَيُرْوَاهُمُ الْآيَاتِ الْمَقْدَرَةِ مِنْ سَقْفٍ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ
مَوْضُوعٍ . وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُقْنِيهِمْ . وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ ^(١) .
وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يُخَلِّ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ ، أَوْ
كِتَابٍ مُنْزَلٍ . أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ حُجَّةٍ قَائِمَةٍ ^(٢) . رُسُلٌ لَا تَقْصُرُ بِهِمْ
قِلَّةٌ عَدَدِهِمْ . وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ . مِنْ سَابِقِ مُسَمًّى لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ،
أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مِنْ قَبْلِهِ ^(٣) . عَلَى ذَلِكَ نُسِلَتِ الْقُرُونُ ^(٤) . وَمَضَتْ
الْدُّهُورُ . وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ . وَخَلَفَتِ الْآبَاءُ . إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ ^(٥) ، وَتَمَامِ بُيُوتِهِ .
مَأْخُوذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ ، مَشْهُورَةً سَمَاتُهُ ^(٦) ، كَرِيَمًا مِيلَادُهُ . وَأَهْلُ

تُكشَفُ لِلإِنْسَانِ أَسْرَارُ الْكَائِنَاتِ وَتَرْتَفِعُ بِهِ إِلَى الْإِيقَانِ بِصَانِعِ الْمَوْجُودَاتِ وَقَدْ
يَحْجُبُ هَذِهِ الْأَنْوَارُ غَيُومٌ مِنَ الْأَوْهَامِ وَحُجُبٌ مِنَ الْخِيَالِ فَيَأْتِي النَّبِيُّونَ لِأَنَارَةِ تِلْكَ
الْمَعَارِفِ الْكَائِمَةِ وَإِبْرَازِ تِلْكَ الْأَسْرَارِ الْبَاطِنَةِ (١) السَّقْفُ الْمَرْفُوعُ السَّمَاءُ . وَالْمِهَادُ
الْمَوْضُوعُ الْأَرْضُ . وَالْأَوْصَابُ الْمَتَاعُ (٢) الْحُجَّةُ الطَّرِيقُ الْقَوِيَّةُ الْوَاضِحَةُ (٣) مِنْ
سَابِقِ بَيَانٍ لِلرَّسْلِ ، وَكَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ سَمِيَ تِلْكَ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدَهُمْ
فَبَشَّرُوا بِهِمْ كَمَا تَرَى ذَلِكَ فِي التَّوْرَةِ وَالْغَابِرِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ أَنْ يَشِيرَ بِهِ السَّابِقُ جَاءَ
مَعْرُوفًا بِتَعْرِيفٍ مِنْ قَبْلِهِ (٤) نُسِلَتِ بِالْبَنَاءِ لِلْمَجْهُولِ وَلِدَتْ . وَبِالْبَنَاءِ لِلْفَاعِلِ مَضَتْ
مُتَتَابِعَةً (٥) الضَّمِيرُ فِي عِدَّتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِإِسْرَافِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ السَّابِقِينَ . وَكَذَلِكَ الضَّمِيرُ فِي نُبُوتهِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْبَأَ بِهِ وَأَنَّهُ
سَيَبْعُتُ وَحْيًا لِأَنْبِيَائِهِ . فَهَذَا الْخَبَرُ الْغَيْبِيُّ قَبْلَ حَصُولِهِ يُسَمَّى نُبُوءَةً . وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ هُوَ
الْمُخْبِرُ بِهِ أَضِيغَتْ النُّبُوءَةُ إِلَيْهِ (٦) سَمَاتُهُ عَلَامَاتُهُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ

الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِّلٌّ مُتَفَرِّقَةٌ . وَأَهْوَالُهُ مُنْتَشِرَةٌ . وَطَوَائِفُ مُتَشَتَّةَةٌ .
 بَيْنَ مُشَبَّهِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحَدٍ فِي اسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ ^(١) . فَهَذَا هُمْ بِهِ
 مِنَ الضَّلَالَةِ . وَأَتَقَدَّمُ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ . ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ . وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا
 وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ الْبُلُوَى . فَقَبِضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
 وَخَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا . بِغَيْرِ
 طَرِيقٍ وَاضِحٍ . وَلَا عِلْمٍ قَائِمٍ ^(٢) : كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًا حَلَالَهُ
 وَحَرَامَهُ ^(٣) وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ . وَرُخْصَهُ وَعَزَائِمَهُ .
 وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ . وَغَيْرَهُ وَأَمْثَالَهُ . وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ . وَمُحْكَمَهُ

الذين بشروا به (١) الملحد في اسم الله الذي يميل به عن حقيقة مسماه فيعتقد في الله
 صفات يجب تزييه عنها . والمشير الى غيره الذي يشرك معه في التصرف الهلّا آخر
 فيعبده ويستعينه (٢) أي ان الأنبياء لم يهملوا أمهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم
 وقد كان من محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما كان منهم فانه خلف في أمته كتاب الله
 تعالى حاويا لجميع ما يحتاجون اليه في دينهم (٣) حلاله كالأكل من الطيبات ، وحرامه
 كأكل أموال الناس بالباطل ، وفرائضه كالزكاة أخت الصلاة ، وفضائله كنوافل الصدقات
 التي يعظم الأجر فيها ولا حرج في التقصير عنها ، وناسخه ما جاء قاضيا بمحو ما كان عليه
 الضالون من العقائد وأزالة السابق من الأحكام كقوله تعالى قل لا أجد فيها وحى إلى محرمات
 على طاعم يطعمه الآية . ومنسوخه ما كان حكاية عن تلك الأحكام كقوله وعلى الذين هادوا
 حرمنا كل ذي ظفر الآية . ورخصه كقوله فن اضطر في نخصة . وعزائمه كقوله ولاتأكلوا
 مما لم يذكر اسم الله عليه . وخاصه كقوله يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية ،
 وعامه كقوله يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لمدتهن . والعبر كآيات التي تخبر

وَمُتَشَابِهَهُ . مُفَسَّرًا مُجْمَلَهُ وَمُبَيَّنًا غَوَايِضَهُ . يَبَيِّنُ مَا خُذَ مِثْقَالٍ فِي عِلْمِهِ
وَمُوسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ . وَيَبَيِّنُ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضَهُ ، وَمَعْلُومٍ
فِي السُّنَّةِ نَسْخَهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذَهُ ، وَمُرْخَصٍ فِي الْكِتَابِ
تَرْكُهُ . وَيَبَيِّنُ وَاجِبَ بَوَاقِيهِ . وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ . وَمُبَيِّنٌ بَيْنَ مُحَارِمِهِ ^(١)
مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدَعَلَيْهِ نَيْرَانَهُ . أَوْ صَغِيرٍ أَرَصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ . وَيَبَيِّنُ مَقْبُولٍ
فِي أَذْنَاهُ مُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ ^(٢) .

عما أصاب الأمم الماضية من النكال ونزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا
طرق الظلم والعدوان . والأمثال كقوله ضرب الله مثلا عبداً مملوكاً الآية . وقوله كمثل
الذي استوقد ناراً وأشياء ذلك كثير . والمرسل المطلق . والمحدود المقيد . والمحكم كآيات
الأحكام والأخبار الصريحة في معانيها . والمتشابه كقوله يد الله فوق أيديهم . والموسع
على العباد في جهله كالخروف المفتحة بها السور نحو ألم والزر . والمثبت في الكتاب
فرضه مع بيان السنة لنسخه كالصلاة فإنها فرضت على الذين من قبلنا غير أن السنة
بينت لنا الهيئته التي اختصنا الله بها وكلفنا أن نؤدى الصلاة بها ، فالفرض في الكتاب .
وتبيين نسخه لما كان قبله في السنة ، والمرخص في الكتاب تركه ما لم يكن منصوصاً
على عينه . بل ذكر في الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله فاقروا ما ينسر منه وقد عينته
السنة بسورة مخصوصة في كل ركعة فوجب الأخذ بما عينته السنة ولو بقينا عند مجمل
الكتاب كان لنا أن نقرأ في الصلاة غير الفاتحة جوازاً لامتواخذة معه . والواجب بوقته
الزائل في مستقبله كصوم رمضان يجب في جزء من السنة ولا يجب في غيره .

(١) ومباين بين محارمه بالرفع لا بالجر خبر لمبتدا محذوف أى والكتاب قد خوف
بين المحارم التي حظرها ففنها كبير أوعده عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس ، ومنها صغير
أرصد له غفرانه كالنظرة بشهوة ونحوها (٢) رجوع الى تقسيم الكتاب . والقبول في
أذناه الموسع في أقصاه كما في كفارة اليمين يقبل فيها اطعام عشرة مساكين . وموسع

(مِنْهَا ذَكَرَ فِي الْحَجِّ) وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِي
 جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرُدُّونَهُ وَرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلُؤْلُوهَ الْحَمَامِ ^(١)
 جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عِلَامَةً لِّتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ . وَاخْتَارَ مِنْ
 خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ . وَصَدَقُوا كَلِمَتَهُ . وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ
 أَنْبِيَائِهِ . وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ . الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحَرِّزُونَ الْأَرْبَابَ فِي
 مَتَجَرِّ عِبَادَتِهِ . وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ . جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا وَالْعَالَمِينَ حَرَمًا . فَرَضَ حَجَّهُ وَأَوْجَبَ حَقَّهُ وَكَتَبَ
 عَلَيْكُمْ وَفَادَتَهُ ^(٢) فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ
 إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ بَعْدَ أَنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ ^(٣)

أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَامًا لِنِعْمَتِهِ . وَأَسْتِثْلَامًا لِعِزَّتِهِ . وَأَسْتِعْصَامًا مِنْ
 مَعْصِيَتِهِ . وَأَسْتَعِينَهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ . وَلَا يَتَلُ
 مَنْ عَادَاهُ ^(٤) وَلَا يَفْتَرِقُ مَنْ كَفَاهُ . فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وَزَنَ ^(٥) وَأَفْضَلُ مَا

فِي كَسْوَتِهِمْ وَعَتَقَى الرِّقَبَةَ (١) يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ أَيْ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ أَوْ يَلُودُونَ بِهِ وَيَعْكُفُونَ
 عَلَيْهِ (٢) الْوَفَادَةُ الزِّيَارَةُ .

(٣) صَفِّينَ كَسَجِينِ مَحَلَّةٌ عِدهَا الْجُغَرَاوِيُّونَ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ (مَا بَيْنَ الْفِرَاتِ
 وَالِدَّجْلَةِ) وَالْمُؤَرَّخُونَ مِنَ الْعَرَبِ عِدُّوْهَا مِنْ أَرْضِ سُورِيَا وَهِيَ الْيَوْمَ فِي وَلايَةِ حَلَبَ
 الشَّهْبَاءِ وَهَذِهِ الْوَلَايَةُ كَانَتْ مِنْ أَعْمَالِ سُورِيَا (٤) وَأَلْ يَتَلُ خَلَصَ (٥) الضَّمِيرُ فِي قَاتِهِ

خُزِنَ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . شَهَادَةٌ مُتَّحِنًا
إِخْلَاصُهَا . مُعْتَقِدًا مُصَاصُهَا ^(١) نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا . وَنَدْخِرُهَا
لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا ^(٢) فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ . وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ وَمَرْصَاةُ
الرَّحْمَنِ . وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ ^(٣) وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ
بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ . وَالْعِلْمِ الْمَأْثُورِ ^(٤) وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ . وَالنُّورِ
السَّاطِعِ . وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ . وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ . إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ .
وَأَحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ . وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ . وَتَخْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ ^(٥) وَالنَّاسُ فِي
قِتْنٍ أَنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ ^(٦) وَتَرَعَزَّتْ سَوَارِي الْيَقِينِ ^(٧) وَاخْتَلَفَ
النَّجْرُ ^(٨) وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ . وَصَاقَ الْمَخْرُجُ وَعَمَى الْمَصْدَرُ ^(٩) فَالْهَدَى
خَامِلٌ وَالْعَمَى شَامِلٌ . عُصِيَ الرَّحْمَنُ . وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ . وَخُذِلَ الْإِيمَانُ

للحمد المفهوم من أحده (١) مصاص كل شيء خالصه (٢) الاهاويل جمع أهوال
جمع هول فهي جمع الجنع (٣) مدحرة الشيطان أى تبعده وتطرده (٤) العلم بالتحريك
ما يهتدى به وهو هنا الشريعة الحقة. والمأثور المنقول عنه (٥) المثلات بفتح فضم
العقوبات جمع مثلة بضم التاء وسكونها بعد الميم وجعلها مثولات ومثلات وقد تسكن
تاء الجمع تخفيفا (٦) انجذم انقطع (٧) السوارى جمع سارية العمود والدعامة
(٨) النجر بفتح النون وسكون الجيم الأصل أى اختلفت الاصول فكل يرجع الى
أصل يظنه مرجع حق وما هو من الملق في شئ (٩) مصادرهم فى أوهاهم وأهوائهم
مجهولة غير معلومة خفية غير ظاهرة فلا عن ينعينعتقدون ولا الى غاية صالحة ينزعون

فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ^(١)، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ^(٢)، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ^(٣)، وَعَفَتْ
شُرُكُهُ. أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكَوا مَسَالِكَهُ. وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ^(٤) بِهِمْ
سَارَتْ أَعْلَامُهُ. وَقَامَ لَوَاؤُهُ فِي قَتْنٍ دَاسْتَهُمْ بِأَخْفَافِهَا. وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا^(٥)
وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا. فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي
خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ^(٦). نَوْمُهُمْ سُهْوٌ وَكُلُّهُمْ دُمُوعٌ. بِأَرْضٍ عَالِمُهَا
مُلْجَمٌ وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ (وَمِنْهَا يَعْنِي آلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)
مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ^(٧) وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ^(٨) وَمَوْتِلُ حِكْمِهِ وَكُفُوفُ

(١) انهيارت هوت وسقطت. والدعائم جمع دعامة وهي ما يستند اليه الشيء ويقوم عليه. ودعامة السقف مثلاً ما يرتفع عليه من الأعمدة (٢) التنكر التغير من حال تسر الى حال تسكره أى تبدلت علامانه وآثاره بما أعقب السوء وجلب المكروه (٣) درست كاند درست أى انظمست، والشرك قال بعضهم جمع شراك ككتاب وهي الطريق والذي يفهم من القاموس أنها بفتحات جوادة الطريق أو مالا يخفى عليك ولا يستجمع لك من الطرق، اسم جمع لا مفرد له من لفظه. وعفت بمعنى درست (٤) المناهل جمع منهل وهو مورد الشاربة من النهر (٥) الاظلاف جمع ظلف بالكسر للبقر والشاء وشبههما كاخلف للبعير والقدم للانسان، السنايك جمع سنبك كقنفذ طرف الحافر (٦) خير دار هي مكة المكرمة. وشر الجيران عبدة الاوثان من قريش. وقوله نومهم سهود الخ كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة فهم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع. والعالم ملجم لانه لو قال حقاً والجمهور على الباطل لا تتأشوه ونهشوه والجاهل مكرم لانه على شاكاة العامة مشايخ لهم في أهوائهم فنزلته عندهم منزلة أو هامهم وعاداتهم وهي في المقام الاعلى من نفوسهم. وهذه الأوصاف كلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ (٧) اللجأ محركة الملاذ وما تلجئ اليه كالوزر محركة ما تعصم به (٨) العيبة بالفتح الوعاء. والموتل المرجع أى أن حكمه وشرعه يرجع

كُتِبَ . وَجِبَالُ دِينِهِ . بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِمَادَ فَرَائِصِهِ ^(١) .
 (وَمِنْهَا لَعْنِي قَوْمًا آخَرِينَ) زَرَعُوا الْفُجُورَ : وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ . وَحَصَدُوا
 الثُّبُورَ ^(٢) لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ
 وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا . هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ . وَعِمَادُ
 الْيَقِينِ . إِلَيْهِمْ يَفِيءُ النَّالِي . وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي ^(٣) وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ
 الْوِلَايَةِ . وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ . الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ ^(٤)
 وَتَقِلَّ إِلَى مُنْتَقَلِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّقِيقِيَّةِ ^(٥)

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ ^(٦) وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ

اليهم وهم حفاظ كتبه يحوونها كما تحوى الكهوف والغيران ما يكون فيها . والكتب
 القرآن، وجعه لأنه فيها حواء كجملته ما تقدمه من الكتب ويزيد عليها ما خص الله
 به هذه الأمة (١) كنى بانحناء الظهر عن الضعف وباقامته عن القوة وبهم آمنه من
 الخوف الذى ترعد منه الفرائص (٢) جعل ما فعلوا من القبائح كزراع زرعوه
 وما سكنت اليه نفوسهم من الامهال واغترارهم بذلك بمنزلة السقي فان الغرور يبعث على
 مداومة التبيح والزيادة فيه ثم كانت عاقبة أسرهم هذا الثبور وهو الهلاك (٣) يريد
 أن سيرتهم صراط الدين المستقيم فمن غلا فى دينه وتجاوز بالافراط حدود الحادة فانما
 نجاته بالرجوع الى سيرة آل النبي ونفيؤ ظلال أعلامهم . وقوله وبهم يلحق التالى
 يقصد به أن المقصر فى عمله المتباطىء فى سيره الذى أصبح وقد سبقه السابقون إنما
 يتسنى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبي ويحذو حذوهم (٤) الآن ظرف متعلق براجع
 واذا زائدة التوكيد، سوغ ذلك ابن هشام فى نقله عن أبى عبيدة أو أن اذلت تحقيق بمعنى
 قد كما نقله بعض النحاة (٥) لقوله فيها انها شقيقة هدرت ثم قرئت كما يأتى (٦) الضمير

مِنَ الرَّحَى . يَنْحَدِرُ غَنَى السَّيْلِ^(١) وَلَا يَرْقَى إِلَى الطَّيْرِ . فَسَدَلْتُ دُونَهَا
ثُوبًا^(٢) وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا . وَطَفِقْتُ أَرْتَايَ بَيْنَ أَنْ أَصُولَ يَدِ جَذَاءٍ^(٣)
أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ^(٤) يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ . وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ .
وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ^(٥) . فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا
أَحْجَى^(٦) فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى . وَفِي الْخُلُقِ شَجَا^(٧) أَرَى تَرَانِي نَهْبًا

يرجع الى الخلافة . وفلان كناية عن الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه
(١) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقر به من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى
غيره من فيض الفضل فأنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالى فيصيب
منه من شاء الله وعلى ذلك قوله ولا يرقى الخ غير أن الثانية أبلغ من الأولى في
الدلالة على الرفعة (٢) فسدت الخ كناية عن غض نظره عنها . وسدل الثوب أرخاه .
وطوى عنها كشحاً مال عنها . وهو مثل لأن من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد
ملأه فهو قد جاع عن الخلافة أى لم يلتزمها (٣) وطفقت الخ بيان لعللة الاغضاء .
والجذاء بالجيم والذال المعجمة والذال المهملة ، وبالحاء المهملة مع الذال المعجمة بمعنى
المقطوعة ويقولون رحم جذاء أى لم توصل وسن جذاء أى متهمته ، والمراد هنا
ليس ما يؤيدها كأنه قال تفكرت فى الأمر فوجدت الصبر أولى فسدت دونها ثوباً
وطويت عنها كشحاً (٤) طخية بطاء نفاء بعدهاياء ويثث أولها أى ظلمة . ونسبة العمى
اليها مجاز عقلى . وأنما يعمى القائمون فيها اذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام
الحال واسودادها (٥) يكدح يسعى سعى المجهود (٦) أحجى أُلزم من حجى به كرضى
أولع به ولزمه ومنه هو حجى بكذا أى جدير وما أحجاء ، وأحجج به أى أخلق به .
وأصله من الحجا بمعنى العقل فهو أحجى أى أقرب إلى العقل . وهاتا بمعنى هذه أى
رأى الصبر على هذه الحلة التى وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير (٧) الشجا
ما اعترض فى الحق من عظم ونحوه . والترات الميراث

حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَذَلَّنِي بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ ^(١) (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ
الْأَعَشَى)

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ ^(٢)
فَيَا عَجَبًا يَنَنَّا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ ^(٣) إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ

(١) أدلى بها ألقى بها إليه .
(٢) الكور بالضم الرحل أو هو مع أداته . والضمير راجع إلى الناقة المذكورة في
الآيات قبل في قوله .

وقد أسلى الهم إذ يعتري بحسرة دوسرة عاقر
والجسر العظيم من الابل . والدوسرة الناقة الضخمة . وحيان كان سيداً في بني حنيفة
مطاعاً فيهم وكان ذا حظوة عند ملوك فارس وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة وكان
الأعشى ينادمه . والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصيرميمون
ابن قيس بن جندل . وأول القصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر النافض الأوتار والواتر
وجابر أخو حيان أصغر منه ، ومعنى البيت أن فرقاً بعيداً بين يومه في سفره
وهو على كور ناقتة وبين يوم حيان في رفايته فإن الأول كثير العناء شديد الشقاء
والثاني وافر النعيم وافي الراحة ويتلو هذا البيت آيات منها :

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر ما يجعل الجد الظنون الذي
جنب صوب اللجب الماطر مثل الفرائي إذا ما طما بقذف بالبوصى والماهر
(المجدل كمنبر القصر . والجد بضم أوله البئر القليلة الماء . والظنون البئر لا يدري أفيها
ماء أم لا . واللجب المراد منه السحاب لاضطرابه ونحركه . والفرائي الفرات . وزيادة
الباء للمبالغة . والبوصى ضرب من السفن معرب بوزي والماهر الساجح المجيد) ووجه
تمثل الامام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل (٣) روي أن أبا بكر قال بعد البيعة أقيلوني فلست
بخيركم . وأنكر الجمهور هذه الرواية عنه والمعروف عنه ولست بخيركم .

لَشَدَّ مَا تَشْطَرَا نَرْعِيهَا^(١) فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَفْلُظُ كَلَامُهَا^(٢)
وَيَخْشَنُ مَشْهَاهَا . وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا . وَالْإِعْثَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا
كَرَّا كِبِ الصَّعْبَةِ^(٣) إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ . وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ
النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ^(٤) وَتَلَوْنٍ وَأَعْتِرَاضٍ . فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ
الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْحِنَةِ . حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ . جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي

(١) لشد ما تشطرا ضرعيها جلة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين ، فالفاء في
فصيرها عطف على عقدها . وتشطرا مسند الى ضمير التثنية وضرعيها نثنية ضرع وهو
للحيوانات مثل الثدي للمرأة . قالوا ان للناقة في ضرعيها شطرين كل خلفين شطر
ويقال شطر بنافته تشطيراً صر خلفين وترك خلفين . والشطرا أيضاً ان تحلب شطراً
وتترك شطراً ، فنشطرا أى اخذ كل منهما شطراً ، سمي شطري الضرع ضرعين مجازاً
وهو هنا من أبلغ أنواعه حيث ان من ولى الخلاقة لا ينال الأمر الا تاماً ولا يجوز
أن يترك منه لغيره سهماً ، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطير
والاقتسام كأن أحدهما ترك منه شيئاً للآخر ، واطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً
لحقيقة ما نال كل (٢) الكلام بالضم الأرض الغليظة . وفي نسخه كلها وانما هو بمعنى
الجرح ، كأنه يقول خشوتها تجرح جرحاً غليظاً (٣) الصعبة من الابل ما ليست
بنلول . واشنق البعير وشنقه كفه بزمامه حتى ألصق ذفره (العظم الثانى خلف الاذن)
بقادمة الرجل أو رفع رأسه وهو راكبه واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس .
وأسلس أرخى . وتقحّم رعى بنفسه فى القحمة أى الهلكة . وسيأتى معنى هذه العبارة
فى الكتاب . وراكب الصعبة اما أن يشنقها فيخرم أنفها واما أن يسلس لها فترمى به
فى مهواة تكون فيها هلكته (٤) منى الناس ابتلوا وأصيبوا . والشماس بالكسر اباء
ظهر الفرس عن الركوب والنفار . والخبط السير على غير جادة . والتلون التبديل
والاعتراض السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عرضاً فى حال سيره طولاً . يقال بعير

أَحَدُهُمْ فَيَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى^(١) مَتَى أُعْتَرِضَ الرَّيْبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى

عرضي يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته ، وفي فلان عرضية أى عجرفة وصعوبة (١) اجمال القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره الى ربه استشار فيمن يوليه الخلافة من بعده فأشير عليه بابنه عبدالله فقال لا يليها (أى الخلافة) اثنان من ولد الخطاب حسب عمر ما حل ، ثم رأى أن يكل الأمر إلى ستة قال ان النبي ﷺ مات وهو راض عنهم ، واليهم بعد التشاور أن يعينوا واحداً منهم يقوم بأمر المسلمين ، والستة رجال الشورى هم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم ، وكان سعد من بنى عم عبدالرحمن كلاهما من بنى زهرة وكان في نفسه شيء من على كرم الله وجهه من قبل أخواله لان أمه حنّة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعل في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور . وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط كانت أختا لعثمان من أمه ، وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر وقد يكفى في ميله الى عثمان انحرافه عن على لأنه تيمى وقد كان بين بنى هاشم وبنى تيمم مواجد لمكان الخلافة في أبى بكر ، وبعد موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا وانضم طلحة في الرأى الى عثمان والزبير الى على وسعد الى عبد الرحمن وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام وأن لا يأتى الرابع إلا ولهم أمير ، وقال اذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذى فيه عبد الرحمن فأقبل عبد الرحمن على على وقال عليك عهد الله وميثاقه لنعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده فقال على أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمى وطاقتى ، ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك فأجابه بنعم ، فرفع عبدالرحمن رأسه الى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال اللهم اسمع واشهد اللهم انى جعلت ما فى رقبتي من ذلك فى رقة عثمان وصفق بيده فى يد عثمان وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه . قالوا وخرج الامام على واجداً ، فقال المقداد بن الاسود لعبد الرحمن والله لقد تركت عليا وانه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، فقال يا مقصداد لقد

صِرْتُ أَفْرَنْ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ^(١) لَكِنِّي أَسْفَقْتُ إِذْ أَسْفَوْتُ^(٢) وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا . فَصَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضَنْفِهِ^(٣) وَمَالَ الْآخَرُ لِصِهْرِهِ^(٤) مَعَ هَنٍ وَهَنٍ^(٥) إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ^(٦) بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ . وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ خَضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّيْسِ^(٧) إِلَى أَنْ أُتِكَتْ قَتْلُهُ . وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ^(٨) وَكَبَتْ بِهِ بَطْنَتُهُ^(٩) فَمَارَعَانِي

تقصيت الجهد للمسلمين . فقال المقداد والله اني لا عجب من قريش انهم تركوا رجلا ما أقول ولا أعلم أن رجلا أقضى بالحق ولا أعلم به منه، فقال عبد الرحمن يا مقداد اني أخشى عليك الفتنة فاتق الله . ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أثار به على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روى أنه قيل لعبد الرحمن هذا عمل يدبك، فقال ما كنت أظن هذا به ولكن لله على أن لا أكله أبداً، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل ان عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول الى الحائط لا يكلمه . والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء (١) المشابه بعضهم بعضا دونه (٢) أسف الطائر دنا من الأرض يريد أنه لم يخالفهم في شيء (٣) صغى صغى وصفا صغوا مال ، والضغن الضغينة يشير الى سعد (٤) يشير الى عبد الرحمن (٥) يشير الى أغراض أخرى ذكرها (٦) يشير الى عثمان وكان ثالثا بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد الى صاحبه كما تراه في خبر القضية . وناجيا حضيته رافعا لها، والحضن ما بين الابط والسكشح . يقال للتكبر جاء ناجيا حضيته . ويقال مثله لمن امتلاء بطنه طعاما ، والنثيل الروث ، والمعتلف من مادة علف موضع العلف وهو معروف أى لا هم له الا ما ذكر (٧) الخضم على ما في القاموس الاكل أو بأقصى الاضرار أو ملء القم بالما كول أو خاص بالشيء الرطب . والقضم الاكل بأطراف الاسنان أخف من الخضم ، والنبتة بكسر النون كالنبتات في معناه (٨) اتسكت قتله اتقض . وأجهز عليه عمله تم قتله . تقول أجهزت على الجريح وذفت عليه (٩) البطنة بالسكسر البطر والاشر

إِلَّا وَالنَّاسُ كَمُرْفِ الضَّبْعِ إِلَى^(١) يَنْثَالُونَ عَلَى مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . حَتَّى
لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانِ . وَشَقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرِيضَةِ الْغَنَمِ^(٢)
فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ^(٣)
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ . (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بَلَى وَاللَّهِ
لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا . وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ^(٤) وَرَأَتْهُمْ
زَبْرَجُهَا . أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ . وَبَرَأَ النَّسَمَةَ^(٥) لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ^(٦)
وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقَارُؤَا عَلَى
كِطَّةٍ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبٍ مَظْلُومٍ^(٧)

والكظة (أى التخمة) والاسراف فى السبع . وكبت به من كبا الجواد اذا سقط لوجهه
(١) عرف الضبع ماكثر على عنقها من الشعر وهو تخين يضرب به المثل فى الكثرة
والازدحام ، وينثالون يتتابعون مزدجين . والحسنان ولداه الحسن والحسين ، وشق
عطفاه خدش جانباه من الاصطكاك . وفى رواية شق عطافى والعطاف الرداء وكان
هذا الازدحام لاجل البيعة على الخلافة (٢) ربيعة الغنم الطائفة الراضة من الغنم يصف
ازدحامهم حوله وجشومهم بين يديه (٣) الناكثة أصحاب الجمل ، والمارقة أصحاب النهروان
والقاسطون أى الجائرون أصحاب صفين (٤) حليت الدنيا من حليت المرأة اذا
تزينت بحليها ، والزبرج الزينة من وشى أو جوهر (٥) النسمة محركة الروح ، وبرأها
خلقها (٦) من حضر لبيعته ولزوم البيعة لزمة الامام بحضوره (٧) والناصر الجيش
الذى يستعين به على الزام الخارجين بالدخول فى البيعة الصحيحة . والكظة مايعترى
الآكل من امتلاء البطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق ، والسغب شدة الجوع

لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا^(١) وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسٍ أَوَّلِهَا . وَلَا لَفَيْتُمْ
دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ^(٢) (قَالُوا) وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ
مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ^(٣) عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاقَلَهُ
كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ . قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ لَوْ أَطْرَدْتَ خُطْبَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ . فَقَالَ هِيَئَاتِ
يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ^(٤) هَدَرْتُ ثُمَّ قَرَأَتْ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَوَاللَّهِ
مَا أَصِفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفَى عَلَى هَذَا الْكَلَامِ أَنْ لَا يَكُونَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ (قَوْلُهُ كَرَا كِبِ الصَّعْبَةِ
إِنْ أَشْنَقَ لَهَا حَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ) يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا شَدَّدَ عَلَيْهَا فِي
جَذْبِ الزِّمَامِ وَهِيَ تُنَازِعُهُ رَأْسَهَا حَرَمَ أَنْفَهَا وَإِنْ أَرْخَى لَهَا شَيْئًا مَعَ
صُعُوبَتِهَا تَقَحَّمَتْ بِهِ فَلَمْ يَسْلِكْهَا . يُقَالُ أَشْنَقَ النَّاقَةَ إِذَا جَذَبَ رَأْسَهَا

والمراد منه هضم حقوقه (١) الغارب الكاهل والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر
(٢) عطفة العنز ما تنثره من أنفها كالعطفة ، عطفلت تعفظ من باب ضرب ، غير أن
أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة ، والاشهر في العنز النعجة بالنون ، يقال ما له عافط
ولا نافط أى نعجة ولا عنز ، كما يقال ما له ثاغية ولا راغية ، والعطفة الحبقة أيضا لكن
الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم (٣) السواد العراق وسمى سواداً لخضرته
بالزرع والاشجار . والعرب تسمى الاخضر أسود قال الله تعالى «مدهامتان» يريد الخضرة
كما هو ظاهر (٤) الشقشقة بسكون فسكون فكسر شىء كالرثة يخرج البعير من فيه
إذا هاج ، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير ، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة ، قال

بِالزَّمَامِ فَرَفَعَهُ وَشَنَقَهَا أَيْضًا ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ السُّكَيْتِ فِي إِصْلَاحِ
الْمَنْطِقِ . وَإِنَّمَا قَالَ أَشْنَقَ لَهَا وَلَمْ يَقُلْ أَشْنَقَهَا لِأَنَّهُ جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ
قَوْلِهِ أَسْلَسَ لَهَا فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ إِنْ رَفَعَ لَهَا رَأْسَهَا بِمَعْنَى
أَمْسَكَهُ عَلَيْهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَنَّا أَهْتَدَيْتُمْ فِي الظُّلُمَاءِ . وَتَسَنَّمْتُمُ الْعُلِيَاءَ ^(١) وَبَنَّا أَنْفَجَرْتُمْ عَنْ
السَّرَارِ . وَقِرَ سَمِعْتُمْ لَمْ يَفْقَهُ الْوَاعِيَةَ ^(٢) وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبَأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ
الصَّيْحَةُ ^(٣) . رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ ^(٤) مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ

في القاموس : والخطبة الشقشقة العلوية وهي هذه (١) تسنمتم العليا ركنتم سنامها
وارتقيتم الى أعلاها ، والسرار كسحاب وكتاب آخر ليلة من الشهر يختفى فيها
القمر . وانفجرت دخلتم في الفجر . والمراد كنتم في ظلام حالكم وهو ظلام الشرك
والضلال فصرتم الى ضياء ساطع بهدايتنا وارشادنا والضمير لمحمد صلى الله عليه وآله
والامام ابن عمه ونصيره في دعوته . ويروى أخرجتم بدل انفجرت وهو أفصح وأوضح
لأن الفعل لا يأتي لغير المطاوعة الا نادرا . أما أفعل فيأتي لصيرورة الشيء الى حال
لم يكن عليها كقولهم أجرب الرجل اذا صارت ابله جربى وأمثاله كثير (٢) الواعية
الصاخة ، والصارخة والصراخ نفسه . والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة الأثر . ووقرت
اذنه فهي موقورة ووقرت كسمعت صمت . دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر
والعبر (٣) الصيحة هنا الصوت الشديد ، والنبأأة أراد منها الصوت الخفى ، أى من
أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكن أن يسمع النبأأة فيراعيها . ويشير بالصيحة الى
زواجر كتاب الله ومقال رسوله ، وبالنبأأة الى ما يكون منه رضى الله عنه وقد رأينا هذا
أقرب مما أشرنا اليه في الطبعة السابقة (٤) ربط جأشسه رباطة اشتد قلبه ، ومثله رباطة

الْغَدْرِ . وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُعْتَرِينَ^(١) سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ^(٢)
وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النَّيَّةِ . أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ
الْمُضَلَّةِ^(٣) ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ . وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِهُونَ^(٤) . الْيَوْمَ
أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ ذَاتَ الْإِيَّانِ^(٥) غَرَبَ رَأْيُ أُمْرِي تَخْلَفَ عَنِّي^(٦)
مَا شَكَّكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ . لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ^(٧) أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَالِ وَدَوَلِ الضَّلَالِ . الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا
عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ

الجنان أى القلب وهو دعاء للقلب الذى لازمه الخفقان والاضطراب خوفاً من الله بأن
يُثبت ويستمسك (١) ينتظر بهم الغدر يترقب غدوهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور
والغفلة وأنهم لا يميزون بين الحق والباطل ولهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه الى
من ليس له من الحق على مثل حاله . والحليّة هنا الصفة (٢) جلباب الدين ما لسوءه من
رسومه الظاهرة ، أى أن الذى عصمكم منى هو ما ظهرتم به من الدين وان كان صدق
نيتي قد بصرنى ببواطن أحوالكم وما تكنه صدوركم . وصاحب القلب الطاهر تنفذ
فراسته الى سرائر النفوس فتستخرجها (٣) المضلة بكسر الضاد وفتحها الأرض يضل
سالكها ، وللضلال طرق كثيرة لأن كل ما جار عن الحق فهو باطل ، وللحق طريق
واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال ، لهذا قال أقمت لكم على سنن الحق وهو
طريقه الواضح فيما بين جواد المضلة وطرقها المتشعبة حيث يلاقى بعضكم بعضاً وكلكم
تأهون فلا فائدة فى التفائلكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل
(٤) تميهون تجدون ماء من أماءوا أركيتهم أنبطوا ماءها ، أو تستقون من أماءوا دواهم
سقوها (٥) أراد من العجباء رموزه وإشاراته فانها وان كانت غامضة على من لا بصيرة
لهم لكنها جلية ظاهرة (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) لهذا سماها ذات
الإيوان مع أنها عجباء (٦) غرب غاب ، أى لا رأى ان تخلف عني ولم يطعننى (٧) يتأسى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَاطَبَهُ
الْعَبَّاسُ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ فِي أَنْ يُبَايَعَا لَهُ بِاخْتِلَافَةٍ

أَيُّهَا النَّاسُ شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النِّجَاةِ . وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ
الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا عَنْ تَيْجَانِ الْمُفَاخَرَةِ ^(١) . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِمِجْنَاحٍ . أَوْ
اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ ^(٢) هَذَا مَاءُ آجِنٍ ^(٣) . وَلُقْمَةٌ يَفْصُ بِهَا آكِلُهَا . وَمُجْتَنِي
الثَّمَرَةِ لِيُغَيِّرَ وَقْتَ إِيْنَاعِهَا كَالزَّارِعِ بغيرِ أَرْضِهِ ^(٤) فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا حَرَصَ
عَلَى الْمُلْكِ . وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ ^(٥) هِيَئَاتَ بَعْدَ

موسى عليه السلام اذ رموه بالخيفة ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون فانه لا يخاف
على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل كما كان من نبي الله موسى ، وهو أحسن
تفسير لقوله تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى) وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك
في أمره (١) قلب قصد به المبالغة . والقصد وضعوا تيجان المفاخرة عن رؤوسكم
وكأنه يقول طأطأوا رؤوسكم تواضعا ولا ترفعوها بالمناخرة الى حيث تصيبها تيجانها ،
ويروى وضعوا تيجان المفاخرة بدون لفظ عن وهو ظاهر . وعرج عن الطريق مال
عنه وتنسكه (٢) المفلح أحد رجلين اما ناهض الامر بمجنح أى بناصر ومعين يصل
بمعونته الى ما نهض اليه ، واما مستسلم يريح الناس من المنازعة بلا طائل وذلك عند
عدم الناصر ، وهذا ينحو نحو قول عنتره لما قيل له انك أشجع العرب فقال لست
بأشجعهم ولكني أقدم اذا كان الاقدام عزما وأحجم اذا كان الاحجام حزما (٣)
الآجن المتغير الطعم واللون لا يستساغ ، والاشارة الى الخلافة ، أى ان الامرة على الناس
والولاية على شئونهم مما لا يهنا لصاحبه بل ذلك أمر يشبه تناوله تناول الآجن
ولا تحمد عواقبه كاللقمة يفص بها آكلها فيموت بها (٤) يشير الى أن ذلك لم يكن
الوقت الذى يسوغ فيه طلب الأمر فلو نهض اليه كان كمجتني الثمرة قبل ايناها
ونضجها وهو لا ينتفع بما جنى ، كما أن الزارع في غير أرضه لا ينتفع بما زرع (٥) ان

الَّتِي وَالَّتِي^(١) وَاللَّهُ لَا بُدَّ لِي أَنْ أَطْلُبَ النَّاسَ بِالْمَوْتِ مِنَ الْفُطْلِ بِشَدَى
أُمِّهِ . بَلِ أَنْدَجْتُ عَلَى مَكُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِأُضْطَرَّبْتُمْ أَضْطَرَابَ
الْأَرْضِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ^(٢) .

وَمِنْ كَلَامِهِ لَمَّا أُشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَتَّبِعَ طَلْعَةَ وَالزَّيْدَ وَلَا يَرْصُدَ لِهَمَّا الْقِتَالَ^(٣)
وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ الدَّمِ^(٤) . . . حَتَّى يَصِلَ
إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَحْتَلِهَا رَاصِدُهَا . وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ
عَنْهُ . وَبِالسَّامِعِ الْبُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ أَبَدًا . حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى يَوْمِي

تسكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده بالحرص على السلطان وان سكت
وهم يعلمونه أهلا للخلافة يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقه (١) أى بعد ظن
من يرمينى بالجزع بعد ما ركب الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها . قيل ان
رجلا تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقى بعشرتها ثم طلقها وتزوج أخرى طويلة فكان
شقاؤه بها أشد فطلقها وقال لا أتزوج بعد المتيا والتي يشير بالاولى الى الصغيرة وبالثانية
الى الكبيرة فصارت مثلا فى الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها . وقوله هيهات الخ
نفى لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته (٢) أدبجه لغه فى ثوب
فاندسج، أى انطويت على علم والتفتت عليه . والأرشيّة جمع رشاء بمعنى الحبل، والطوى
جمع طوية وهى البئر، والبعيدة بمعنى العميقة ، أو هى بفتح الطاء كعلى، بمعنى السقاء
ويكون البعيدة نعنا سببها أى البعيدة مقرها من البئر أو نسبة البعد إليها فى العبارة
مجاز عقلى (٣) يرصد يترب أو هو ر باعى من الارصاد بمعنى الاعداد، أى ولا يعد لها
القتال (٤) الدم الضرب بشىء ثقيل يسمع صوته . قال أبو عبيد يأتى صائد الضبع
فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضربا غير شديد وذلك هو الدم ثم يقول
خامرى أم عسر بصوت ضعيف يكررها مرارا فتنام الضبع على ذلك فيجمل فى
عرقوبها حبلا ويخرجها ، وخامرى أى استترى فى جحره ويقال خامر

فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّ مُسْتَأْثَرًا عَلَى مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمَ النَّاسِ هَذَا

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَاكًا^(١) ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرًا كَا .
فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ^(٢) . وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ^(٣) . فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ
وَنَاطَقَ بِالسِّنِّتِهِمْ . فَكَبَّ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخُطْلَ^(٤) . فَعَلَ مَنْ
قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَاطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ .

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْنِي بِهِ الزُّبَيْرُ فِي حَالٍ اقْتَضَتْ ذَلِكَ)
يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَاعَ يَدَيْهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ . فَقَدْ أَتَرَ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى
الْوَلِيجَةَ^(٥) فَلَيَّاتَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرِفُ . وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرَعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ . وَلَسْنَا نُرْعِدُ

الرجل منزله إذا لزمه (١) ملاك الشئ بالفتح ويكسر قوامه الذي يملك به . والأشراك جمع شريك كشريف وأشرف فجعلهم شركاءه أو جمع شرك وهو ما يصاد به فكأنهم آلة الشيطان في الاضلال (٢) باض وفرخ كناية عن توطئه صدورهم وطول مكثه فيها، لأن الطائر لا يبيض إلا في عشه . وفراخ الشيطان وساوسه (٣) دب ودرج الخ أي أنه تربى في حجورهم كما يربي الأطفال في حجور والديهم حتى بلغ فتوته وملك قوته (٤) الخطل أقبح الخطأ . والزلل الغلط والخطأ (٥) الوليعة الدخيلة وما يضر في

حَتَّى تُورِقَ^(١) . وَلَا نَسِيلٌ حَتَّى تُمَطَّرَ :

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ جِزْبَهُ . وَأَسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَرَجُلَهُ . وَإِنَّ
مَعِيَ لِبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبْسَ عَلَى . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَا أَفْرِطَنَّ
لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ^(٢) لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ^(٣)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ
لَمَّا أَعْطَاهُ الرَّايَةَ يَوْمَ الْجَمَلِ

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُ . عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ^(٤) . أَعْرِ اللَّهَ جُجْمَتَكَ . تَدُ
فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ^(٥) . أَرِمَ بِيَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ . وَغَضَّ بِصْرِكَ^(٦) وَأَعْلَمَ

القلب ويحكم، والبطانة (١) إذا أوقعنا بمدو أو وعدنا آخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه،
وإذا أمطرنا أسلنا، أما أولئك الذين يقولون نفعل ونفعل وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من
يسيل قبل المطر وهو محال غير موجود فهم كالإعدام فيما به يوعدون (٢) أفرطه
ملأه حتى فاض . والماتح من متح الماء نزعه أي أنا نازع مائه من البئر فمالى به
الحوض وهو حوض البلاء والفناء ، أو أنا الذى أسقيهم منه (٣) أى أنهم سيردون
الحرب فيموتون عندها ولا يصدرون عنها ومن نجا منهم فلن يعود إليها (٤) النواجد
أقصى الأضراس أو كلها أو الأنياب والناجد واحد . قيل إذا عض الرجل على أسنانه
اشتدت أعصاب رأسه وعظامه ولهذا يوصى به عند الشدة ليقوى ، والصحيح أن ذلك
كسناية عن الحية فإن من عادة الإنسان إذا حى واشتد غيظه على عدوه عض على
أسنانه . وأعر أمر من أعار ، أى ابذل ججمتك لله تعالى . كما يبذل المعير ماله للمستعير
(٥) أى ثبتها من وتديته (٦) أرم يبصرك أى أحط بجميع حركاتهم وغض

أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ
أَنْ أَخِي فَلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ . فَقَالَ
لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْوَى أَخِيكَ مَعْنَاهُ^(١) فَقَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَقَدْ شَهِدْنَا . وَلَقَدْ
شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ،
سَيَرَّغُ بِهِمُ الزَّمَانُ^(٢) وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ . وَاتَّبَاعَ الْبَهِيمَةِ^(٣) . رَغَا فَأَجَبْتُمْ . وَعَقَرَ

النظر عما يخيفك منهم أى لا يهولك منهم هائل (١) هوى أخيك أى ميله ومحبته
(٢) يرعف بهم أى سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالرعا فأتى بهم على غير
انتظار (٣) يريد الجمل ، ومجمل القصة أن طلحة والزبير بعدما بايعا أمير المؤمنين فارقاه
في المدينة وأتيا مكة مغاضبين ، فالتقيا بعائشة زوج النبي ﷺ فسألتهما الأخبار فتمثلا
أنا نحملنا هربا من غوغاء العرب بالمدينة وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً
ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم ، فقالت تنهض الى هذه الغوغاء أو نأتى الشام .
فقال أحد الحاضرين لا حاجة لكم في الشام قد كفاكم أمرها معاوية فلنأت البصرة
فان لاهلها هوى مع طلحة ، فعزموا على المسير وجهزهم يعلى بن منه وكان والياً لعثمان
على اليمن وعزله على كرم الله وجهه وأعطى للسيدة عائشة جلاً اسمه عيسكر ونادى منادياها
في الناس بطلب نأر عثمان فاجتمع نحو ثلاثة آلاف فسارت فيهم الى البصرة وبلغ

فَهَرَبْتُمْ . أَخْلَقْتُكُمْ دِقَاقٌ^(١) وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ،
وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ^(٢) . وَالْمَقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهِنٌ بِذَنْبِهِ ، وَالشَّائِخُ
عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ . كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُؤٍ سَفِينَةٍ^(٣)
قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضَمَنِهَا .
(وَفِي رِوَايَةٍ) وَإِنَّمِ اللَّهُ لَتَغْرِقَنَّ بِلَدَّتْكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا
كَجَوْجُؤٍ سَفِينَةٍ . أَوْ نِعَامَةٍ جَائِمَةٍ^(٤) . (وَفِي رِوَايَةٍ) كَجَوْجُؤٍ طَيْرٍ فِي
لُجَّةٍ بَحْرٍ . (وَفِي رِوَايَةٍ) أُخْرَى بِلَادُكُمْ أَنْتُنَّ بِلَادِ اللَّهِ تُرَبَّةٌ . أَقْرَبُهَا
مِنَ الْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ . وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ . الْمُحْتَبَسُ فِيهَا
بِذَنْبِهِ وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللَّهِ . كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرَيْتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَقَهَا
الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شَرْفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جَوْجُؤٌ طَيْرٍ فِي لُجَّةٍ بَحْرٍ

الخبر عايفاً وسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة فلم ينجح النصح . فتجهز لهم وأدركهم
بالبصرة وبعد محاولات كثيرة منه يبني بها حقن الدماء انتشبت الحرب بين الفريقين
واشتد القتال ، وكان الجبل يعسوب البصريين قتل دونه خلق كثير من الفئتين
وأخذ خطامه سبعون قرشياً ما نجا منهم أحد وانهت الموقعة بنصر على كرم الله
وجهه بعد عقر الجبل . وفيها قتل طلحة والزبير وقتل سبعة عشر ألفاً من أصحاب الجبل
وكانوا ثلاثين ألفاً . وقتل من أصحاب على ألف وسبعون (١) دقة الأخلاق دناءتها
(٢) مالح (٣) الجوجؤ الصدر (٤) من جثم اذا وقع على صدره أو تلبد بالأرض . وقد
وقع ما أوعده به أمير المؤمنين فقد غرقت البصرة جاءها الماء من بحر فارس من جهة
الموضع المعروف بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ولم يبق ظاهراً

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ . بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ . خَفَّتْ عُقُولُكُمْ
وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ . فَأَنْتُمْ غَرَضُ لِنَابِلٍ ^(١) ، وَأُكْلَةٌ لِكَلٍّ ، وَقَرِيسَةٌ
لِصَائِلٍ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا رَدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ
مِنْ قَطَائِعِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢)

وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَمَلَكَ بِهِ الْإِمَاءَ لَرَدَدْتُهُ فَإِنْ
فِي الْعَدْلِ سَعَةً ، وَمَنْ صَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقُ ^(٣) .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بَوَّعَ بِالْمَدِينَةِ

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً ^(٤) . وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . إِنْ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعَبْرُ

منها الا مسجدُها الجامع ، ومعنى قوله أبعدُها من السماء أنها في أرض منخفضة
والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع (١) الغرض
ما ينصب ليرمي بالسهم . والنابيل الضارب بالنبل (٢) قطائع عثمان ما منحه للناس من
الاراضى (٣) أى أن من عجز عن تدبير أمره بالعدل فهو عن التدبير بالجور أشد
عجزاً، فان الجور مظنة أن يقاوم ويصد عنه ، وهذه الخطبة رواها الكلبى مرفوعة
الى أبى صالح عن ابن عباس ان علياً خطب ثانى يوم من بيعته فى المدينة فقال: الا
ان كل قطعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود فى بيت المال، فان
الحق القديم لا يبطله شئ، ولو وجدته قد تزوج الح (٤) الذمة العهد تقول هذا الحق فى

عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْأَمْثَلَاتِ ^(١) حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَعُّمِ الشُّبُهَاتِ . أَلَا
وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ ^(٢) وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلِلُنَّ بِدَبْلَةٍ . وَلَتُغْرَبُنَّ غَرْبَةً . وَلَتَسْأَلُنَّ
سَوْطَ الْقَدْرِ ^(٣) حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ .
وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَرُوا . وَلَيَقْصُرَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا سَبَقُوا ^(٤) .

نعمنى كما تقول فى عنقى وذلك كناية عن الضمان والالتزام . والزعيم الكفيل . يريد
أنه ضامن لصدق ما يقول كفىلى بأنه الحق الذى لا يدافع (١) العبر بكسر ففتح جمع
عبرة بمعنى الموعظة ، والأمثلات العقوبات ، أى من كشف له النظر فى أحوال من سبق
بين يديه وحقق له الاعتبار والانعاط أن العقوبات التى نزلت بالأمم والأجيال والأفراد
من ضعف وذل وفاقة وسوء حال إنما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان وما لبسوا من
جهل وفساد أحوال ملكته التقوى وهى التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات
لأهلها فنعته عن تقعّم الشبهات والتردى فيها ، فإن الشبهة مظنة الخطيئة والخطيئة مجلبة
العقوبة (٢) ان بلية العرب التى كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمداً ﷺ هى
بلية الفرقة ومحنة الشتات حيث كانوا متباعضين متنافرين يدعوا كل الى عصبية
وينادى نداء عشيرته يضرب بعضهم رقاب بعض ، فتلك الحالة التى هى مهلكة الأمم
قد صاروا اليها بعد مقتل عثمان ، بعثت العداوات التى كان قد قتلها الدين ، ونفخت
روح الشحناء بين الأمويين والهاشميين واتباع كل ولا حول ولا قوة الا بالله
(٣) لتبليبلن أى لتخلطن . من نحو تبليبات الألسن اختلطت ، ولتغربلن أى لتقطعن من
غربلت اللحم أى قطعته وتساطن من السوط وهو أن تجعل شيتين فى الاناء وتضر بهما
بيدك حتى يخلطا . وقوله سوط القدر أى كما تختلط الأبرار ونحوها فى القدر عند
غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ، وكل ذلك حكاية عما يؤولون اليه من
الاختلاف وتقطع الارحام وفساد النظام (٤) ولقد سبق معاوية الى مقام الخلافة وقد
كان فى قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله اليه ، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه

وَاللّٰهُ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً^(١) وَلَا كَذَبْتُ كَذِبَةً . وَلَقَدْ بُنِيتُ بِهَذَا الْمَقَامِ
وَهَذَا الْيَوْمِ . أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ
لُجْمُهَا فَتَقَحَّصَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ^(٢) . أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ حُمِلَ عَلَيْهَا
أَهْلُهَا وَأَعْطُوا أَرْزَمَتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ . وَلِكُلِّ أَهْلٍ^(٣)
فَلَنُيِّنَ أَمْرَ الْبَاطِلِ لَدَيْمًا فَعَلَّ . وَلَنُيِّنَ قَلَّ الْحَقِّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ . وَلَقَلَّمَا
أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ^(٤) . أَقُولُ إِنَّ فِي هَذَا الْكَلَامِ الْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ

وقد كانوا أسبق الناس اليه (١) الوشمة الكلمة وقد كان رضى الله عنه لا يكتم شيئا يحكك بنفسه ، كان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر لا يحاي ولا يدارى ولا يكذب ولا يداجى ، وهذا القسم توطئة لقوله ولقد بنيت بهذا المقام أى انه قد أخبر من قبل على لسان النبي ﷺ بأن سيقوم هذا المقام ويأتى عليه يوم مثل هذا اليوم (٢) الشمس بضمين وضم فسكون جمع شمس وهى من شمس كنصر أى منع ظهره أن يركب، وفاعل الخطيئة انما يقتربها لغاية زينت له يطلب الوصول اليها فهو شبهه براكب فرس يجريه الى غايته ، لكن الخطايا ليست الى الغايات بطايات فانها اعتساف عن السبيل واختباط فى السير، لهذا شبهها بالخيول الشمس التى قد خلعت لجمها لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه الى حيث ترديه وتتقخم به فى النار . وتشبيه التقوى بالمطايا الدليل ظاهر فان التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة فصاحبها على الجادة لا يزال عليها حتى يوافي الغاية والدليل جمع ذلول وهى المروضة الطائعة الساسة القياد (٣) أى ان ما يمكن أن يكون عليه الانسان ينحصر فى أمرين الحق والباطل ولا يخلو العالم منهما، ولكل من الأمرين أهل ، فلحق أقوام وللباطل أقوام . ولئن أمر الباطل أى كثر بكثرة أعوانه فلقد كان منه قديما لأن البصائر الزائفة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها . ولئن كان الحق قليلا بقلة أنصاره فلربما غلبت قلة كثرة الباطل ولعله يقهر الباطل ويمحقه (٤) هذه الكلمة صادرة

الْإِحْسَانِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ الْإِسْتِحْسَانِ. وَإِنَّ حَظَّ الْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ
مِنْ حَظِّ الْعَجَبِ بِهِ وَفِيهِ مَعَ الْحَالِ الَّتِي وَصَفْنَا زَوَائِدَ مِنَ الْفَصَاحَةِ لَا
يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ. وَلَا يَطْلُعُ فَجَّهًا إِنْسَانٌ^(١). وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا
مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحَقٍّ. وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ^(٢). (وَمَا
يَمَقْلَهُمَا إِلَّا الْعَالِمُونَ).

وَمِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ

شُغِلَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَمَامَهُ^(٣) سَاعَ سَرِيعٍ نَجْمًا^(٤) وَطَالِبٌ بَطِيءٌ

من ضجر بنفسه يستبعد بها أن تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم ومن هذا المعنى قول الشاعر .

وقالوا يعود الماء في النهر بعدما ذوى نبت جنبه وجف المشارع
فقلت الى أن يرجع النهر جاريا ويوشب جنباه يموت الضفادع
(١) لا يطلع من قولهم اطلع الأرض أى بلغها ، والفج الطريق الواسع بين
جبلين في قبل من أحدهما (٢) العرق الأصل أى سلك في العمل بصناعة الفصاحة
والصدور عن ملكتها على أصولها وقواعدها (٣) شغل مبنى للمجهول نائب فاعله
من الجنة والنار مبتدا خبره أمامه. والجلة صلة من أى كفى شاغلا أن تكون الجنة
والنار أمامك. ومن كانت أمامه الجنة والنار على ما وصف الله سبحانه خرى به أن تنفذ
أوقاته جميعها في الاعداد للجنة والابتعاد عما عساه يؤدي الى النار (٤) يقسم الناس
الى ثلاثة أقسام الأول الساعى الى ما عند الله السريع في سعيه وهو الواقف عند حدود
الشرعية لا يشغله فرضها عن نفلها ولا شاقها عن سهلها والثانى الطالب البطيء له
قلب تعمه الخشية وله صلة الى الطاعة لكن ربما قعد به عن السابقين ميل الى الراحة
فيكتفى من العمل بفرضه وربما انتظر به غير وقته وينال من الرخص حظه وربما

رَجَا وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى. الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ. وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى
هِيَ الْجَادَةُ^(١). عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ. وَمِنْهَا مَنْفَذُ السَّنَةِ
وَالِیْهَا مَصِیْدُ الْعَاقِبَةِ. هَلَكَ مَنْ أَدْعَى وَخَابَ مَنْ أَفْتَرَى. مَنْ أَبْدَى
صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ^(٢) وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. لَا يَهْلِكُ
عَلَى التَّقْوَى سَنَخٌ أَصْلٍ^(٣). وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعٌ قَوِيمٌ. فَاسْتَتَرُوا
بِیُّوتِكُمْ. وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ. وَالتَّوْبَةُ مِنْ رَرَائِكُمْ وَلَا يَحْمَدُ
حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَكْفُرُ إِلَّا نَفْسُهُ

كانت له هفوات وشهوات نزوات على أنه رجع إلى ربه كثير الندم على ذنبه فذلك
الذي خلط عمله بسالحا وآخر سينافه ويرجو أن يغفر له والقسم الثالث المقصر وهو
الذي حفظ الرسم ولبس الاسم وقال بلسانه انه مؤمن وربما شارك الناس فيما يأتون
من أعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابههما وظن أن ذلك كل ما يطلب منه ثم لا تورده
شهواته من هذا الغيب منه ولا يميل به هواه الى أمر الا انتهى الىه فذلك عبد الهوى
وجدير به أن تكون في النار هوى (١) اليمين والشمال مثال لما زاغ عن جادة الشريعة.
والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة. ثم أخذ يبين أن الجادة والطريق الوسطى
وهي سبيل السجادة جاء الكتاب هاديا اليها والسنة لا تنفذ الا منها فن خالف الكتاب
ونبذ السنة فادعى أنه على الجادة فقد كذب ولهذا يقول خاب من ادعى أى من
ادعى دعوة مكتوب فيها ولم يكن عنده مما يدعيه الا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل
عن الجادة (٢) الرواية الصحيحة هكذا من أبدى صفحته للحق هلك أى من كاشف
الحق مخاصمه له وصارحاً له بالعداوة هلك ويروى من أبدى صفحته للحق هلك عند
جهلة الناس وعلى هذه الرواية يكون المعنى من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم
وهم أعوان الباطل فهلك (٣) السنخ المثبت يقال ثبتت السن في سنخها أى منبتها،
والأصل لكل شيء قاعدته وما قام عليه بقيته فأصل الجبل مثل أسفله الذى يقوم عليه

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ مَنْ يَتَصَدَّى
لِلْحُكَمَاءِ الْأُمَّةِ وَلَيْسَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ

إِنَّ أُنْمَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ^(١)
فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامٍ بِدْعَةٍ . وَدُعَاءُ ضَلَالَةٍ . فَهُوَ
فِتْنَةٌ لِمَنْ أَفْتَتَنَ بِهِ . ضَالٌّ عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ . مُضِلٌّ لِمَنْ أَقْتَدَى
بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ . سَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ . رَهْنٌ بِمُخْطِئَتِهِ ^(٢) وَرَجُلٌ
قَشَّ جَهْلًا ^(٣) .

أعلاه ، وأصل النبات جذره الذاهب في منبته ، وهلاك السنخ فساده حتى لا يثبت
فيه أصول ما اتصل به ولا ينمو غرس غرس فيه ، وكل عمل ذهب أصوله في أسناخ
التقوى كان جديراً بأن تثبت أصوله وتنمو فروعه ويزكو بزكاء منبته ومغرس أصله
وهو التقوى وكما أن التقوى سنخ لأصول الأعمال كذلك منها تستمد الأعمال غذاءها
وتستقي مادها من الاخلاص وجدير بزرع يستقي بماء التقوى أن لا يظلمأ وعليها في
الموضعين في معنى معها ، وقد يقال في قوله سنخ أصل أنه هو على نحو قول القائل
إذا خاض عينه كرى النوم ، والكرى هو النوم ، والسنخ هو الأصل ، والأليق
بكلام الامام ما قدمناه (١) وكلمه الله الى نفسه تركه ونفسه وهو كناية عن ذهابه
خلف هواه فيما يعتقد لا يرجع الى حقيقة من الدين ولا يهتدى بدليل من الكتاب ،
فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته ، والمشغوف بشيء المولع به وكلام البدعة
ما اخترعته الاهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين (٢) هذا الضال المولع بتتبع
الكلام لتزيين البدعة الداعي الى الضلالة قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن
بمخطئته لا يخرج له منها وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم
بدعائه كما قال تعالى وليحمان أنفاهم وأنفالا مع أنفاهم (٣) قش جهلا جمعه والجهل

مَوْضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ ^(١) عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ . عَمٌّ بِمَا فِي عِقْدِ
الْهُدْنَةِ ^(٢) قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ . بَكَرَ فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمِيعِ
مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ^(٣) حَتَّى إِذَا أُرْتَوَى مِنْ آجِنٍ . وَأَكْتَزَرَ مِنْ
غَيْرِ طَائِرٍ ^(٤) . جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا . ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا أَلْتَبَسَ عَلَى

هنا بمعنى المجهول وكما يسمى المعلوم علما بل قال قوم ان العلم هو صورة الشيء في العقل وهو المعلوم حقيقة كذلك يسمى المجهول جهلا بل الصورة التي اعتبرت مثالا لشيء وليست بمنطبقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق فالجهل المجموع هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعوها تحكى واقعا ولا واقع لها (١) موضع في جهال الأمة مسرع فيهم بالغش والتغرير وضع البعير أسرع وأوضعه راكبه فهو موضع به أى مسرع به ، وقوله عاد في أغباش الفتنة الاغباش الظلمات واحدها غبش بالتحريك واغباش الليل بقايا ظلمته . وعاد بمعنى مسرع في مشيته أى أنه ينتهز افتتاح الناس بجهالهم وعماهم في فتنهم فيعدو الى غايته من التصدر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما يظنه الجهلة علما وليس به . ويروى غار في أغباش الفتنة من غره يغره اذا غشه وهو ظاهر (٢) عم وصف من العمى أى جاهل بما أودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح ، وقد يراد بالهدنة امهال الله له في العقوبة واملاؤه في أخذه ولو عقل ما هبأ الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه وأوغل في النظر لفهم دقائقه ونصح الله ورسوله والمؤمنين (٣) بكر بادر الى الجمع كالجداد في عمله يبكر اليه من أول النهار فاستكثر أى احتاز كثيراً من جمع بالتنوين أى مجموع قلبه خبر من كثيره ان جعلت ما موصولة فان جعلتها مصدرية كان المعنى قلته خبر من كثيرته ، ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية أى من جمع شيء قلته خبر من كثيرته (٤) الماء الآجن الفاسد المتغير الطعم واللون شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات وهى تشبه العلم في أنها صور قائمة بالذهن فكأنها من نوعه كما أن الآجن من نوع الماء لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويطفىء من الأوار والآجن يجلب العلة ويفضى

غَيْرِهِ^(١) . فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَأَ لَهَا حَشَوًا رَثًا مِنْ رَأْيِهِ
ثُمَّ قَطَعَ بِهِ^(٢) . فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسِجِ الْعَنْكَبُوتِ^(٣) .
لَا يَذَرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ . وَإِنْ
أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ . جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَالَاتٍ . عَاشٍ رَكَّابُ
عَشَوَاتٍ^(٤) لَمْ يَعْصَ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ^(٥) يَذَرِي الرُّوَايَاتِ إِذْرَاءَ
الرَّيِّحِ الْهَشِيمِ^(٦) . لَا مَلِيٍّ وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ . وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا

بشاربه الى البوار . واكتنزأى عدماجعه كنزاً وهو غير طائل أى دون خسيس
(١) التخليص التبيين ، والنبس على غيره اشتبه عليه (٢) المبهمات المشكلات لأنها
أبهمت عن البيان كالأصامت الذى لم يجعل على ما فى نفسه دليلاً ومنه قيل لما لا ينطق
من الحيوان بهيمة ، والحنو الزائد لا فائدة فيه ، والرث الخلق البالى ضد الجديد أى
أنه يلاقى المبهمات برأى ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئاً بل هو حشو لا فائدة له فى
تبينها ثم يزعم بذلك أنه يبينها (٣) الجاهل بشئ ليس على بينة منه فإذا أثبتته عرضت
له الشبهة فى نفيه وإذا نفاه عرضت له الشبهة فى اثباته فهو فى ضعف حكمه فى مثل
نسج العنكبوت ضعفاً ولا بصيرة له فى وجوه الخطأ والالاصابة فإذا حكم لم يقطع بأنه
مصيب أو مخطئ ، وقد جاء الامام فى تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبير عنه (٤) خباط
صيغة مبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى ، ومنه خبط عشواء . وشبه
الجهالات بالظلمات التى يخبط فيها السائر وأشار الى التشبيه بالخبط . والعاشى الأعمى
أو ضعيف البصر أو الخابط فى الظلام فيكون كالتأكيد لما قبله ، والعشوات جمع عشوة
مثلثة الأول وهى ركوب الأمر على غير هدى (٥) من عادة عاجم العود أى محتبره
ليعلم صلابته من لينه أن يعضه فانهذا ضرب المثل فى الخبرة ، بالعض بضرس قاطع أى
أنه لم يأخذ العلم اختباراً بل تناوله كما سول الوهم وصور الخيال ولم يعرض على محض
الخبرة ليتبين أحق هو أم باطل (٦) الهشيم ما يبس من النبت ونفتت . وأذرته الريح

فَوْضَ إِلَيْهِ^(١) . لَا يَحْسَبُ الْعِلْمُ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ * وَلَا يَرَى أَنَّ
مِنْ وَرَاءَ مَا بَلَغَ مَذْهَبًا لغيرِهِ . وَإِنْ أَظْلَمَ أَنْزُرُ أَكْتَمَ بِهِ^(٢) لِمَا يَعْلَمُ
مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ . تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءُ . وَتَعِجُ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ^(٣)
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَالًا^(٤) . وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا لَيْسَ
فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبُورُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ^(٥) . وَلَا سِلْعَةٌ
أَنْفَقُ يَبْعًا وَلَا أَغْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلَا
عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْأَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي الْفِتْيَا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا

أذراء أطارته ففرقة و يروى تذرو الروايات كما تذرو الريح الهشيم وهي أفصح قال
الله تعالى (فأصبح هشيا تذروه الرياح) وكما أن الريح في جل الهشيم وتبديده لا تنبأ
بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل في الروايات ما تفعل الريح بالهشيم
(١) الملى بالقضاء من يحسنه ويجيد القيام عليه وهذا لا ملى بأصدار القضايا التي
ترد عليه وأرجاعها عنه مفصولا فيها النزاع مقطوعا فيها الحكم أى غير قيم بذلك
ولا غناء فيه لهذا الأمر الذى تصدر له وروى ابن قتيبة بعد قوله لا ملى والله بأصدار
ما ورد عليه (ولا أهل لما قرظ به) أى مدح به بدل ولا هو أهل لما فوض اليه
(٢) اكتم به أى كتمه وستره (٣) العيج رفع الصوت وصراخ الدماء وعج الموارث
تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور (٤) الى الله متعلق بأشكوا . وفي رواية اسقاط لفظ
أشكوا فيكون الى الله متعلقا بتعج ، وقوله من معشر يشير الى أولئك الذين قسوا
جهلا (٥) تلى حق تلاوته أخذ على وجهه وما يدل عليه جلته وفهم كما كان النبي

بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ثُمَّ
يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ^(١) فَيَصَوِّبُ آرَاءَهُمْ
جَمِيعًا وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَ هُمُ اللَّهُ تَعَالَى
بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ. أَمْ نَهَا هُمُ عَنْهُ فَمَعَصَوْهُ. أَمْ أُنْزَلَ اللَّهُ دِينًا نَاقِصًا
فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ. أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ. فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ
أَنْ يَرْضَى أَمْ أُنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهَ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ
شَيْءٍ) فِيهِ تَبَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ
بَعْضًا وَأَنَّهُ لَا اِخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ
لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ^(٢). وَبَاطِنُهُ
عَمِيقٌ. لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ
إِلَّا بِهِ

وأصحابه عليهم السلام يفهمونه ، وأبور من بارت السلعة كسدت ، وأنفق من النفاق بالفتح
وهو الرواج وما أشبه حال هذا المعشر بالمعشر من أهل هذا الزمان (١) الامام الذي
استقضاهم الخليفة الذي ولاهم القضاء (٢) أنيق حسن معجب ، وآتقى الشيء
أعجبني

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَلَى مَنبَرِ الْكُوفَةِ يَخْطُبُ فَنَضَى فِي بَعْضِ
كَلَامِهِ شَيْءٌ أَغْتَرَضَهُ الْأَشْعَثُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ عَلَيْكَ
لَالَكَ ^(١) فَخَفَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ فَقَالَ

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَى مِمَّا لِي عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ . حَائِكَ
ابْنُ حَائِكَ ^(٢) مُنَافِقُ بْنُ كَافِرٍ ^(٣) وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ
أُخْرَى ^(٤) . فَمَا فَذَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسْبُكَ وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ

(١) كان أمير المؤمنين يتكلم في أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال
نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد فصق باحدى يديه على
الأخرى وقال هذا جزاء من ترك المفيدة فقال الأشعث ما قال وأمير المؤمنين يريد
هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتم وأجأتموني لقبول الحكومة (٢) قيل ان
الحائكين أنقص الناس عقلا وأهل اليمن يعيرون بالحياكة ، والأشعث يبنى من
كندة قال خالد بن صفوان في ذم اليمانيين . ليس فيهم الا حائك برد أو دابغ جلد
أو سائس فرد ملكتهم امرأة وأغرقتهم فأرة ودن عليهم هدهد (٣) كان الأشعث
في أصحاب علي كعب الله بن أبي ابن سأل في أصحاب رسول الله ﷺ كل منهما
رأس النفاق في زمنه (٤) أسرمريتين مرة وهو كافر في بعض حروب الجاهلية وذلك
أن قبيلة مراد قتلت قيسا الاشج أبا الأشعث فخرج الأشعث طالبا بثأر أبيه فخرجت
كندة متساندين إلى ثلاثة ألوبة على أحدها كبش بن هانيء وعلى أحدها القشعم
ابن الأرقم وعلى أحدها الأشعث فأخطأوا مراداً ووقعوا على بني الحارث بن كعب
فقتل كبش والقشعم وأسروا الأشعث وفدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربي قبله

عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ . وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْخُتْفَ . لَحَرِيٌّ أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ .
وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ^(١) . *

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزَعْتُمْ
وَوَهَلْتُمْ^(٢) وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ . وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا .
وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ^(٣) وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ

ولا بعده ، فعنى قول أمير المؤمنين فما فداك لم يمنعك من الأسر وأما أسر الاسلام له
فذلك أن بنى وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي ﷺ وقتلهم زياد بن لبید البياضى
الانصارى لجأوا الى الأشعث مستنصرين به فقال لا أنصركم حتى تملكونى فتوجه
كما يتوج الملك من قحطان فخرج معهم مرتداً يقاتل المسلمين وأمد أبو بكر زياداً
بالمهاجرين أنى أمية فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياماً ثم نزل اليهم على
أن يؤمنوه وعشرة من أفار به حتى يأتى أبا بكر فيرى فيه رأيه وفتح لهم الحصن فقتلوا
كل من فيه من قوم الأشعث الا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ثمانمائة ثم جلوه
أسيراً مغلولاً إلى أنى بكر ففعا عنه وعمن كان معه وزوجه أخته أم فروة بنت
أبى قحافة (١) دلالة السيف على قومه وسوق الختف اليهم تسليمهم لزياد بن لبید
وفتح الحصن عليهم حتى قتلهم كما تقدم وان كان الذى ينقل عن الشريف الرضى أن
ذلك اشارة الى وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد فى حرب المرتدين باليمامة وأن
الأشعث دل خالداً على مكان قومه ومكرهم حتى أوقع بهم خالد فان ماتله الشريف
لا يتم الا إذا قلنا ان بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة
وشاركت أهل الردة فى حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل وعلى كل حال فقد كان
الأشعث ملوماً على ألسنة المسلمين والكافرين وكان نساء قومه يسمينه عرف النار
وهو اسم للغادر عندهم (٢) الوهل الخوف وهل يوهل (٣) ما مصدرية أى قريب

* وفى نسخة زيادة (يريد عليه السلام أنه أسر فى الكفر مرة وفى الاسلام مرة . وأما قوله عليه السلام
دل على قومه السيف فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكرهم
حتى أوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم .

سَمِعْتُمْ وَهَدَيْتُمْ إِنْ أَهْتَدَيْتُمْ . بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرْتَكُمْ الْعَبْرُ^(١)
وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . وَمَا يُبْلَغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا
الْبَشَرُ^(٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ^(٣) وَإِنَّ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ . تَخَفَّفُوا
تَلَحَّقُوا^(٤) . فَإِنَّمَا يَنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ^(٥) (أَقُولُ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ
لَوْ وُزِنَ بَعْدَ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَبَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

طرح الحجاب وذلك عند نهاية الأجل ونزول المرء في أول منازل الآخرة (١) جاهرتمكم
العبر انتصبت لتنبهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب أموركم ، والعبر جمع عبرة والعبرة
الموعظة لكنه أطلق اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازاً فإن العبر التي جاهرتم بها قوارع
الوعيد المنبئة عليهم من أسنة الرسل الأهلين وخلفائهم وأما ما يشهدونه من تضاريف
القدرة الربانية ومظاهرة العزة الإلهية (٢) رسل السماء الملائكة أى إن قلتم لم يأتنا
عن الله شيء فقد أقيمت عليكم الحجة بتبليغ رسول الله وإرشاد خليفته (٣) الغاية
الثواب أو العقاب والسعي والشقاء فعليكم أن تعدوا للغاية ما يصل بكم إليها ولا تستبطئوها
فإن الساعة التي يصيبونها فيها وهي يوم القيامة آتية اليك فكأنها في تقريبها نحوكم
وتقليل المسافة بينها وبينكم بمنزلة سائق يسوقكم إلى ما تسببون إليه (٤) سبق
سابقون بأعمالهم إلى الحسنى فمن أراد اللحاق بهم فعليهم أن يتخفف من أثقال
الشهوات وأوزار الغناء في تحصيل اللذات ويحفر بنفسه عن هذه الغايات فيلحق
بالذين فازوا بعقبى الدار . وأصله الرجل يسى وهو غير مشغل بما يحمله يكون أجدر أن
يلحق الذين سبقوه (٥) أى أن الساعة لا ريب فيها وإنما ينتظر بالأول مدة لا يبعث

وَالِهِ بِكُلِّ كَلَامٍ لَّمَالٍ بِهِ رَاجِعًا وَبَرَزَ عَلَيْهِ سَابِقًا . فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ تَخَفُّوْا تَلَحُّقُوا فَمَا سُمِعَ كَلَامٌ أَقْلٌ مِنْهُ مَسْمُوعًا وَلَا أَكْثَرُ
مَحْصُولًا وَمَا أَبْعَدَ غَوْرَهَا مِنْ كَلِمَةٍ . وَأَنْقَعَ نُطْفَتَهَا مِنْ حِكْمَةٍ ^(١) .
وَقَدْ نَبَّهْنَا فِي كِتَابِ الْخَصَائِصِ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا وَشَرَفِ جَوْهَرِهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ ^(٢) وَأَسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ . لِيَعُودَ
الْجُورُ إِلَى أَوْطَانِهِ . وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ ^(٣) . وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا
عَلَى مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِيفًا ^(٤) وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا
هُمْ تَرَكَوْهُ . وَدَمًا هُمْ سَفَكُوْهُ . فَلَنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ
لَهُمْ لَنَصِيْبَهُمْ مِنْهُ وَلَنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ . وَإِنَّ
أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْتَضِعُونَ أَمَّا قَدْ فَطَمْتُ ^(٥) . وَيُحْيُونَ

فيها حتى يرد الآخرون وينقضي دور الانسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه
الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا وذلك يوم يبعثون (١) من قولهم ماء نافع
ونقيع أى نافع أى اطفاء العطش ، والنطفة الماء الصافي (٢) حنهم وحضهم والجلب
بالتحريك ما يجلب (٣) النصاب الأصل أو المنبت (٤) النصف بالكسر العدل أو
المنصف أى لم يحكموا العدل بيني وبينهم أو لم يحكموا عادلا (٥) اذا فطمت الأم ولدها
فقد انقضى ارضاعها وذهب لبنها يمثل به طلب الأمر بعد فواته

بِدْعَةٍ قَدْ أُمِيتَتْ . يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي . مَنْ دَعَا وَإِلَامٌ أَجِيبٌ^(١) وَإِنِّي لَرَاضٍ
بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . وَعِلْمِهِ فِيهِمْ . فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيَتْهُمْ حَدَّ السَّيْفِ .
وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ . وَمِنْ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَى أَنْ
أُبْرَزُوا لِلطَّعَانِ . وَإِنْ أَصْبِرَ لِلْجَلَادِ هَبْلَتَهُمْ الْهَبُولُ^(٢) لَقَدْ كُنْتُ وَمَا
أُهْدَدُ بِالْحَرْبِ وَلَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ . وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي . وَغَيْرِ
شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ
إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ تَقْصَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ
غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ^(٣) فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً . فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ
الْبَرِيءَ مِنَ الْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَتُعْرَى بِهَا
لِنَامُ النَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ^(٤) الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ

(١) من استفهامية وما المحذوفة الألف لدخول الي عليها كذلك . وهذا استفهام عن الداعي
ودعوته تحقيراً لها . والكلام في أصحاب الجبل والداعي هو أحد الثلاثة الذين تقدم ذكرهم
في قصة الجبل عند الكلام في ذم البصرة (٢) هبلتهم نسكنتهم والهبول بالفتح من النساء
التي لا يبقى لها ولد وهو دعاء عليهم بالموت لعدم معرفتهم بأقدار أنفسهم فلموت خير
لهم من حياة جاهلية (٣) غفيرة زيادة وكثرة (٤) الفالج الظافر فليج يفالج كنصر
ينصر ظفر وفاز ومنه المثل من يأتي الحكم وحده يفالج . والياسر الذي يلعب بقداح

تُوجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ . وَيُزْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ
الْبَرِيُّ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ . إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ . وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَلِلَّهِ هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ
وَحَسْبُهُ . إِنَّ أَلْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ
وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ .
وَأَخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ ^(١) . وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ
مَنْ يَعْمَلْ لِنَعْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ يَشَاءُ لَهُ ^(٢) . نَسْأَلُ اللَّهَ مَنْزِلَ
الشُّهَدَاءِ . وَمُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .

الميسر أى المقامر . وفى الكلام تقديم وتأخير ونسقه كاليسر الفالج كقوله تعالى
(وغرايب سود) وحسنه أن اللفظتين صفتان وإن كانت احدهما انما تأتى بعد
الأخرى اذا صاحبها يريد أن المسلم اذا لم يأت فعلا دينيا ينحجل لظهوره وذكره
ويبعث لثام الناس على التكلم به فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة فهو شبيه
بالمقامر الفائز فى لعبه لا ينتظر الا فوزاً أى أن المسلم اذا برىء من الدنيا آت لا ينتظر
الا احدى الحسنين اما نعيم الآخرة أو نعيم الدارين فخير به أن لا ياسف على فوت
حظ من الدنيا فانه ان فاته ذلك لم يفته نصيبه من الآخرة وهو يعلم أن الأرزاق بتقدير
رزاقها فهو أرفع من أن يحسد أحداً على رزق ساقه الله عليه وقوله فاحذروا
ما حذركم الله من نفسه يريد احذروا الحسد فان مبعثه انتقاص صنع الله تعالى
واستهجان بعض أفعاله وقد حذرنا الله من الجرأة على عظمتها فقال واياي فارهبون
واياي فاتقون وما يفوق الكثرة من الآيات الدالة على ذلك (١) مصدر عذر تعذيراً لم
يثبت له عذر أى خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار (٢) العامل لغير الله
لا يرجو ثواب عمله من الله وانما يطلبه ممن عمل له فكأن الله قد تركه الى من عمل له

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَفْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ
وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّنَتِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ^(١)
وَالْمُتُّ لِسَعْتِهِ وَأَعْظَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَارِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ . وَلِسَانُ الصَّدَقِ
يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورَثُهُ غَيْرُهُ^(٢) (مِنْهَا) أَلَا لَا
يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا
يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ^(٣) . وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ
عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا يَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَيَقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ
كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلَّنَ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ (أَقُولُ الْغَفِيرَةُ
هَهُنَا الزِّيَادَةُ وَالْكَثْرَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْجَمْعِ الْكَثِيرِ الْجُمُ الْغَفِيرُ وَالْجَمَاءُ
الْغَفِيرُ . وَيُرْوَى عَفْوَةً مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ . وَالْعَفْوَةُ الْخِيَارُ مِنَ الشَّيْءِ
يُقَالُ أَكَلْتُ عَفْوَةَ الطَّعَامِ . أَيْ خِيَارَهُ . وَمَا أَحْسَنَ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ . وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِلَى تَمَامِ الْكَلَامِ
فَإِنَّ الْمُمْسِكَ خَيْرُهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا أُحْتَاجَ

وجعل أمره اليه (١) حيلة كبنية أى رعاية وكلاءة ويروى حيلة بكسر الحاء وسكون
الياء مخففة مصدر حاطه يحوطه أى صانه وتعطف عليه وتحنن. والشعث بالتحريك التفرق
والانتشار (٢) لسان الصدق حسن الذكر بالحق وهو فى القرابة أولى وأحق (٣) الخصاصه
الفقر والحاجة الشديدة ينهى أمير المؤمنين عن اهمال القريب اذا كان فقيرا ويحث

إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَأَضْطَرُّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ^(١) فَعَدُّوا عَنْ نُصْرِهِ وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَاْفِدَ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ وَتَنَاهَضَ الْأَقْدَامُ الْجَمَّةَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَعَمْرِي مَا عَلَى مَنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَاطَبَ النَّفْيَ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيْهَانٍ^(٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ اللَّهِ . وَأَمْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ^(٣) . فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ آجَلًا وَإِنْ لَمْ تَمْنَحُوهُ عَاجِلًا^(٤)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ بِاسْتِيْلَاءِ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْبِلَادِ وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَامِلَاهُ عَلَى الْيَمَنِ وَهُمَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَسَعِيدُ بْنُ نُفْرَانَ لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاهُ^(٥) فَقَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمُنْبَرِ

على سد حاجته بالمال وأنواع المعاونة فإن ما يبذل في سد حاجة القريب لو لم يصرفه في هذا السبيل وأمسكه لنفسه لم يزد في غناه أو في جاهه شيئاً ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك ومعنى أهلكه بذله (١) المرافدة المعاونة (٢) الادهان المناقفة والمصانعة ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن والغش . والايهان الدخول في الوهن وهو من الليل نحو نصفه وهو هنا عبارة عن السر والختلة وقد يكون مصدر أو هنته أضعفته أى لا يعرض على فيه ما يضعفنى . وخاطب النى والنى يخبطه وهو أشد اضطراباً من يخبط فى النى (٣) عصبه بكم ربطه بكم أى كلفكم به وألزمكم بأدائه ونهجه بكم أوضحه وبينه (٤) لفلجكم أى لظفركم وفوزكم (٥) يقال بسر بن أبى أرتاه وبسر بن أرتاة وهو عامرى من

ضَجِرًا يَتَشَاوَلُ أَصْحَابِهِ عَنِ الْجِهَادِ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي الرُّأْيِ فَقَالَ
مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبَضُهَا وَأَبْسَطُهَا^(١). إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ
تَهْبُ أَعَاصِيرُكَ^(٢). فَقَبَّحَكَ اللَّهُ (وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ)
لَعَمْرُكَ أَيْكَ أَخْيَرُ يَا عَمْرُو إِنْ نِي عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ^(٣)
(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنْبِئْتُ بُسْرًا قَدْ أَطْلَعَ الْيَمَنَ^(٤) وَإِنِّي وَاللَّهِ

بنى عامر بن لؤى بن غالب سيره معاوية الى الحجاز بعسكر كثيف فأراق دماء غزيرة
واستكره الناس على البيعة لمعاوية وفر من بين يديه الى المدينة أبو أيوب الانصارى
ثم توجه والياً على اليمن فتغلب عليها وانزعها من عبيد الله بن العباس وفر عبيد الله
ناجياً من شره فأتى بسر بيته فوجد له ولدين صبيين فذبحهما وباء بأثمهما فبح الله
الفسوة وما تفعل ويروى أنهما ذبحا في بنى كنانة أخوالهما وكان أبوهما تركهما هناك
وفي ذلك نقول زوجة عبيد الله .

يا من أحس بابنى اللذين هما كالدريتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابنى اللذين هما قاي وسمعى فقاي اليوم مختطف
من ذل والهة حبرى مدلهة على صبيين ذلا اذ غدا السلف
خبرت بسرا وما صدقت مازعموا من افكهم ومن القول الذى اقترفوا
أنحى على ودجى ابني مرهفة مشحودة وكذلك الاثم يعترف
ويروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص (١) أقبضها وأبسطها
أى أنصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب فى ثوبه يقبضه أو يبسطه (٢) جمع اعصار
ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود أو كل ريح فيها العصار وهو الغبار
الكثير ان لم يكن لى ملك الكوفة على ما فيها من الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله
وشبه الاختلاف والشقاق بالأعاصير لاثارتها التراب وافسادها الأرض (٣) الوضر غسالة
السقاء والقصة وبقية الدسم فى الاناء (٤) اطلع اليمن بلغها وتمكن منها وغشيتها
بجيشه

لَا ظَنُّ أَنْ هُوَ لَاءُ الْقَوْمِ سَيِّدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ
وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ^(١). وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ
إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ، وَبِأَدَائِهِمْ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَاتَتِكُمْ .
وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ . فَلَوْ أَتَمَمْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قُبِّ لَخَشِيتُ
أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ^(٢). اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَيْتُهُمْ وَمَلَّوْنِي وَسَيَّمْتُهُمْ وَسَيَّمُونِي
فَأَبْدَلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي . اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا
يُمِاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ^(٣) . أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ
بَنِي فِرَاسٍ بَنِ غَنَمٍ^(٤)

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ * فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَلِيمِ

(١) سيدالون منكم ستكون له الدولة بدلکم بذلك السبب القوی وهو اجتماع
كلهم وطاعتهم لصاحبهم وأداؤهم الأمانة واصلاحهم بلادهم ، وهو يشير الى أن هذا
السبب متى وجد كان النصر والقوة معه ومتى فقد ذهبت القوة والعزة بذهابه ، فالحق
ضعيف بتفرق أنصاره والباطل قوى بتضافر أعوانه (٢) القعب بالضم القدح الضخم
(٣) مِثْ قُلُوبِهِمْ أَذْهَبَ مَاتَهُ يَمِثُهُ دَافَهُ أَى أَذَابَهُ (٤) بنو فراس بن غنم بن خزيمه
ابن مدرکه بن الیاس بن مضر أو هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبه بن مالک بن کنانة
حی مشهور بالشجاعة ومنهم علقمة بن فراس وهو جندل الطعان ومنهم ربيعة
ابن مکدم حای الظنن حياً ومیتاً ولم یحم الحريم أحدوهومیت غیره: عرض له فرسان
من بنی سلیم ومعه ظعان من أهله یحمیهم وحده فرماه أحد الفرسان بسهم أصاب
قلبه فنضب رعبه فی الأرض واعتمد علیه وأشار الیهن بالمسير فسرن حتی بلغن بیوت
الحی وبنو سلیم قیام ینظرون الیه لا یتقدم أحد منهم نحوه خوفاً منه حتی رموا

* فی نسخة : لو دعوت أتاكَ . بخطاب المؤت

ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمُنْبَرِ . أَقُولُ الْأَرْزَمِيَّةُ جَمْعُ رَمِيٍّ وَهُوَ
السَّحَابُ . وَالْحُمِيمُ هَهُنَا وَقْتُ الصَّيْفِ . وَإِنَّمَا خَصَّ الشَّاعِرُ سَحَابَ الصَّيْفِ
بِاللَّذِكْرِ لِأَنَّهُ أَشَدُّ جُفُولًا وَأَسْرَعُ خُفُوفًا ^(١) لِأَنَّهُ لَا مَاءَ فِيهِ . وَإِنَّمَا
يَكُونُ السَّحَابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ لِمُتَبَلَّأِهِ بِالْمَاءِ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي
الْأَكْثَرِ إِلَّا زَمَانُ الشِّتَاءِ . وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ وَصْفَهُمْ بِالشَّرْعَةِ إِذَا
دُعُوا وَالْإِغَاثَةِ إِذَا اسْتُعِثُّوا . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ : هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ
أَتَاكَ مِنْهُمْ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ .
وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ . وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ .
مُتَنَحُّونَ * بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُمٍّ ^(٢) تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ
الْجُشِبَ ^(٣)

فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتا (١) مصدر غريب خلف بمعنى انتقل
وارتحل مسرعا والمصدر المعروف خفا (٢) الخشن جمع خشناء من الخشونة ، ووصف
الحيات بالصم لأنها أخبشها اذ لا تنزجر . وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر
والغلظ فأكثر أراضيها حجارة خشنة غليظة ، ثم انه يكثر فيها الأفاعى والحيات
فابدلهم الله منها الريفولين المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها (٣) الجشب

وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ . الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ
وَالْأَثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ ^(١) . (وَمِنْهَا) فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا
أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ . وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى . وَشَرَبْتُ
عَلَى الشَّجْبَى . وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ ^(٢) وَعَلَى أَمْرٍ مِنْ طَعْمِ الْعَلَقَمِ
(وَمِنْهَا) وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَنًا ^(٣) فَلَا ظَفِرَتْ
يَدُ الْبَائِعِ وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ . فَخَذُّوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهَا . وَأَعْدُّوا
لَهَا عُدَّتَهَا . فَقَدْ شَبَّ لَهَا وَعَلَا سَنَاهَا . وَأُسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى
إِلَى النَّصْرِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةٍ
أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ ^(١) .
فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمَلَةَ الْبَلَاءِ . وَدِيَتْ

الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير آدم (١) معصوبة مشدودة تمنيل للزومها
لهم . وقد جمع في وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة والملة (٢) الكظم
بالتحريك الحلق أو الفم أو مخرج النفس والكل صحيح ههنا، والمراد أنه صبر على
الاختناق . وأغضيت غضضت طرفي على قذى في عيني وما أصعب أن يغمض الطرف
على قذى في العين . والشجما يعترض في الحلق وكل هذا تمنيل للصبر على المضض
الذي ألم به من حرمانه حقه وتآلب القوم عليه (٣) ضمير يبايع الى عمرو بن العاص
فانه شرط على معاوية أن يولي مصر لو تم له الأمر (٤) جنته بالضم وقايتة

بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ^(١) وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ^(٢) وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ
بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمِ الْخُسْفِ^(٣) وَمُنِعَ النَّصْفَ. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ
إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ
اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُواكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا^(٤)
فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَحَاذَلْتُمْ حَتَّى شَنَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمْ
الْأَوْطَانَ. وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ^(٥) وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ
ابْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا^(٦) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ
الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْآخَرَى الْمُعَاهِدَةَ

(١) ديث مبنى للمفعول من ديثه أى ذلله وبقو الرجل ككرم قاة وقاة أى ذل وصغر (٢) الاسداد
جمع سدريد الحجب التى تحول دون بصيرته والرشاد. قال الله «وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون» ويروى بالاسهاب وهو ذهاب العقل
أو كثرة الكلام أى حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة (٣) اديل الحق
منه أى صارت الدولة للحق بدله، وسيم الخسف أى أولى الخسف وكلفه والخسف الذل
والمشقة أيضا والنصف بالكسر العدل أو منع مجهول أى حرم العدل بأن يسلط الله عليه
من يغلبه على أمره فيظلمه (٤) عقر الدار بالضم وسطها واصلها وتواكلم وكل كل
منكم الأمر الى صاحبه أى لم يتوله أحد منكم بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف
الرجل بالوكل أى العاجز لأنه يكل أمره الى غيره. وشنت الغارات فرقت عليكم من
كل جانب كما يشن الماء متفرقا دفعة بعد دفعة وما كان ارسالا غير متفرق يقال فيه
سن بالمهمله (٥) أخو غامد هو سفيان ابن عوف من بنى غامد قبيلة من اليمن من
أزدشنوءة بعنه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلا على أهله. والأنبار
بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات ويقابلها على الجانب الغربى هيت (٦) جمع مسلحة

فَيَنْتَرِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَايِدَهَا وَرِعَائَهَا^(١) مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ
وَالِاسْتِرْحَامِ^(٢) ثُمَّ أَنْصَرَفُوا وَافْرِينَ^(٣) مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ وَلَا
أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ . فَلَوْ أَنَّ أَمْرًا مُسَلِّمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ
مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا . فَيَا عَجَبًا وَاللَّهِ يُمِيتُ الْقُلُوبَ وَيَجْلِبُ
الْهَمَّ مِنْ أَجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحًا
لَكُمْ وَتَرَحًّا^(٤) حِينَ دَرَيْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُفَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ .
وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصِي اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ
إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةٌ الْقَيْظِ^(٥) أَمِهْلَنَا يُسْبِخُ عَنَّا الْحَرُّ^(٦)
وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ^(٧) أَمِهْلَنَا
يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنْ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ

بالفتح وهي الثغرة . والمربح حيث يخشى طروق الأعداء (١) المعاهدة الذميمة . والحجل
بالكسر خيلها . والقلب بالضم سوارها . والرعات جمع رعنة بالفتح ويحرك بمعنى
القرط ويروى رعنها بضم الراء والعين جمع رعاث جمع رعثة (٢) الاسترجاع ترديد
الصوت بالبكاء . والاسترحام أن تناشده الرحم (٣) وافرين تامين على كثرتهم لم ينقص
عددهم والسكم بالفتح الجرح (٤) ترحا بالتحريك أى هما وحزننا أوفقرا والغرض
ما ينصب ليرمى بالسهم ونحوها فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب
لا يدفعون وقوله ويعصى الله يشير الى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب
والنهب والقتل في المسلمين والمعاهدين ثم أهل العراق راضون بذلك اذ لو غضبوا
لهموا بالمدافعة (٥) حمارة القيظ شدة الحر (٦) التسبيخ بالخاء المعجمة التخفيف
والتسكين (٧) صبارة الشتاء شدة برده والقر بالضم البرد

وَأَقْرُّ تَقَرُّونَ فَإِذَا أَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرُ . يَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ
وَلَا رِجَالَ . حُلُومُ الْأَطْفَالِ . وَعُقُولُ رِبَاتِ الْحِجَالِ ^(١) . لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ
أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ . مَعْرِفَةُ اللَّهِ جَرَتْ نَدَمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا ^(٢)
قَاتَلَكُمْ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قُلُوبِي قَيْحًا . وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا . وَجَرَعْتُمُونِي
نُعْبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا ^(٣) . وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْمُضْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ
قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ
لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا ^(٤)
لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهِيَ أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السِّتِينَ ^(٥) .
وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَذْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ ^(١) وَإِنَّ الْآخِرَةَ

(١) حبال جمع حجلة وهي القبة وموضع بزین بالستور والنياب للعروس . ووربات الحجال
النساء (٢) السدم محركة الهم أو مع أسف أو غيظ . والقبيح ما في الفرحة من الصديد . وشحنتم
صدرى ملأتموه (٣) النعب جمع نغبة كجرعة وجرع لفظا ومعنى والتهمام بالفتح الهم وكل
تفعال فهو بالفتح الا التبيان والتلقاء فانهما بالكسر . وأنفاسا أى جرعة بعد جرعة
(٤) مراسا مصدر مارسه ممارسة ومراسا أى عاجله وزاوله وعاناه (٥) ذرفت على الستين
زدت عليها ويروى نيفت بمعناه . وفي الخطبة روايات أخرى لا تختلف عن رواية الشريف
في المعنى وإن اختلفت عنها في بعض الألفاظ . انظر الكامل للبرد (٦) آذنت أعلمت

قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ^(١). وَغَدَا السَّبَاقَ. وَالسَّبَقَةُ
الْجَنَّةُ^(٢) وَالْغَايَةُ النَّارُ. أَفَلَا تَأْتِبُ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ أَلَا عَامِلٌ
لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ^(٣)؟ أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ^(٤) مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ. فَمَنْ
عَمِلَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ. وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ. وَمَنْ
قَصَرَ فِي أَيَّامٍ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ.. وَضُرَّهُ أَجَلُهُ. أَلَا
فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ^(٥). أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَكَا الْجَنَّةَ

وابدائها بالوداع انما هو بما أودع في طبيعتها من التقلب والتحول ، فأول نظرة من
العاقل اليها تحصل له اليقين بفنائها وانقضائها وليس وراء الدنيا الا الآخرة فان كانت
الأولى مودعة فالأخرى مشرفة. والاطلاع من اطلع فلان علينا أانا فجأة (١) المصار
الموضع والزمن الذي نضم فيه الخيل . وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها
حتى تسمن ثم يقلل علفها وماؤها وتجري في الميدان حتى تهزل . وقد يطلق التضمير
على العمل الأول أو الثاني واطلاقه على الأول لانه مقدمة للثاني والا حقيقة التضمير
احداث الضمور وهو الهزال وخفة اللحم . وانما يفعل ذلك بالخيل لتخف في الجري يوم
السباق كما اننا نعمل اليوم في الدنيا للحصول على السعادة في الأخرى (٢) السبقة
بالتحريك الغاية التي يحب السابق أن يصل اليها وبالفتح المرة من سبق والشريف
رواها في كلام الامام بالتحريك أو الفتح وفسرها بالغاية المحبوبة أو المرة من سبق
وهو مطلوب لهذا روى الضم بصيغة رواية أخرى . ومن معاني السبقة بالتحريك
الرهن الذي يوضع من المتراهنين في السباق أى الجعل الذي يأخذه السابق الا أن
الشريف فسرهما بما تقدم (٣) البؤس اشتداد الحاجة وسوء الحالة . ويوم البؤس يوم
الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة . والعامل له هو الذي يعمل الصالح لينجو من
البؤس في ذلك اليوم (٤) يريد الامل في البقاء واستمرار الحياة (٥) أى اعملوا لله
في السراء كما تعملون له في الضراء لانصرفكم النعم عن خشبته والخوف منه

نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا^(١) . أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ
يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ^(٢) . وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجْرِ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى .
أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّنِّ^(٣) . وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ . وَإِنَّ أَخُوفَ مَا
أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ . تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا
تُحْرِزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَدًا^(٤) (أَقُولُ) لَوْ كَانَ كَلَامٌ يَأْخُذُ بِالْأَعْنَاقِ
إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَيَضْطَرُّ إِلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ لَكَانَ هَذَا الْكَلَامُ .
وَكُنِيَ بِهِ قَاطِعًا لِمَلَائِقِ الْأَمَالِ . وَقَادِحًا زِنَادَ الْأَتَاعِ وَالْإِزْدِجَارِ . وَمِنْ
أَعْجَبِهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَدًا السَّبَاقَ .
وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ) فَإِنَّ فِيهِ مَعَ فَخَامَةِ اللَّفْظِ وَعِظَمِ فَدْرِ
الْمَعْنَى وَصَادِقِ التَّمَثِيلِ وَوَاقِعِ التَّشْبِيهِ سِرًّا عَجِيبًا وَمَعْنَى لَطِيفًا وَهُوَ
قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ) فَخَالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ
لَاخْتِلَافِ الْمَعْنَيَيْنِ . وَلَمْ يَقُلِ السَّبَقَةُ النَّارُ كَمَا قَالَ: السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ لِأَنَّ

- (١) من أعجب العجائب الذي لم ير له مثيل أن ينام طالب الجنة في عظمها واستكمال أسباب السعادة فيها، وأن ينام الهارب من النار في هونها واستجاعتها أسباب النقاء
- (٢) النفع الصحيح كله في الحق. فان قال قائل ان الحق لم ينفعه فالباطل أشد ضرراً له ، ومن لم يستقم به الهدى المرشد الى الحق أى لم يصل به الى مطلوبه من السعادة جرى به الضلال الى الردى والهلاك (٣) الظن الرحيل عن الدنيا وأمرنا به أمر تكوين أى كما خلقنا الله خلق فينا أن نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر في الأخرى . والزاد الذى دلنا عليه هو عمل الصالحات وترك السيئات (٤) تحرزون أنفسكم تحفظونها

الِاسْتِيقَاقَ إِنَّمَا يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ وَغَرَضٍ مَطْلُوبٍ وَهَذِهِ صِفَةُ
الْجَنَّةِ وَلَيْسَ هَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودًا فِي النَّارِ نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْهَا فَلَمْ يَحْزَنْ أَنْ
يَقُولَ وَالسَّبَقَةُ النَّارُ بَلْ قَالَ وَالنَّارُ الْعَايَةُ النَّارُ ، لِأَنَّ الْعَايَةَ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَنْ لَا
يَسْرُهُ إِلَّا تَنْهَاؤُهَا مَنْ يَسْرُهُ ذَلِكَ ، فَصَلَحَ أَنْ يُعْبَرَّ بِهَا عَنْ الْأَمْرِ مِنْ مَعَايِهِ
فِي هَذَا الْمَوْضِعِ كَالْمَصِيرِ وَالْمَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ
مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) وَلَا يَحْزُونُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ سَبَقْتُكُمْ
« بِسُكُونِ الْبَاءِ » إِلَى النَّارِ فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ فَبَاطِنُهُ عَجِيبٌ وَغَوْرُهُ بَعِيدٌ .
وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . (وَفِي بَعْضِ النُّسخِ) وَقَدْ جَاءَ
فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى (وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ) بِضَمِّ السِّينِ . وَالسَّبَقَةُ عِنْدَهُمْ أَسْمٌ
لَمَّا يُجْعَلُ لِلسَّابِقِ إِذَا سَبَقَ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ وَالْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ لِأَنَّ
ذَلِكَ لَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ الْأَمْرِ الْمَذْمُومِ وَإِنَّمَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى
فِعْلِ الْأَمْرِ الْمَحْمُودِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ . الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ^(١) . كَلَامُهُمْ
يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ ^(٢) وَفِعْلُهُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ . تَقُولُونَ

من الهلاك الأبدي (١) أهواؤهم آراؤهم وما تميل إليه قلوبهم (٢) الصم جمع اصم

فِي الْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ. فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حَيْدِي حَيْدٍ^(١). مَا عَزَتْ
دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَلَا أُسْتَرَا حَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ^(٢). أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلَ.
دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ^(٣) لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ. وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا
بِالْجِدِّ. أَيْ دَارٍ بَعْدَ دَارٍ كُمْ تَمْنَعُونَ. وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تَقَاتِلُونَ. الْمَغْرُورُ
وَاللَّهُ مَنْ غَرَزَتْهُ^(٤). وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهُ بِالسَّهْمِ الْأَخِيبِ^(٥).
وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ^(٥) أَصْبَحْتُ وَاللَّهُ لَا أَصَدِّقُ

وهو من الحجارة الصلب المصمت والصلاب جمع صليب والصليب الشديد وبابه ظريف
وظراف وضعيف وضعاف. ويوهبها يضعفها ويفتتها، يقال وهي الثوب ووهي يهي وهيا
من باب ضرب وحسب، تخرق وانشق أى تقولون من الكلام ما يفلق الحجر بشدته
وقوته ثم يكون فعلكم من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو (١) حيدى
حياد كلمة يقولها الهارب كأنه يسأل الحرب أن تنتجى عنه من الحيدان وهو الميل
والانحراف عن الشيء. وحياد مبنى على الكسر كما فى قولهم فيجى وياح أى اتسعى
وحى جام للدهاية أى اهم يقولون فى المجلس سنفعل بالاعداء ما نفعل فاذا جاء القتال
فروا وتقاعدوا (٢) أى من دعاهم وحلهم بالترغيب على نصرته لم تعز دعوته لتخاذلهم
فان قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فاتعبوه والاعاليل أما جمع اعلال جمع علل جمع علة
أو جمع اعلولة كما ان الأضاليل جمع اضلولة والاضاليل متعلقة بالاعاليل أى انكم تتعللون
بالباطيل التى لا جدوى لها (٣) أى انكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع
المدن المطول غريمه والمطول الكثير المظل وهو تأخير اداء الدين بلا عسر وقوله
لا يمنع الضيم الخ أى أن الدليل الضعيف الباس الذى لا منفعه له لا يمنع ضيماً وانما يمنع
الضيم القوى العزيز (٤) فاز بكم من فاز بالخير اذا ظفر به أى من ظفر بكم وكنتم
نصيبه فقد ظفر بالسهم الاخيب وهو من سهام البسر الذى لا حظ له (٥) الافوق من
السهم مكسور الفوق. والفوق موضع الوتر من السهم والناصل العارى عن النصل أى

قَوْلَكُمْ . وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ . وَلَا أُوْعِدُ الْمَدْوَّ بِكُمْ . مَا بَالُكُمْ ؟
مَادَّوْاؤُكُمْ ؟ مَا طَبَّيْكُمْ ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ . أَقْوَلًا بَغِيرِ عَمَلٍ
وَعَفْلَةٍ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ . وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْقَدِ عُثْمَانَ

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا . أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا^(١) غَيْرَ
أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ . وَمَنْ خَذَلَهُ
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي^(٢) وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ :

من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت في الوتر حتى يرمى، وإن رمى به لم يصب مقتلاً
إذ لا يصل له . وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عند اغارة الضحاك بن قيس فان
معاوية لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين دعا الضحاك بن قيس وقال له سرحتي
تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت فمن وجدت من الاعراب في طاعة على
فاغر عليه وإن وجدت له خيلاً أو مسلحة فاغر عليها وإذا أصبحت في بلدة فأمس في
أخرى ولا تقيمن خليل بلغك أنها قد سرحت اليك لتلقاها فتقاتلها، وسرحه في ثلاثة
آلاف فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الاعراب ثم لقي بن عمر عيسى
بن مسعود الذهلي فقتله وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود وهب الحاج وقتل منهم
وهم على طريقهم عند القباطنة فساء ذلك أمير المؤمنين وأخذ يستنهض الناس إلى
الدفاع عن ديارهم وهم يتخاذلون فوجههم بما تراه في هذه الخطبة، ثم دعا بحجر بن
عسدي فسبره إلى الضحاك في أربعة آلاف فقاتله فاهزم فاراً إلى الشام يفتخر بأنه
قتل ونهب (١) يقول أنه لم يأمر بقتل عثمان والا كان قاتلاً له مع أنه برىء من قتله،
ولم ينه عن قتله أي لم يدافع عنه بسيفه ولم يقاتل دونه والا كان ناصراً له . أما نهيه عن
قتله بلسانه فهو ثابت وهو الذي أمر الحسن والحسين أن يذابا الناس عنه (٢) أي

أَسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ . وَجَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمْ الْجَزَعَ^(١) وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ
فِي الْمُسْتَأْثَرِ وَالْجَاذِعِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِابْنِ عَبَّاسٍ لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَى الزُّبَيْرِ يَسْتَفِيئُهُ إِلَى طَاعَتِهِ قَبْلَ
حَرْبِ الْجَمَلِ^(٢)

لَا تَلْقَيْنَ دَلِمَةً فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّاهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ^(٣)
يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ . وَلَكِنْ أَلْقِ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ
عَرِيكَةٍ^(٤) فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي

ان الذين نصره ليسوا بأفضل من الذين خذلوهم لهذا لا يستطيع ناصرهم أن يقول اني
خير من الذي خذله ولا يستطيع خاذله أن يقول ان الناصر خير مني يريد أن القلوب
متفقة على أن ناصريه لم يكونوا في شيء من الخير الذي يفضلون به على خاذليه
(١) أي أنه استبد عليكم فأساء الاستبداد وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم،
وجزعتهم لاستبداده فأسأتم الجزع أي لم ترفقوا في جزعكم ولم تقفوا عند الحد الأولي
بكم وكان عليكم أن تقتصروا على الشكوى ولا تذهبوا في الاساءة الى حد القتل ولله
حكمه في المستأثر وهو عثمان وفي الجازع وهو أنتم فاما آخذه وأخذكم أو عفا عنه
وعفا عنكم (٢) يستفيئه أي يسترجعه (٣) يروي أن تلقاه تلقاه الأولى بالقاف والثانية
بالفاء من ألفاء يلقبه وهي بمعنى تحده ، وعاقصاً قرنه من عقص الشعر اذا ضفره وفنله
ولواه وهو تمثيل له في نغطره وكبره وعدم انقياده ، ويركب الصعب يستهين به
ويزعم أنه ذلول سهل (٤) العريكة الطبيعة وعرفه بالحجاز اطاعه فيه حيث عقد له

بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ^(١)) أَقُولُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّتَ مِنْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ
أَعْنِي « فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَأَ »)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ . وَزَمَنٍ كَنُودٍ^(٢) . يُعَدُّ
فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا . وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا . لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا . وَلَا
نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا . وَلَا تَخَوْفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا^(٣) . فَالنَّاسُ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ وَكَلاَلَةً حَدِّهِ
وَنَضِيضُ وَفَرِهِ^(٤) . وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ . وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ . وَالْمُجْلِبُ
بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ . لِحُطَايِمٍ يَنْتَهِزُهُ . أَوْ مِقْنَبٍ

البيعة وانكر. بالعراق حيث خرج عليه وجع لقتاله (١) عداه الأمر صرفه وبدا
ظهر، ومن هنا بمعنى، عن نقل ابن قتيبة حدثني فلان من فلان أي عنه، ونهيت من
كذا أي عنه أي ما الذي صرفك عما كان بدا وظهر منك (٢) العنود الجائر من عند
يعند كنصر جار عن الطريق وعدل، والكنود الكفور. ويروى وزمن شديد أي
بخيل كما في قوله تعالى (وانه لحب الخير لشديد) أي ان الانسان لاجل حبه للعال
بخيل والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر. وسوء طباع الناس يحملهم على عد
المحسن مسيئاً (٣) القارعة الخطب يقرع من ينزل به أي يصيبه. والداهية العظيمة
(٤) القسم الأول من يقعد به عن طلب الإمارة والسلطان حقارة نفسه فلا يجد معينا
ينصره وكلاكلة حده أي ضعف سلاحه عن القطع في أعدائه، يقال كل السيف كلاكلة
إذا لم يقطع والمراد اعوازه من السلاح أو لضعفه عن استعماله، ونضيض وفره قلة ماله
وكان مقتضى النسق أن يقول ونضاضة وفره لكنه عدل الى الوصف تغننا. والنضيض

يَقُودُهُ . أَوْ مَنَبِرٍ يَفْرَعُهُ ^(١) . وَلِبَاسٍ الْمَتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا
وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلٍ آخِرَةٍ وَلَا يَطْلُبُ
الْآخِرَةَ بِعَمَلٍ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ
ثَوْبِهِ وَزَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ ^(٢)
وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ ^(٣) . وَأَنْتَقِطَاعُ سَبَبِهِ .
فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَنْ حَالِهِ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ وَتَرَيْنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ
وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَايَ وَلَا مَغْدَى . وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ
ذِكْرُ الْمَرْجِعِ ^(٤) . وَأَرَاقَ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ . فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ

القليل والوفر المال (١) القسم الثاني الذي يطلب الامارة وما هي من حقه ويجهز
بذلك فهو مصلت لسيفه أى سال له على اعتاق الذين لا يسمعون لسلطان الباطل
والمعلن المظهر ، والمجلب بخيله من أجلب القوم أى جلبوا وتجمعوا من كل أوب
للحرب . والرجل جمع راجل كالركب جمع راكب ، واشترط نفسه أى هيأها واعدتها
للشر والفساد فى الأرض أو للعقوبة وسوء العاقبة ، وأوبق دينه أهلكه ، والحطام
المال وأصله ما تكسر من اليبس ينتهزه يغتنمه أو يختلسه والمقنب طائفة من الخيل
ما بين الثلاثين الى الأربعين . وانما يطلب قود المقنب بعزراً على الناس وكبراً وفرع
المنبر بالفاء أى علاه وفى علو المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب
فهذا القسم قد أضاع دينه وأفسد الناس فى طلب هذه الشهوات المذكورة (٢) الذريعة
الوسيلة وهذا قسم ثالث (٣) الضؤولة بالضم الضعف وهذا هو القسم الرابع وليس
من الزهادة فى ذهاب ولا اياب أى لا فى فعل ولا ترك (٤) هذا قسم خامس للناس
مطلقاً والأقسام الأربعة للناس المعروفين الواقعيين تحت نظر العامة فقوله فيما سبق
فالناس أربعة أصناف انما يريد به الذين يعرفهم النظر الجلى ناساً ، أما الرجال الذين

نَادٍ^(١). وَخَافِ مَقْمُوعٍ. وَسَاكِتٍ مَكْمُومٍ. وَدَاعٍ مُخْلِصٍ. وَتَسْكَلَانَ
مُوجِعٍ. قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ^(٢) وَشَمَلَتْهُمْ الذَّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ.
أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ^(٣). وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ. وَقَدْ وُعِظُوا حَتَّى مَلُّوا^(٤)
وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا. وَقَتِلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ
أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ وَقَرَاضَةِ الْجَلِيمِ^(٥) وَأَتَعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.
قَبْلَ أَنْ يَتَعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ. وَأَرْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ
كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ^(٦). (أَقُولُ) هَذِهِ الْخُطْبَةُ رُبَّمَا نَسَبَهَا مَنْ لَا عِلْمَ
لَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهِيَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي لَا

غضوا أبصارهم عن مطامع الدنيا خوفاً من الآخرة وتذكروهم لمعادهم فهو لا يعرفون
عند العامة وإنما يعرف أحوالهم أمثالهم فكأنهم في نظر الناس ليسوا بناس (١) الناد
الهارب من الجماعة إلى الوحدة، والمقموع المقهور، والمكعوم من كعم البعير شداه
لثلاً يأكل أو يعض وما يشده. كعام ككتاب. والتسكلان الحزين (٢) أخله اسقط ذكره
حتى لم يعد له بين الناس نباة. والتقية انقاء الظلم باخفاء الحال والاجاج الملح أى انهم
في الناس كمن وقع في البحر الملح لا يجد ما يطفى ظمأه ولا ينقع غلته (٣) ضامرة
ساكنة ضمير يضمز بالزاي المعجمة سكت يسكت، والقرحة بفتح فكسر الجروحة
(٤) أى انهم أكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وشموا من كلامهم (٥) الحثالة
بالضم القشارة وما لا خير فيه، والقَرْظ ورق السلم أو غمر السنط يدبغ به والجل بالتحريك
مقراض يجر به الصوف وقراضته ما يسقط منه عند القرض والجزء، إنما طالبهم باحتقار
الدنيا بعد التقسيم المتقدم لما ثبت من أن الدنيا لم تصف الا للاشراق، أما المتقون
الذين ذكرهم فانهم لم يصيبوا منها الا العناء وكل ما كان شأنه أن يأوى إلى الأشرار
ويجافى الاختيار فهو أجدر بالاحتقار (٦) أى من كان أشد تعلقاً بها منكم

يَشَكُّ فِيهِ وَأَيْنَ الذُّهَبُ مِنَ الرِّغَامِ^(١) وَالْعَذْبُ مِنَ الْأَجَاجِ . وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْخَرِيتُ^(٢) وَنَقَدَهُ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ عَمَرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاحِظُ فَإِنَّهُ ذَكَرَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ وَذَكَرَ مَنْ نَسَبَهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ ثُمَّ قَالَ هِيَ بِكَلَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْبَهُ، وَبِمَذْهَبِهِ فِي تَصْنِيفِ النَّاسِ وَبِالْإِخْبَارِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَهْرِ وَالْإِذْلَالِ وَمِنْ التَّقِيَّةِ وَالْخَوْفِ أَلِيقُ^(٣) قَالَ وَمَتَى وَجَدْنَا مُعَاوِيَةَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَسْلُكُ فِي كَلَامِهِ مَسْلَكَ الزُّهَادِ . وَمَذَاهِبَ الْعُبَادِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ خُرُوجِهِ لِقِيَالِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ^(٤)

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِبَذَى قَارٍ^(٥) وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ^(٦) فَقَالَ لِي مَا قِيَمَةُ هَذَا النِّعْلِ فَقُلْتُ لَا قِيَمَةَ لَهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَمْرِيكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أُدْفَعَ بَاطِلًا ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ :
إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ

(١) الرغام بالفتح التراب (٢) الخريت الحاذق في الدلالة (٣) تصنيف الناس تقسيمهم وتبيين أصنافهم (٤) في وقعة الجمل (٥) بلدين واسط والكوفة وهو قريب من البصرة وكانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت فيه العرب قبل الاسلام (٦) يخصف

يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي بُرُوءً . فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ
وَبَلَّغَهُمْ مَنَاجِثَهُمْ^(١) فَاسْتَقَامَتْ قَنَاسُهُمْ^(٢) وَأَطْمَأْنَنْتْ صَفَاتُهُمْ . أَمَّا وَاللَّهِ
إِنْ كُنْتُ لِنِي سَاقَتِهَا^(٣) حَتَّى تَوَلَّتْ بِحِذَافِيرِهَا مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ
وَإِنْ مَسِيرِي هَذَا لِمِثْلِهَا^(٤) فَلَا تَقْبَنَ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ^(٥)
مَالِي وَلِقْرِيشِي . وَاللَّهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَا قَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ . وَإِنِّي

نفعه يخرزها (١) بوائهم محلتهم أى أثرهم منزلتهم فالناس قبل الاسلام كانوا
عرباء مشردين والاسلام هو منزلهم الذى يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف ،
فالنبى صلى الله عليه وسلم ساق الناس حتى أوصلهم إلى منزلهم من الاسلام الذى كانوا
قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك (٢) القناة العود والرمح . والكلام
تمثيل لاستقامة أحوالهم . والصفة الحجر الصلد الضخم . وأراد به مواطئ أقدامهم .
والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل
أقدامهم (٣) ان كنت الخ ان هذه هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف
والأصل انه كنت الخ . والمعنى . قد كنت . والساقه مؤخر الجيش السائق لمقدمه . وولت
بحذافيرها بجملتها . والضائر فى ساقتها وولت بحذافيرها عائدة إلى الحادثة المفهومة
من الحديث وهى ما أنعم الله به من بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من
الظلمات الى النور ومن الذلة للعزة وقال الشارح ابن أبى الحديد الضائر للجاهلية
المفهومة من الكلام وكونه فى ساقتها أنه طارد لها . ويضعفه أن ساقه الجيش منه لامن
مقاتله فلو كان فى ساقه الجاهلية لكان من جيشها نعوذ بالله . ويمكن تصحيح كلام
الشارح بجعل الساقه جمع سائق أى كنت فى الذين يسوقونها طرداً حتى ولت
(٤) أى أنه يسير الى الجهاد فى سبيل الحق (٥) الباطل يبادر الأوهام فيشغلها عن
الحق ويقوم حجاباً مانعاً للبصيرة عن الحقيقة فكأنه شئ اشتمل على الحق فستره

لصَاحِبِهِمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمْ الْيَوْمَ * (وَاللَّهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشَ
إِلَّا أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيْرِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ
أَدَمْتُ لَعَمْرِي شُرْبَكَ أَمْحَضَ صَاحِبًا

وَأَكْمَلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةِ الْبُجْرَا
وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعِلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ
عَلِيًّا وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا)

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اسْتِنْفَارِ النَّاسِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ)
أَفِ لَكُمْ أَقْدَ سَمِّتُ عِتَابَكُمْ . أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ
الْآخِرَةِ عِوَضًا . وَبِالذَّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا . إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ
عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ^(١) . وَمِنْ
الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ^(٢) فَكَأَنَّ

وصار الحق في طيه. والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق وحال الامام في كشف الباطل
واظهار الحق (١) دوران الاعين اضطرابها من الجزع. ومن غمره الموت يدور بصره
فانهم يريدون من غمرة الموت الشدة التي تنتهي اليه يشير الى قوله تعالى (ينظرون
اليك نظر المغشى عليه من الموت) (٢) الحوار بالفتح في الكلام. ويرتج بمعنى يفاق

قُلُوبِكُمْ مَالُوسَةٌ ^(١) فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ . مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسٌ
الَّيَالِي ^(٢) وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ وَلَا زَوَافِرٍ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ ^(٣)
مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَأَبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا . فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ
مِنْ آخَرٍ . لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سَعَرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ ^(٤) تُكَادُونَ وَلَا
تَكِيدُونَ . وَتُنْقَضُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ ^(٥) لَا يَنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ
فِي غَفَلَةٍ سَاهُونَ . غُلِبَ وَاللَّهِ الْمُتَخَذِلُونَ وَأَيْمٌ ^(٦) اللَّهُ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ
أَنْ لَوْ حَسَّ الْوَغَى وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ
انْفِرَاجَ الرَّأْسِ ^(٧) وَاللَّهِ إِنْ أَمَرَأَ يُمْكِنُ عَدُوُّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرِقُ لَحْمَهُ ^(٨)

أى لا تهتدون لفهمه فتعمهون أى تحيرون وتترددون (١) المألوسة المخلوطة بمس
الجنون (٢) سجيس بفتح فكسر كلمة يقال بمعنى أبدأ . وسجيس أصله من سجبس
الماء بمعنى تغير وكدر . وكان أصل الاستعمال ما دامت الليالى بظلامها أى مادام الليل
ليلاً . ويقال سجبس لا وجس بفتح الجيم وضمها ، وسجبس عجيس كل ذلك بمعنى
أبدأ أى أهم ليسوا بثقات عنده يركن إليهم أبدأ (٣) الزافرة من البناء ركنه ومن
الرجل عشيرته . وقوله يمال بكم أى يمال على العدو بعزكم وقوتكم (٤) السعر أصله
مصدر سعر النار من باب نفع أوقدها ، أى لبس ما توقع به الحرب أنتم . ويقال ان
سعر جمع ساعر كشرب جمع شارب وركب جمع راكب (٥) امتعض غضب (٦) غلب
مبنى للمجهول . والمتخذلون الذين يتخذل بعضهم بعضاً ولا يتناصرون (٧) جس كفرج
اشتد . والوغى الحرب . واستحمر بلغ فى النفوس غاية حدته . وقوله انفراج الرأس أى
انفراجاً لا التمام بعده فان الرأس اذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شقيه عن
الآخر لم يعد للالتئام (٨) بأ كل لجه حتى لا يبقى منه شئ على العظم . وفراه يفريه

وَيَهْنِمُ عَظْمَهُ . وَيَفْرِي جِلْدَهُ لِعَظِيمِ عَظْرِهِ ضَعِيفُ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ
جَوَانِحُ صَدْرِهِ ^(١) أَنْتَ فَكُنْ ذَلِكَ إِنْ شِئْتَ ^(٢) فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ
أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفَةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ . وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ
وَالْأَفْدَامُ ^(٣) . وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لِي عَلَيْكُمْ حَقٌّ وَلَكُمْ عَلَىَّ حَقٌّ . فَأَمَّا حَقُّكُمْ
عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ . وَتَوْفِيرُ فِتْنِكُمْ عَلَيْكُمْ ^(٤) وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا
تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا . وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَأَلَوْفَاءُ بِالْبَيْعَةِ
وَالنَّصِيحَةِ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ . وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ . وَالطَّاعَةُ
حِينَ أَمُرُكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ التَّخِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخُطْبِ الْفَادِحِ ^(٥) وَالْحَدَّثِ الْجَلِيلِ .

مَرْفَعُهُ بِمَرْفَعِهِ (١) مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْجَوَانِحُ هُوَ الْقَلْبُ وَمَا يَنْبَعُهُ مِنَ الْأَوْعِيَةِ الدَّمَوِيَّةِ .
وَالْجَوَانِحُ الضَّلُوعُ تَحْتَ التَّرَائِبِ، وَالتَّرَائِبُ مَا بِلَى التَّرْقُوتَيْنِ مِنْ عِظَامِ الصَّدْرِ أَوْ مَا بَيْنَ
التَّيْدَيْنِ وَالتَّرْقُوتَيْنِ . يَرِيدُ ضَعِيفَ الْقَلْبِ (٢) يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خُطْبًا عَامًا لِكُلِّ مَنْ
يُمْكِنُ عُدُوهُ مِنْ نَفْسِهِ . وَيُرْوَى أَنَّهُ خُطَابٌ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ عِنْدَمَا قَالَ لَهُ هَلَا فَعَلْتَ
فَعَلَ ابْنُ عِفَّانٍ فَأَجَابَهُ بِقَوْلِهِ إِنْ فَعَلَ ابْنُ عِفَّانٍ لِحُزَاةٍ عَلَى مَنْ لَادِينَ لَهُ وَإِنْ أَمْرًا الْحُ
(٣) أَيْ لَا يُمْكِنُ عُدُوهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ دُونَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفَةِ وَهِيَ السَّيُوفُ
الَّتِي تَنْسَبُ إِلَى مَشَارِفِ وَهِيَ قَرْيٌ مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ تَدْنُو مِنَ الرِّيفِ ، وَلَا يُقَالُ فِي
النِّسْبَةِ إِلَيْهَا مَشَارِفِي . وَفَرَاشُ الْهَامِ الْعِظَامُ الرَّقِيقَةُ الَّتِي تَلِي الْفَحْفَحَ . وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ أَيْ
تَسْقُطُ (٤) الْفِيءُ الْخَرَجُ وَمَا يَحْوِيهِ بَيْتُ الْمَالِ (٥) مِنْ فَدَحِهِ الْإِثْمِ أَيْ أَنْتَقَلَهُ . وَالْحَدَّثُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ ثَوْرٍ
الْحُسْرَةَ وَتُعَقِّبُ النَّدَامَةَ . وَقَدْ كُنْتُ أَمْرُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ
أَمْرِي وَتَحَلَّتْ لَكُمْ مَخْزُونٌ رَأْيِي ^(١) لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ ^(٢)
فَأَيُّكُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُخَالَفِينَ الْجُفَاءَ وَالْمُنَابِذِينَ الْعَصَا . حَتَّى أُرْتَابَ

بالتحريك الحادث (١) الحكومة حكومة الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى
الأشعري. وذلك بعد ما وقف القتال بين علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان في
حرب صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة فان جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون
عليه رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم الى كتاب الله وكانت الحرب
أكلت من الفريقين، فانخدع القراء وجاعة تتبعوهم من جيش علي وقالوا : دعينا الى
كتاب الله ونحن أحق بالاجابة اليه، فقال لهم أمير المؤمنين انها كلمة حق يراد بها باطل
انهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة
والوهن والمكيدة، أعبروني سواعدكم وجاجكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم
يبق الا أن يقطع دابر الذين ظلموا، خالفوا واختلفوا، فوضعت الحرب أوزارها وتسكلم
الناس في الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما في كتاب الله فاختر معاوية عمرو بن
العاص واختر بعض أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعري فلم يرعش أمير المؤمنين
واختار عبدالله بن عباس فلم يرضوا ثم اختار الأشتر النخعي فلم يطيعوا فوافقهم على
أبي موسى مكرها بعد أن أعذر في النصيحة لهم فلم يذعنوا. فقد نخل لهم أي أخلص
رأيه في الحكومة أولا وآخرأ ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبي موسى لعمرو بن
العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية ثم صعود عمرو بعده وإثباته معاوية وخلعه أمير
المؤمنين، وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه (٢) هو مولى جذيمة المعروف

النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ^(١) . وَضَنَّ الزَّيْنُدُ بِقَدْحِهِ فَكَتَتْ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ
أَخُو هَوَازِنَ
لَأْمُرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى

فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَخْوِيفِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ^(٢)

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنَّ تُصْبِحُوا صَرَغِي بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهْرِ وَبِأَهْضَامِ هَذَا

بالابرش وكان حاذقا وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة
نخالفة وقصدها اجابة لدعوتها الى زواجه فقتله فقال قصير «لا يطاع لقصير أمر» فذهب
مثلا (١) يريد بالناصح نفسه أى أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك فى نصيحته وظن
أن النصح غير نصح وأن الصواب ما اجمعوا عليه. وتلك سنة البشر اذا كثر المخالف
للصواب اتهم المصيب نفسه. وقوله ضن الزند بقدحه أى أنه لم يعن له بعد ذلك رأى
صالح لشدة ما لقي من خلافهم وهكذا المشير الناصح اذا اتهم واستعش عنت بصيرته
وفسد رأيه. وأخو هوازن هو دريد بن الصمة. ومنعرج اللوى اسم مكان وأصل اللوى
من الرمل الجدد بعد الرملة. ومنعرجه منعطفه يمنة ويسرة وفى هذه القصيدة :

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم أو أثنى غير مهتدى

وما أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

(٢) النهروان اسم لأسفل نهر بين الخافيق وطرفاء على مقربة من الكوفة فى
طرف صحراء حروراء. ويقال لأعلى ذلك النهر تامر، وكان الذين خرجوا على
أمير المؤمنين وخطأوه فى التحكيم قد نقضوا بيعته وجهروا بعداوتهم وصاروا له حربا واجتمع
معظمهم عند ذلك الموضع. وهؤلاء يلقبون بالحرورية لما تقدم أن الأرض التى اجتمعوا

الغَائِطِ^(١) عَلَى غَيْرِ يَنَّةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ . قَدْ
طَوَّحَتْ بِكُمْ الدَّارَ^(٢) . وَاحْتَبَلَكُمْ الْمِقْدَارُ . وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ
هَذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَيَّدْتُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُخَالَفِينَ الْمُنَابِذِينَ^(٣) . حَتَّى صَرَفْتُ
رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ . وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخَفَاءِ الْهَامِ^(٤) . سَفَهَاءُ الْأَخْلَامِ وَلَمْ
آتِ - لَا أَبَاكُمْ - بِمُجْرَأٍ^(٥) وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضَرًّا

فيها كانت تسمى حروراء وكان رئيس هذه الفئة الضالة حرقوص بن زهير السعدي
ويلقب بذي الثدي (تصغير ثدي) خرج اليهم أمير المؤمنين يعظهم في الرجوع عن
مقاتلتهم والعودة الى بيعتهم فأجابوا النصيحة برمي السهام وقتل أصحابه كرم الله وجهه
فأمر بقتالهم وتقدم القتال بهذا الانذار الذي تراه (١) صرعى جمع صريع أى طريق
أى انى احذركم من اللجاج فى العصيان فنصبوا مقتولين مطروحين بعضهم فى أثناء
هذا المهرو بعضهم بأهضام هذا الغائط . والاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادى .
والغايط ما سفل من الأرض والمراد منها المنخفضات (٢) أى صرتم فى مناهة ومضلة
لا يدع الضلال لكم سبيلا الى مستقر من اليقين فأنتم كمن رمت به داره وقذفته
ويقال تطاوح به النوى أى ترامت . وقد يكون المعنى أهلككم دار الدنيا كما اخترناه
فى الطبعة الأولى . والمقدار القدر الالهى . واحتبلهم أوقعهم فى حبالته فهم مقيدون للهلاك
لا يستطيعون منه خروجا (٣) نهامهم عن إجابة الشام فى طلب التحكيم بقوله ٣١م
مارفعوا المصاحف ليرجعوا الى حكمها إلى آخر ما تقدم فى الخطبة السابقة وقد خالفوه
بقولهم دعينا الى كتاب الله فنحن أحق بالإجابة اليه بل أغلظوا فى القول حتى قال
بعضهم لأن لم تجبههم الى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك (٤) الهام الرأس . وخفتها
كناية عن قلة العقل (٥) البجر بالضم الشر والأمر العظيم والداهية . قال الراجز
* أرمى عليها وهى شىء بجر * أى داهية . ويقال لقيت منه البجارى وهى الدواهى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْرِي مَجْرَى الْخُطْبَةِ (١)

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا . وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا (٢) وَنَطَقْتُ
حِينَ تَعَتَّعُوا . وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتًا (٣)
وَأَعْلَاهُمْ قَوْتًا (٤) . فَطَرْتُ بَعْنَانَهَا . وَأَسْتَبَدَّدْتُ بِرِهَانِهَا (٥) . كَأَجْلَبِلٍ
لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ . وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ . لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ

واحد لها بجري مثل قمرى وقمارى (١) هذا الكلام ساقه الرضى كأنه قطعة واحدة
لغرض واحد وابس كذلك، بل هو قطع غير متجاورة كل قطعة منها فى معنى غير
مالاخرى، وهواربعة فصول: الأول من قوله فقمتم بالأمر الى قوله واستبددت برهانها.
والفصل الثانى من قوله كالأجلبل لا تحركه القواصف الى قوله حتى آخذ الحق منه والفصل
الثالث من قوله رضينا عن الله قضاءه الى قوله فلا أكون أول من كذب عليه.
والفصل الرابع ما بقى (٢) يصف حاله فى خلافة عثمان رضى الله عنه ومقاماته فى الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر أيام الاحداث أى أنه قام بانكار المنكر حين فشل
القوم أى جبنهم وخورهم. والتقبع الاختباء والتطلع ضده يقال امرأة طلعة قبعة تطلع ثم
تقبع رأسها أى تدخله كما يقبع القنفذ أى يدخل رأسه فى قبعة جلده. وقمع الرجل أدخل رأسه
فى قميصه أى أنه ظهر فى اعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصواب حين كان يحتجب
القوم من الرهبة. ويفال تقبع فلان فى كلامه اذا تردد من عى أو حصر. فقد كان ينطق
بالحق ويستقيم به لسانه والقوم يترددون ولا يبينون (٣) كناية عن ثبات الجأش فان
رفع الصوت عند المخاوف انما هو من الجزع وقد يكون كناية عن التواضع أيضا
(٤) الفوت السبق (٥) هذا الضمير وسابقه يعودان الى الفضيلة المعلومة من الكلام
فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وهو يمثل حاله مع القوم بحال خيل الحلبة.
والعنان للفرس معروف. ومطار به سبق به. والرهان الجعل الذى وقع التراهن عليه

مَهْمَزٌ^(١) وَلَا لِقَائِلٍ فِي مَغْمَزٍ . الدَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقُّ
لَهُ . وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى أَخَذَ الْحَقُّ مِنْهُ . رَضِينَا عَنْ اللَّهِ
قَضَاءَهُ وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ^(٢) . أَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ وَاللَّهُ لَأَنَّا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ
فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي
لَمَيَّزِي^(٣) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ . فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ
فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ . وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى^(٤) . وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ

(١) الهمز والغمز الواقعة أى لم يكن فى عيب أعاب به. وهذا هو الفصل الثانى يذكر حاله
بعد البيعة أى أنه قام بالخلافة كالجبل الخ وقوله الدليل عندى الخ أى أننى أنصر الدليل
فيعز بنصرى حتى اذا أخذ حقه رجع الى ما كان عليه قبل الانتصار بى . ومثل ذلك يقال
فما بعده (٢) قوله رضىنا الخ كلام قاله عندما تفرس فى قوم من عسكره أنهم يهتمونه
فما يخبرهم به من أبناء الغيب (٣) قوله فنظرت الخ هذه الجلة قطعة من كلام له فى حال
نفسه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فيه أنه مأمور بالرفق فى طلب حقه
فأطاع الأمر فى بيعته أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فبايعهم امتثالاً لما أمره
النبي به من الرفق وإيفاء بما أخذ عليه النبي من الميثاق فى ذلك (٤) سمت الهدى
طريقته وقوله فما ينجو من الموت الخ لبس ملتباً مع ما قبله فهو قطعة من كلام آخر

فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى . فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ
وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مَنِيتُ بِعَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ^(١) وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ . لَا
أَبَالَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبِّكُمْ . أَمَّا دِينُ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حِمِيَّةُ
تُحْمِسُكُمْ^(٢) أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِحًا وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا فَلَا تَسْمَعُونَ لِي
قَوْلًا . وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا . حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ
الْمَسَاءَةِ^(٣) فَمَا يُذَرِّكُ بِكُمْ ثَارٌ وَلَا يُبْلِغُ بِكُمْ مَرَامٌ . دَعَوْتُكُمْ إِلَى
نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرَجْتُمْ جَرَجَةَ الْجَمَلِ الْأَسْرِ . وَتَشَاقَلْتُمْ تَشَاقُلَ
النَّضْوِ الْأَذْبَرِ^(٤) ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا
يُسَافِقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ^(٥) . (أَقُولُ) قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ضمه الى هذا على نحو ما جمع الفصول المتقدمة (١) منيت بليت (٢) حمشه كمنصره
جمعه . وحش القوم ساقهم بغضب . أو من أحشه بمعنى أغضبه أى تغضبكم على أعدائكم .
والمستصرخ المستنصر . ومتغوثا أى قاتلا واغوثا (٣) تكشف مضارع حذف زائده
والأصل تكشف أى تكشف ، أى انكم لا تزالون تخالفوننى وتخذلوننى حتى تنجلي
الأمر والأحوال عن العواقب التى تسوءنا ولا تسرنا (٤) الجرجرة صوت يردده البعير
فى حنجرته . والأسر المصاب بداء السرر وهو مرض فى الكركرة ينشأ من الدبرة .
والنضو المهزول من الأبل . والأدبر المدبور أى الجروح المصاب بالدبرة بالتحريك وهى
العقر والجرح من القتب ونحوه (٥) وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين فى غارة

مُتَذَائِبُ أَيْ مُضْطَرَبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ تَذَاءَبَتِ الرِّيحُ أَيْ اضْطَرَبَ
هُبُوبُهَا. وَمِنْهُ مَعَى الذَّنْبُ ذَنْبًا لِاضْطِرَابِ مَشِيَّتِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي الْخَوَارِجِ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَلِمَةً حَقًّا يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ. نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. وَلَكِنْ
هُوَ لَا يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ : وَإِنَّهُ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ
فَاجِرٍ^(١) يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُونَ. وَيَسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ. وَيُبْلَغُ اللَّهُ
فِيهَا الْأَجَلَ. وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ. وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ.
وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوَى حَتَّى يَسْتَرِيحَ بِهِ بَرٌّ وَيُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ
(وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ) حُكْمُ
اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ (وَقَالَ) أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ. وَأَمَّا
الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مَدَّتُهُ وَتَذَرِكَ مَنِئَتُهُ

النجمان بن بشير الانصارى على عين النمر من أعمال أمير المؤمنين وعليها اذ ذلك
من قبله مالك بن كعب الارحى (١) برهان على بطلان زعمهم أنه لا امرة الا لله
بان البداهة قاضية أن الناس لا بد لهم من أمير بر أو فاجر حتى تستقيم أمورهم وولاية
الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لاحراز دينه ودنياه وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه
الاجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة وتجري سائر المصالح
المدكورة، ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار وبالكافر الأمير الفاجر كما

وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ ^(١) وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ . وَلَا يَغْدُرُ
مَنْ عِلْمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ . وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ
الْقَدَرَ كَيْسًا ^(٢) وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ . مَا لَهُمْ قَاتِلَهُمْ
اللَّهُ قَدْ يَرَى الْحَوْلَ الْقُلُوبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَمَنْبِئِهِ
فَيَدْعُهَا رَأَى عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مِنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ
فِي الدِّينِ ^(٣)

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ،

تدل عليه الرواية الأخرى وقوله أما الامرة البرة الخ (١) التوأم الذي يولد مع الآخر
في جل واحد، فالصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر في الوجود
ولا في المنزلة. والجنة بالضم الوقاية. ومن علم أن مرجعه الى الله وهو سريع الحساب
لا يمكن أن يعدل عن الوفاء الى الغدر (٢) الكيس بالفتح العقل وأهل ذلك الزمان
يعدون الغدر من العقل وحسن الحيلة كأنهم أهل السياسة من بنى زماننا. وأمير
المؤمنين يعجب من زعمهم ويقول ما لهم قاتلهم الله يزعمون ذلك مع أن الحول
القلب بضم الأول وتشديد الثاني من اللقطين أى البصير بتحويل الأمور وتقليبها قد
يرى وجه الحيلة في بلوغ مراده لكنه يجد دون الأخذ به مانعا من أمر الله ونهيه
فيدع الحيلة وهو قادر عليها خوفا من الله ووقوفا عند حدوده (٣) الحريجة التحرج

وَطُوبُ الْأَمَلِ^(١). فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ. وَأَمَّا طُوبُ الْأَمَلِ
فَيَنْبَغِي الْآخِرَةَ. أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَاءً^(٢) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا
صُبَابَةٌ^(٣) كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ أَصْطَبَهَا صَاتِبُهَا. أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ
وَلِكُلِّ مِنْهُمَا بَنُونَ. فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ
الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا
حِسَابٌ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ. (أَقُولُ) الْحَذَاءُ السَّرِيعَةُ. وَمِنْ النَّاسِ
مَنْ يَرَوِيهِ جَذَاءً^(٤).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالْأَسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ بَعْدَ إِرْسَالِهِ جَرِيرٍ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ إِلَى مُعَاوِيَةَ

إِنَّ أَسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٌ عَنْدهُمْ إِغْلَاقُ الشَّامِ
وَعَرَفَ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ. وَلَكِنْ قَدْ وَقْتُ لَجَرِيرٍ وَقْتًا

أَيُّ التَّحَرُّزِ مِنَ الْأَنْثَامِ (١) طُولُ الْأَوَّلِ هُوَ اسْتِفْسَاحُ الْأَجْلِ وَالتَّسْوِيفُ بِالْعَمَلِ طَلَبًا
لِلرَّاحَةِ الْعَاجِلَةِ وَتَسْلِيَةٍ لِلنَّفْسِ بِإِمَّاكَانِ التَّدَارُكِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَقْبُولَةِ، وَهَذَا مِنْ أَفْجَحِ
الْصِّفَاتِ. أَمَّا قُوَّةُ الْأَمَلِ فِي نَجَاحِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ثِقَةٌ بِاللَّهِ وَبِقِيْنَا بَعُونَهُ فِيهِ حَيَاةُ كُلِّ
فَضِيلَةٍ وَسَائِقَةُ أَكْلِ مَجْدٍ، وَالْمَحْرُومُونَ مِنْهَا آيِسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَحْسِبُهُمْ أَحْيَاءُ وَهُمْ
أَمْوَاتٌ لَا يَشْعُرُونَ (٢) الْحَذَاءُ بِالتَّشْدِيدِ الْمَاضِيَةُ السَّرِيعَةُ (٣) الصُّبَابَةُ بِالضَّمِّ الْبَقِيَّةُ مِنَ
الْمَاءِ وَاللِّينُ فِي الْإِنَاءِ. وَاصْطَبَهَا صَاتِبُهَا كَقَوْلِكَ أَتَبَّأَهَا مَبْقِيَهَا أَوْ تَرَكَبَهَا تَارِكُهَا (٤) جَذَاءُ

لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا نَحْدُوْعًا أَوْ عَاصِيًا. وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاقَةِ، فَأَرْدُوْا
وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ^(١)

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ^(٢). وَقَدَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ،
فَلَمْ أَرِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالِ أَحْدَثَ
أَحْدَاثًا وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا فَقَالُوا ثُمَّ تَقْمُوا فَغَيَّرُوا^(٣).

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا هَرَبَ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِي إِلَى مُعَاوِيَةَ وَكَانَ ابْتِغَاءَ
سَبِيِّ بَنِي نَاجِيَةٍ مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالجيم أى مقطوع خيرها ودرها (١) يقول أمير المؤمنين انه أرسل جريراً
ليخبر معاوية وأهل الشام فى البيعة له والدخول فى طاعته ولم ينقطع الأمل منهم،
فاستعداده للحرب وجعه الجيوش وسوقها إلى أرضهم اغلاق لأبواب السلم على أهل
الشام وصرف لهم عن الخير أن كانوا يريدونه ، فالرأى الأنافة أى التأتى ولكنه
لا يكره الاعداد أى أن يعد كل شخص لنفسه ما يحتاج اليه فى الحرب من سلاح ونحوه
ويفرغ نفسه مما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعى اليها لم يبطئ فى الاجابة ولم يجد
ما يمنعه عن اقتحامها ، وقوله أرودوا أى سبروا برفق (٢) مثل تقوله العرب فى
الاستقصاء فى البحث والتأمل والفكر. وانما خص الأنف والعين لأنهما أظهر شئ فى
صورة الوجه وهما مستلفت النظر ، والمراد من الكفر فى كلامه الفسق لأن ترك
القتال تهاون بالنهى عن المنكر وهو فسق لا كفر (٣) يريد من الوالى الخليفة الذى
كان قبله، وتلك الأحداث معروفة فى التاريخ وهى التى أدت بالقوم إلى التآلب على
قتله ، ويروى قال بالقاف بدل وال ولا أظنها الا تحريفاً وان كنت أثبت على تفسيرها
فى الطبعة الأولى

وَأَعْتَقَهُمْ^(١) فَلَمَّا طَلَبَهُ بِالْمَالِ خَاسَ بِهِ وَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ^(٢)

قَبَّحَ اللَّهُ مَصْفَلَةَ . فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ . فَمَا أَنْطَقَ
مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَتْهُ . وَلَا صَدَقَ وَاصِفُهُ حَتَّى بَكَتَهُ . وَلَوْ أَقَامَ لِأَخَذِنَا
مَيْسُورَهُ^(٣) . وَانْتَظَرْنَا بِعَالِهِ وَفُورَهُ^(٤)

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ . وَلَا مَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ . وَلَا
مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ . وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ . الَّذِي لَا تَبْرَحُ
مِنْهُ رَحْمَةٌ . وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ . وَالْدُّنْيَا دَارُ مُنَى لَهَا الْفَنَاءُ^(٥) وَلِأَهْلِهَا

(١) كان الخريت بن راشد الناجي أحد بني ناجية مع أمير المؤمنين
في صفين ثم نقض عهده بعد صفين ونقم عليه في التحكيم وخرج يفسد الناس
ويدعوهم للخلاف، فبعث إليه أمير المؤمنين كتيبة مع معقل بن قيس الرياحي لقتاله
هو ومن انضم إليه فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس، وبعد دعوته إلى التوبة
وابائه قبولها شدت عليه فقتل وقتل معه كثير من قومه وسبي من أدرك في رحالهم من
الرجال والنساء والصبيان فكانوا خسمائة أسير. ولما رجع معقل بالسبي مر على مصفلة بن
هيرة الشيباني وكان عاملاً على أردشير خره فبكى إليه النساء والصبيان ونصائح
الرجال يستغيثون في فكاهم فاشترهم من معقل بخمسمائة ألف درهم ثم امتنع من
أداء المبلغ. ولما نقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فراراً تحت أستار الليل (٢) خاس
به خان (٣) ميسوره ما تيسر له (٤) وفوره زيادته (٥) منى لها الفناء الفعل للمجهول

مِنْهَا الْجَلَاءُ . وَهِيَ حُلُوءٌ خَضِرَةٌ ^(١) وَقَدْ عَجَلَتْ لِطَالِبٍ ^(٢) وَالتَّبَسَّتْ
بِقَلْبِ النَّاطِرِ . فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ^(٣) . وَلَا
تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ ^(٤) وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ ^(٥)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَنْ عِزِّهِ عَلَى السَّيْرِ إِلَى شَامٍ ^(٦)

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ^(٧) وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ
الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ
فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَبًا
وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا

أى قدر لها ، والجلاء الخروج من الأوطان (١) تمثيل لها بما يألفه الذوق وبروق
النظر (٢) عجلت للطالب أسرعت إليه ، والتبست بقلب الناظر اختلطت به محبة
وعلاقة (٣) أحسن ما يحضرنكم أى أفضل الأشياء الحاضرة عندكم ، وذلك فاضل
الأخلاق وصالح الأعمال (٤) الكفاف ما يكفك أى يمنعك عن سؤال غيرك وهو
مقدار القوت (٥) البلاغ ما يبلغ به أى يقتات به (٦) وذلك بعد حرب الجبل حيث
اختلف عليه معاوية بن أبى سفيان ولم يدخل فى بيعته وقام للمطالبة بدم عثمان واستهوى
أهل الشام واستنصرهم لأرأه فعزروه على الخلاف ، وسار إليه أمير المؤمنين والتقى
بصفيين وافتتلا مدة غير قصيرة وانتهى القتال بتحكيم الحكيمين عمرو بن العاص
وأبى موسى الأشعري (٧) الوعشاء المشقة ، والكآبة الحزن ، والمنقلب مصدر بمعنى
الرجوع . وأول الكلام مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتب الصحيحة

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ الْكُوفَةِ

كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيَّ ^(١) تُمَرِّكِينَ
بِالنَّوَارِلِ وَتُرْكِيْنَ بِالزَّلَازِلِ . وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ
سُوءًا إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ ^(٢) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ
وَحَفِقَ ^(٣) . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافِ الْإِفْضَالِ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي ^(٤) . وَأَمَرْتُهُمْ بِالزُّورِ هَذَا الْمِلْطَاطِ
حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي . وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّظْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ

وَأَتَمَّه أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ الْخ . وَذَاتَ لَيْلَةٍ تَسْتَوِي عِنْدَهَا الْأُمُكَّةُ
كَمَا تَسْتَوِي الْأَزْمَنَةُ ، فَالْحَضَرُ وَالسَّفَرُ عِنْدَهَا سَوَاءٌ ، وَلَيْسَ هَذَا الشَّأْنُ لَغَوِيٍّ لِغَيْرِ الذَّاتِ
الْأَقْدَسِ (١) الْعُكَاظِيَّ نِسْبَةً إِلَى عُكَاظِ كَنْعَرَابٍ وَهُوَ سَوَاقٌ كَانَتْ تَقِيْمُهُ الْعَرَبُ فِي
صَحْرَاءَ بَيْنَ نَخْلَةٍ وَالطَّائِفِ يَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ مِنْ بَدَايَةِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ لِيَتَعَاكُظُوا أَيْ
يَتَفَاخَرُوا كُلُّ بِنَا لَدَيْهِ مِنْ فَضِيلَةٍ وَأَدَبٍ . وَيَسْتَمِرُّ إِلَى عَشْرِينَ عَامًا وَلِيَتَبَايَعُوا أَيْضًا .
وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُبَاعُ بِتِلْكَ السُّوقِ الْأَدِيمِ فَنَسَبَ إِلَيْهَا ، وَالْأَدِيمُ الْجِلْدُ الْمَدْبُوعُ ، وَجَسَدُهُ
أَدَمُ بِنَفْسَتَيْنِ وَضَمَتَيْنِ ، وَأَأْدَمَةُ كَأَرْغَفَةٍ . وَقَوْلُهُ تُمَدِّينَ الْخ . تَصْوِيرُ لِمَا يَنَالُهَا مِنَ الْعُسْفِ
وَالْخَبْطِ ، وَتَعْرِكِينَ مِنْ عُرْكَتِهِمْ الْحَرْبِ إِذَا مَارَسْتَهُمْ ، وَالنَّوَارِلُ الشَّدَائِدُ ، وَالزَّلَازِلُ
الْمُرْعَجَاتُ مِنَ الْخُطُوبِ (٢) وَقَبَ دَخَلَ ، وَغَسَقَ اشْتَدَّتْ ظِلْمَتُهُ (٣) خَفِيَ الْجَمُّ
غَابَ ، وَلَاحَ أَظْهَرَ (٤) أَرَادَ بِمُقَدِّمَتِهِ صَدْرَ جَيْشِهِ ، وَمُقَدِّمَةُ الْإِنْسَانِ بِفَتْحِ الدَّالِ

مِنْكُمْ مُوَطِّنِينَ أَكْنَافَ دَجَلَةٍ^(١) فَأَنْهَضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ
وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ^(٢). (أَقُولُ يَعْنِي عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَلَطَاطِ هَاهُنَا
السَّمْتُ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ وَهُوَ شَاطِئُ الْفَرَاتِ . وَيُقَالُ ذَلِكَ أَيْضًا
لِشَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَأَصْلُهُ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ . وَيَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءُ
الْفَرَاتِ . وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الْعِبَارَاتِ وَعَجِيبَهَا)

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ^(٣) . وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ
الظُّهُورِ . وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ . فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ . وَلَا قَلْبُ
مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ^(٤) . سَبَقَ فِي الْعُلُوفِ شَيْءٌ أَعْلَى مِنْهُ . وَقَرُبَ فِي الدُّنُورِ

صدره ، والملاطاط حافة الوادي وشفيره ، وساحل البحر ، والسمت أى الطريق ، وقول
الشریف يعنى بالملاطاط السمت تبين لمراد أمير المؤمنين من لفظ الملاطاط فى كلامه
لا تفسير للفظ فى نفسه ، وقوله وهو شاطئ الفرات بيان للسمت أى الطريق ،
وقوله ويقال ذلك - أى لفظ الملاطاط - تفسير للفظ الملاطاط فى استعمال اللغويين ، فاندفع بهذا
ما أورده ابن أبى الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى (١) الشريعة النفر
القليلون ، والأكناف الجوانب . وموطنين الأكناف أى جعلوها وطنًا . يقال أوطنت
البقعة (٢) الامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش لتقويته . وهذه الخطبة نطق بها
أمير المؤمنين وهو بالنخيلة خارجا من الكوفة الى صفين لخمس بقين من شوال سنة
سبع وثلاثين (٣) بطن الخفيات علمها ، والاعلام جمع علم بالتحريك وهو المنار يهتدى
به ثم عم فى كل ما دل على شىء ، وأعلام الظهور الأدلة الظاهرة التى بظهورها يظهر
غيرها (٤) كان الا ليق بعد قوله وامتنع على عين البصير ما جاء فى رواية أخرى وهو

فَلَا شَيْءٌ أَقْرَبُ مِنْهُ ^(١). فَلَا أَسْتَعْلَاؤُهُ بِأَعْدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَلَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ . لَمْ يُطْلِعِ الْقَوْلَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ . وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ . فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ . عَلَى إِفْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ ^(٢) تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاهِدُونَ لَهُ عُلوًّا كَبِيرًا

وَمِنْ كَلَامِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّمَا بَدَأَ وَوُجِعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ . وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ . يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ . وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا ^(٣) عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ . فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُؤْتَادِينَ . وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ لَانْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ ^(٤) وَلَكِنْ

فلا قلب من لم يره ينكره، ولا عين من أثبتته تبصره. وما جاء في الكتاب معناه أن من لم يره لا ينكره اعتمادا على عدم رؤيته لظهور الأدلة عليه. ومن أثبتته لا يستطيع اكتناء حقيقته (١) علا كل شيء بذاته وكماله وجلاله وقرب من كل شيء بعلمه وإرادته وإحاطته وعنايته فلا شيء الا وهو منه فأى شيء يبعد عنه (٢) ان قلب الجاحد أن انكره فما انكاره الا افتعال مما عرض عليه من أثر الفواعل الخارجة عن فطرته. وظهور اعلام الوجود في الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره قلب الجاحد. فلا مناص له من الافرار في الواقع وان ظهر الجحود في كلامه وبعض أعماله (٣) يستعين عليها رجال برجال (٤) المرتادين الطالبين للحقيقة أى لو كان الحق خالصا من ممازجة

يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِفْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِفْثٌ^(١) فَيُزَجَّانِ ، فَهَذَاكَ يَسْتَوِي
الشَّيْطَانُ عَلَى أُولِيَاءِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى

وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا غَلَبَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ أَصْحَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى شَرِيعَةِ
الْفُرَاتِ بِصِفِّينَ وَمَنْعَوْهُمْ مِنَ الْمَاءِ^(٢)

قَدْ اسْتَطَعْمَوْكُمْ الْقِتَالَ^(٣) فَقَرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ . وَتَأْخِيرِ حَمَلَةٍ . أَوْ
رَوْوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوْا مِنَ الْمَاءِ . فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ .
وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادِلُمَةٌ مِنَ الْفَوَاةِ^(٤) .
وَعَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرُ^(٥) حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ

الباطل ومشابهته لكان ظاهرا لا يخلو على من طلبه (١) الضفث بالكسر قبضة من
حشيش مختلط فيها الرطب باليابس، يريد أنه ان أخذ الحق من وجه لم يعدم شبيها له
من الباطل يلتبس به . وان نظر الى الباطل لاح كأن عليه صورة الحق فاشتبه به،
فذلك ضفث الحق وهذا ضفث الباطل . ومصادر الاهواء التي ينشأ عنها وقوع الفتن
انما هي من الالتباس الواقع بين الحق والباطل (٢) الشريعة مورد الشاربة من
النهر (٣) طلبوا منكم أن تطعموهم القتال كما يقال فلان يستطعمني الحديث أى
يستدعيه منى . وقوله فقروا الخ أى امان تثبتوا على الذل وتأخر المنزل ، واما أن ترووا
سيوفكم الخ (٤) اللمة بضم اللام وتشديد الميم الاصحاب في السفر، وبتخفيفها الجلة
القليلة مطلقا، أو من الثلاثة الى العشرة . والتقليل استفاد من الأول بطريق الكناية،
ومن الثاني على الحقيقة الصريحة . وفي الأول الإشارة إلى انهم ليسوا بأهل حرب
(٥) عمس الكتاب والخبر كنصر اخفاء . وعمست عليه اذا أريته أنك لا تعرف الأمر

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١)

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنْتْ بِوَدَاعٍ وَتَنَكَّرَتْ مَعْرُوفَهَا .
وَأَذْبَرَتْ حَذَاءً ^(٢) فَهِيَ تَحْفَزُ بِالْفَنَاءِ سَكَّانَهَا ^(٣) وَتَحْذَرُ بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا ^(٤)
وَقَدْ أَمَرَ مِنْهَا مَا كَانَ حُلُومًا . وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا ^(٥) . فَلَمْ يَبْقَ
مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ ^(٦) . أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ ، لَوْ تَمَزَّزَهَا
الصَّدَيَانُ لَمْ يَنْقَعْ ^(٧) . فَأَرْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ، الْمَقْدُورِ
عَلَى أَهْلِهَا الرِّوَالِ ^(٨) . وَلَا تَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأُمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ

وَأَنْتَ بِهِ عَارِفٌ ، وَالْأَغْرَانُ لِنَجْعِ غَرَضٍ وَهُوَ الْهَدَفُ (١) حَذَاءً : مَسْرَعَةً . وَرَحِمَ حَذَاءً
مَقْطُوعَةً غَيْرَ مَوْصُولَةٍ . وَفِي رِوَايَةٍ حَذَاءً بِالْجَمِّ أَيْ مَقْطُوعَةَ الدَّرِّ وَالْخَيْرِ (٢) تَحْفَزُهُمْ
تَدْفَعُهُمْ وَتَسْوِغُهُمْ ، حَفْزُهُ يَحْفَظُهُ دَفْعُهُ مِنْ خَلْفِهِ . أَوْ هُوَ بِمَعْنَى نَظْعُهُمْ مِنْ حَفْزِهِ بِالرَّحِ
طَعْنِهِ (٣) تَحْذَرُ بِالرَّاءِ مِنْ بَابِ انْصَرَفَ وَضَرَبَ أَيْ تَحْوِصُهُمْ بِالْمَوْتِ . وَفِي رِوَايَةٍ وَهِيَ
الْحَاشِيحَةُ تَحْدَرُ بِالْوَاوِ بَعْدَ الدَّالِ أَيْ تَسْوِفُهُمْ بِالْمَوْتِ إِلَى أَهْلَاكَ فَتَكُونُ الْفَقْرَةُ فِي مَعْنَى
مَنْبِئِهَا مَوْكِدُهَا (٤) أَمْسَ الشَّيْءُ دَسَارَ مَرَأٍ . وَكَدِرَ كَسَرَجٍ كَدِرًا وَكَطَرَفَ كَدُورَةٍ
تَفَكَّرَ وَتَغَيَّرَ لِيَتَّ . وَاخْتَلَطَ بِمَا لَا يَسَاحُ هُوَ مَعَهُ (٥) السَّمَلَةُ مَخْرَكٌ بِقِيَةِ الْمَاءِ فِي الْخَوْضِ .
وَالْإِدَاوَةُ الطَّيْرَةُ (٦) إِنْاءُ الْمَاءِ الَّذِي يَنْظُرُ بِهِ (٧) وَالْمَقْلَةُ بِالضَّمِّ حَصَاةٌ يُضَعُّهَا الْمَسَافِرُونَ فِي
إِنْاءٍ ثُمَّ يَصْبُونَ الْمَاءَ فِيهِ لِيَسْمُرَ بِهَا فَيَذُلُّ كُلُّ مَنْهُمْ مَقْدَارَ مَا تَعْمُرُهَا لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمْ عَنْ
الْآخَرِ فِي نَصِيبِهِ ، يَضَعُونَ ذَلِكَ إِذَا قَالُوا الْمَاءُ أَرَادُوا قِسْمَتَهُ بِالسُّوْبَةِ (٨) التَّمَزُّزُ الْإِمْتِصَاصُ
قَلِيلًا قَلِيلًا ، وَالصَّدَيَانِ الْعَطَشَانِ وَزِيلَهُ لَمْ يَنْقَعْ أَيْ لَمْ يَرْوِ (٩) فَأَرْمِعُوا الرِّحَالَ أَيْ
عَزَمُوا عَلَيْهِ . يَقَالُ أَرْمِ الْأُمُورَ لَا يَقَالُ أَرْمِعْ عَلَيْهِ ، وَجُوزُهُ الضَّرَاءُ بِمَعْنَى عَزَمَ عَلَيْهِ وَأَجْعَ .

(١) فِي نَسْخَةِ زِيَادَةَ : « قَدْ عَزَمَ خَارِجًا بِرِوَايَةٍ وَتَذَكَّرَهَا هَاهُنَا بِرِوَايَةِ أُخْرَى لِتَغْيِيرِ الرَّوَايَتَيْنِ »

الْأَمْدُ . فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوَلِهِ الْعِجَالِ ^(١) . وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ ^(٢) وَجَارْتُمْ جُورًا مُتَبَتِّلِ الرَّهْبَانِ ^(٣) . وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ الْيَمَاسِ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي أَرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَخَصَّهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ ^(٤) ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُوا لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ ، وَاللَّهِ لَوْ أَنْمَأَتْ قُلُوبُكُمْ أَنْمِيَاءًا ^(٥) وَسَأَلَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عُمَرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ ^(٦) مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ . وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جَهْدِكُمْ . أَنْعَمَ عَلَيْكُمْ الْعِظَامَ وَهَدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ ^(٧)

فِي ذِكْرِ يَوْمِ الْخُرُوجِ وَصِفَةِ الْأَضْحِيَّةِ

وَمِنْ كَمَالِ الْأَضْحِيَّةِ اسْتَشْرَافُ أَذْنِهَا ^(٨) وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا . فَإِذَا سَلِمَتِ

والمراد من العزم على الرحيل مراعاته والعمل له (١) كل انشئ فقدت ولدها فهي واله ووالهة. والعجول من الابل التي فقدت ولدها (٢) هديل الحمام صوته في بكائه لفقد الفه (٣) جارتهم رفعتم أصواتكم . والجوار الصوت المرتفع ، أى نصرعتم الى الله بأرفع أصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل . والمتبتل المنقطع للعبادة (٤) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد (٥) انمأَتْ ذابت (٦) ما الدنيا باقية أى مدة بقائها (٧) قوله ماجزت جواب لو انمأَتْ . وقوله أنعمه عليكم العظام مفعول جزت أى ما كافأ ذلك أنعمه الكبار عليكم . وقوله ولو لم تبقوا شيئاً الخ اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفي في الجواب . وقوله وهداه إياكم عطف على أنعمه عطف الخاص على العام ، فان الهداية إلى الإيمان من اكبر النعم (٨) الاضحية الشاة التي

الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ . وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءُ الْقَرْنِ^(١)
تَجَرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسْكِ^(٢) (قَالَ الرَّضِي وَالْمَنَسْكِ هُنَا الْمَذْبَحُ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَقَدَا كُؤَا عَلَى تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وَرِدِهَا^(٣) قَدْ أُرْسِلَهَا رَاعِيهَا
وَحُلِمَتْ مَثَانِيهَا^(٤) حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ .
وَقَدْ قَلَبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنُهُ وَظَهَرَهُ . فَمَا وَجَدْتُني يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ
أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٥) فَكَانَتْ مُعَالَجَةً
الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَىَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ . وَمَوَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَىَّ مِنْ
مَوَاتِ الْآخِرَةِ

طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى ، واستشرف الأذن تفقدها
حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة . وفي الحديث أمرنا أن نستشرف العين والأذن أى
تتفقددها وذلك من كمال الأضحية أى من كمال عملها وتأدية سنتها ، وتكون سلامة
عينها عطفاً على أذنها . وقد برأ من استشرف الأذن طولها وانتصابها . أذن شرفاء أى
منتصبه طويلة فسلامة عينها عطف على استشراقه والتفسير الأول أمس بقوله فاذا
سالت الأذن (١) عضباء القرن مكسورته (٢) تجر رجلها الى المنسك أى عرجا .
والمنسك المذبح . وفي صفات الأضحية وعيوبها المحلة بها تفصيل وخلافات تطلب من
كتب الفقه (٣) ندا كؤا تزاوجوا عليه ليبياعوه رغبة فيه . والهيم العطاش . ويوم ورددها
يوم شربها (٤) جمع المثناة بفتح الميم وكسرها جبل من صوف أو شعر يعقل به
البعير (٥) قتال البغاة من الواجب على الامام ، فان لم يقاتلهم على قرة منه كان منابذا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ اسْتَبْطَأَ أَصْحَابُهُ إِذْنَهُ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ بِصِفِّينَ

أَمَّا قَوْلُكُمْ أ كُلُّ ذَلِكَ كَرَاهِيَّةَ الْمَوْتِ فَوَاللَّهِ مَا أَتَانِي أَدَخَلْتُ
إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ^(١). وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ السَّامِ
فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ
بِي وَتَعْشُوا إِلَى ضَوْئِي، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ
كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا
وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا . مَا نَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ^(٢)

لأمر الله في ترك ما أوجب عليه فكأنه جاهد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
(١) روى أن أمير المؤمنين بعدما ملك الماء على أصحاب معاوية ساءهم فيه رجاء
أن يعطفوا إليه، ولزوما للمعداة وحسن السيرة، ومكث أياما لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه
منه شيء، واستبطن الناس أذنه في قتال أهل الشام. واختلفوا في سبب التريث فقال
بعضهم كراهة الموت، وقال بعضهم الشك في جواز قتال أهل الشام، فاجابهم: أما الموت لم يكن
ليبالى به، وأما الشك فلا موضع له وإنما يرجو بدفع الحرب أن يتجاوزوا إليه بلا قتال
فإن ذلك أحب إليه من القتال على الضلال وإن كان الأثم عليهم. وتبوء بآثامها ترجع
بها. وتعشوا إلى ضوئه تستدل عليه وإن كان يبصر ضعيف في ظلام الفتن فهتدى إليه.
عشا إلى النار أبصرها لئلا يبصر ضعيف فقصدها (٢) اللقم بالنحر يك معظم الطريق

وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ . وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا
وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوَّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ . يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا^(١)
أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْنُّونِ . فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوَّنَا . وَمَرَّةً لِعَدُوَّنَا
مِنَّا . فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوَّنَا الْكَبْتَ^(٢) وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ
حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ^(٣) . وَتُبُوْنَا أَوْطَانَهُ . وَلَعَمْرِي لَوْ
كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عُمُودٌ . وَلَا أَخْضَرَ لِلْإِيْمَانِ عُودٌ . وَإِيْمُ
اللَّهِ لَتَحْتَبِئُنَّهَا دَمًا^(٤) ، وَلَتَذْبَعُنَّهَا نَدَمًا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَخْبُ الْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ
الْبَطْنِ^(٥)

أَوْجَادَتِهِ . وَمَضَضِ الْأَلَمِ لَذَعَتِهِ وَبِرَاحَتِهِ^(١) يَتَخَالَسَانِ كُلٌّ يَطْلُبُ اخْتِلَاسَ رُوحِ الْآخَرِ .
وَالْتَصَاوُلُ أَنْ يَحْمِلَ كُلُّ قَرْنٍ عَلَى قَرْنِهِ^(٢) الْكَبْتَ الذَّلَّ وَالْخِذْلَانَ^(٣) جِرَانَ الْبَعِيرِ
بِالْكُسْرِ مُقَدِّمَ عُنُقِهِ مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَنْحَرِهِ . وَالْقَاءُ الْجِرَانِ كُنْيَاةٌ عَنِ التَّمَكُّنِ
(٤) الْإِحْتِلَابِ اسْتِخْرَاجِ مَا فِي الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ . وَالضَّمِيرُ الْمَنْصُوبُ يَعُودُ إِلَى أَعْمَالِهِمُ
الْمَنْهُومَةِ مِنْ قَوْلِهِ مَا أَتَيْتُمْ . وَاجْتِلَابِ الدَّمِ تَمْثِيلِ لاجْتِرَارِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ سُوءَ الْعَاقِبَةِ مِنْ
أَعْمَالِهِمْ ، وَسَيَتَبَعُونَ تِلْكَ الْأَعْمَالُ بِالدَّمِ عِنْدَ مَا تُصِيبُهُمْ دَائِرَةُ السُّوءِ أَوْ تُحِلُّ قَرِيبًا مِنْ
دَارِهِمْ (٥) مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ عَظِيمُ الْبَطْنِ بَارِزُهُ كَأَنَّهُ لِعَظْمِهِ مُنْدَلِقٌ مِنْ بَدَنِهِ يَكَادُ يَبِينُ
عَنهُ . وَاصِلُ الْمُنْدَحِقِ بِمَعْنَى ائْتِلَاقِ وَفِي الرَّحِمِ خَاصَّةً ، وَالدَّحُوقُ مِنَ النُّوْقِ الَّتِي يُخْرِجُ
رَحِمُهَا عِنْدَ الْوِلَادَةِ . وَزَحْبُ الْبُلْعُومِ وَاسِعُهُ . يُقَالُ عَنِّي بِهِ زِيَادًا . وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ عَنِّي الْمَغْبِرَةُ

يَا كُلُّ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ . فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ ^(١) . أَلَا وَإِنَّهُ
سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِيٍّ وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي . فَأَمَّا السَّبُّ فُسُبُّونِي فَإِنِّي لِي زَكَاةٌ
وَلَكُمْ نَجَاةٌ . وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَّبِعُوا مِنِّي فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ،
وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ ^(٢)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَلِمَةُ الْخَوَارِجِ

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ ^(١) وَلَا يَبْقَى مِنْكُمْ آبِرٌ . أَبْعَدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ
وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكَفْرِ . لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . فَأَوْبُوا شَرَّ مَا بٍ . وَأَرْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ . أَمَّا
إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا . وَسَيْفًا قَاطِعًا . وَآثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ
فِيكُمْ سُنَّةً ^(٥)

ابن شعبة والبعض يقول معاوية (١) هذا الأمر (٢) قد تسب شخصاً وأنت مكره
ولحبه مستبطن فتنبجو من شرمن أكرهك . وما أكرهك على سبه المستعظم لأمره
يريد أن يحط منه وذلك زكاة للمسبوب . أما البراءة من شخص فهي الانسلاخ من
مذهبه (٣) زعم الخوارج خطأ الامام في التحكيم ، وغاوا فشرطوا في العودة إلى طاعته
أن يعترف بأنه كان كفر ثم آمن ، نفاطبيهم بما منه هذا الكلام (٤) الحاصب ريح
شديدة تحمل الحصباء والجللة دعاء عليهم بالهلاك (٥) أو بواشر ما ب : انقلبوا شر
منقلب بضالكم في زعمكم ، وارتدوا على اعقابكم بفساد هواكم فلن يضرن ذلك

(قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلَا يَبْقَى مِنْكُمْ آبِرٌ يُرَوَى بِالْبَاءِ وَالرَّاءِ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ آبِرٌ لِلَّذِي يَأْبِرُ النَّخْلَ أَيْ يُصْلِحُهُ. وَيُرَوَّى آبِرٌ وَهُوَ الَّذِي يَأْبِرُ الْحَدِيثَ أَيْ يَرْوِيهِ وَيَحْكِيهِ، وَهُوَ أَصَحُّ الْأُجُوهِ عِنْدِي. كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ (لَا يَبْقَى مِنْكُمْ مُخْبِرٌ. وَيُرَوَّى آبِرٌ بِالزَّيِّ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ الْأَوَائِبُ. وَالْمَالِكُ أَيْضًا يَقُولُ لَهُ آبِرٌ)

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَمَّ عَلَى حَرْبِ الْخَوَارِجِ
وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ عَبَدُوا جِسْرَ النَّهْرِ وَإِنْ

مَصَارِعُهُمْ دُونَ النُّظْفَةِ. وَاللَّهُ لَا يَفْلِتُ مِنْهُمْ عَشْرَةٌ^(١) وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشْرَةٌ. (يَعْنِي بِالنُّظْفَةِ مَاءَ النَّهْرِ وَهُوَ أَفْصَحُ كِنَايَةٍ عَنِ الْمَاءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا جَمًّا)

وَلَمَّا قُتِلَ الْخَوَارِجُ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْكَ الْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ (قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَلَّا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ نُظْفٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ^(٢). كُلَّمَا نَجِمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ

شَيْئًا وَأَنَا عَلَى بَصِيرَةٍ فِي أَمْرِي. ثُمَّ انْدَرَجَ بِمَا سَيَلَقُونَ مِنْ سُوءِ الْمُنْقَلَبِ وَالْآثَرَةِ وَالْإِسْتِبْدَادِ فِيهِمْ وَالْإِخْتِصَاصِ بِفَوَائِدِ الْمُلْكِ دُونَهُمْ وَحُرْمَتِهِمْ مِنْ كُلِّ حَقٍّ لَمْ (١) أَنَّهُ مَا نَجَا مِنْهُمْ إِلَّا تِسْعَةٌ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ، وَمَا قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا ثَمَانِيَةٌ (٢) قَرَارَاتِ النِّسَاءِ كِنَايَةٌ عَنِ الْأَرْحَامِ، وَكُلَّمَا نَجَا مِنْهُمْ قَرْنٌ: أَيْ كُلَّمَا ظَهَرَ وَطُلِعَ مِنْهُمْ

لُصُوصًا سَلَابِينَ. (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ) لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي
فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ. (بَعْنَى
مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ^(١))

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَمَّا خُوفَ مِنَ الْغِيلَةِ^(٢)

وَإِنْ عَلَى مِنَ اللَّهِ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ^(٣)، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي
وَأَسْلَمْتَنِي، فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَلَا يَبْرَأُ الْكَلِمُ^(٤)
وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا^(٥). وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ

رئيس قتل حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصا سلابين لا يقومون بملك
ولا ينتصرون إلى مذهب ولا يدعون إلى عقيدة شأن الأشرار الصعاليك الجهلة
(١) الخوارج من بعده وإن كانوا قد ضلوا بسوء عقيدتهم فيه إلا أن ضلتهم لشبهة
تمكنت من نفوسهم فاعتقدوا الخروج عن طاعة الإمام مما يوجب الدين عليهم. فقد
طلبوا حقا وتقريره شرعا فأخطأوا والصواب فيه، لكنهم بعد أهر المؤمنين يخرجون
بزعمهم هذا على أن غلب على الأمر بغير حق وهم الملوك الذين طلبوا الخلافة باطلا
فأدركوها ووليسوا من أهلها. فالخوارج على ما بهم أحسن حالا منهم (٢) الغيلة القتل
على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل (٣) جنة بالضم وقاية (٤) الكلم
بالفتح الجرح (٥) أي من أراد السلامة من محنتها فليهيئ وسائل النجاة وهو فيها

كَانَ لَهَا^(١). أُبْتَلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُسِبُوا عَلَيْهِ^(٢). وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ. وَإِنَّمَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَى الظِّلُّ^(٣) يَنَّا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ^(٤)، وَزَائِدًا حَتَّى تَقْصَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ^(٥) وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ^(٦). وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ^(٧). وَأُسْتَعِدُّوا

اذ بعد الموت لا يمكن التدارك ولا ينفع الندم. فوسائل النجاة اما عمل صالح أو اقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح وكلاهما لا يكون إلا في دار التكليف وهي دار الدنيا (١) أي لا نجاة بعمل يعمل للدنيا اد كل عمل يقصد به لذة دنيوية فانية فهو هلكة لا نجاة (٢) ما أخذه منها لها كلال يذخر للذة ويقتنى لقضاء الشهوة. وما أخذه لغيرها كلال ينفق في سبيل الخيرات يقدم صاحبه في الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم (٣) اضافة النفي إلى الظل اضافة الخاص للعام لأن النفي لا يكون الا بعد الزوال (٤) سايغا ممتدا سائرا للأرض. وقلص انقبض، وحتى هنا لمجرد الغاية بلا تدريج، أي ان غاية سبوغه الانقباض وغاية زيادته النقص (٥) بادروا الآجال بالأعمال لئى سابغوها وعاجلوها بها أي استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم (٦) ابتاعوا اشترى ما يبقى من النعيم الأبدي بنا يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية (٧) الترحل الانتقال والمراد منه هنا لازمه وهو اعداد الزاد الذي لابد منه للراحل ، والزاد في الانتقال عن الدنيا ليس الا زاد التقوى. وقوله فقد جد بكم أي فقد حثتم وازعجتم الى الرحيل ، أو فقد

لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَكُمْ^(١). وَكُونُوا قَوْمًا صَيِّحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا^(٢). وَعَلِمُوا
أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبَدَّلُوا. فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ
عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً^(٣). وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ إِلَّا
الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ^(٤). وَإِنْ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ
لَجْدِيرَةٍ بِقَصْرِ الْمُدَّةِ^(٥). وَإِنْ غَائِبًا يَحْدُوهُ الْجُدِيدَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ - لَحَرِيٍّ
بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ^(٦). وَإِنْ قَادِمًا يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشَّقْوَةِ لِمُسْتَحَقٍّ لِأَفْضَلِ

أُسْرِعَ بَكُمِ مُسْتَرَحِّلِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (١) الاستعداد للموت أعداد العدة له
أُطلب العدة، للقاءه، ولا عدة له إلا الأعمال الصالحة. وقوله فقد اظلملكم: أى قرب منكم حتى
كأن له ظلا قد ألقاه عليكم (٢) أى كونوا قوما حذرين إذا استنامتم الغفلة وقتنا
ما ثم صاح بهم صائح للموعظة انتبهوا من نومهم وهبوا لطلب نجاتهم. وقوله وعلموا
أى آخره أى عرفوا الدنيا وانها ليست بدار بقاء وقرار فاستبدلوا بدار الآخرة
وهى الدار التى ينتقل اليها (٣) تعالى الله أن يفعل شيئا عبثا، وقد خلق الانسان
وآتاه قوة العقل التى تصغر عندها كل لذة دنيوية ولا تقف رغائبها عند حد منها مهما
علت رتبته فكأنها مفطورة على استصغار كل ما تلاقيه فى هذه الحياة وطلب غاية
أعلى مما يمكن أن ينال فيها، فهذا الباعث الفطرى لم يوجد الله تعالى عبثا بل هو
الدليل الوجدانى المرشد الى ما وراء هذه الحياة وسدى. أى مهملين بلاراع يزجركم عما
يضركم ويسوقكم الى ما ينفعكم. ورعاتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخلفاؤهم
(٤) أن ينزل به فى محل الرفع بدل من الموت أى ليس بين الواحد منا وبين الجنة
إلا نزول الموت به ان كان قد أعد لها عديتها، ولا يئنه وبين النار إلا نزول الموت به ان
كان قد عمل بعمل أهلها، فابعد هذه الحياة إلا الحياة الأخرى وهى اما شقاء واما نعيم
(٥) تلك الغاية هى الأجل، وتنقصها أى تنقص أمد الانتهاء اليها، وكل لحظة تمر فى
نقص فى الأمد بيننا وبين الأجل والساعة تهدم ركنًا من ذلك الأمد وما كان كذلك
فهو جدير بقصر المدة (٦) ذلك الغائب هو الموت، ويحدوه يسوقه، الجديدان الليل

الْعُدَّة . فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا ^(١)
فَاتَّقِ عَبْدُ رَبِّهِ . نَصَحَ نَفْسَهُ . قَدَّمَ تَوْبَتَهُ . وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ ^(٢) فَإِنْ أَجَلَهُ
مَسْتَوْرٌ عَنْهُ . وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ
لِيَرْكَبَهَا وَيُمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا ^(٣) حَتَّى تَنْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا
يَكُونُ عَنْهَا ^(٤) فَيَأْلَاهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً ^(٥)
وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ . نَسَّأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ
لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ ^(٦) وَلَا تُقْصِرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً . وَلَا تَحُلْ بِهِ بَعْدَ
الْمَوْتِ نَدَامَةً وَلَا كَاِبَةً

والنهار لأن الأجل المقسوم لك ان كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بمرورهما عليك
يسوقان اليك ذلك المنتظر على رأس الألف وما أسرع مرهما والانتهاى الى الغاية، وما أسرع
أوبة ذلك الغائب الذى يسوقانه اليك . أى رجوعه . والموت هو ذلك القادم اما بفوز
واما بشقوة. وعدته الاعمال الصالحات والملكات الفاضلة (١) ما تحرزون به أنفسكم أى
تحفظونها به وذلك هو تقوى الله فى السر والنجوى وطاعة الشرع وعصيان الهوى
(٢) قوله فاتقى عبده وما بعده أو امر بصيغة الماضى، ويجوز أن يكون بياناً للتزود
المأمور به فى قوله فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم، أو بياناً لما يحرزون به
أنفسهم (٣) يسوفها أن يؤجلها أو يؤخرها (٤) قوله اغفل ما يكون حال من الضمير فى عليه.
والنية الموت أى لا يزال الشيطان يزىن له المعصية ويمنيه بالتوبة أن تكون فى مستقبل
العمر ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو فى أشد الغفلة عنه (٥) يكون عمره حجة عليه
لانه أوتى فيه المهلة ويمكن فيه من العمل فلم ينشط له (٦) لا تبطره النعمة لا تطغيه ولا تسدل

وَمِنْ حُطْبَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا^(١) . فَيَكُونُ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ
يَكُونَ آخِرًا . وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا كُلُّ مُسَمًّى
بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ^(٢) . وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ . وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ
ضَعِيفٌ . وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ . وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ . وَكُلُّ
قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ . وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصْمُ عَنْ لَاحِظِ الْأَصْوَاتِ
وَيُصِمُهُ كَبِيرُهَا وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا^(٣) . وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ

على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر إليه (١) ماله من وصف فهو لذاته يجب بوجودها،
فكما ان ذاته سبحانه لا يدنو منها التغير والتبدل، فكذلك أوصافه هي ثابتة له معالاً يسبق
منها وصف وصفا وان كان مفهومها قد يشعر بالتعاقب اذا أضيفت الى غيره، فهو أول
وأخر أزلا وأبداً، أى هو السابق بوجوده لكل موجود، وهو بذلك السبق باق لا يزول
وكل وجود سواء فعلى أصل الزوال مبناه، ثم هو في ظهوره بادلة وجوده باطن بكنهه
لا تنركه العقول ولا تحوم عليه الأوهام (٢) الواحد أقل العدد ومن كان واحداً
منفرداً عن الشريك محروماً من المعين كان محتقراً لضعفه ساقطاً لقلته انصاره . أما
الوحدة في جانب الله فهي علو الذات عن التركيب المشعر بلزوم الانحلال وتفردها
بالعظمة والسلطان وفناء كل ذات سواها اذا اعتبرت منقطة النسبة اليها فوصف غير
الله بالوحدة تقليل والكمال في عاله أن يكون كثيراً، الا الله فوصفه بالوحدة تقديس
وتنزيه ، وبقية الأوصاف ظاهرة (٣) السامعون من الحيوان والانسان لغوى سمعهم
حد محدود فما خفى من الأصوات لا يصل اليها فهي صماء عنه . فيصم بفتح الصاد
مضارع صم اذا أصيب بالصمم وفقد السمع، وما عظم من الأصوات حتى فات المؤلف

خَفِيَ الْأَلْوَانِ وَالطَّيْفِ الْأَجْسَامِ . وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ . وَكُلُّ
بَاطِنٍ غَيْرُهُ ظَاهِرٌ ^(١) . لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلَا
تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ . وَلَا أَسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ ^(٢) . وَلَا شَرِيكَ
مُكَاتِرٍ وَلَا صِدِّ مُنَافِرٍ . وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ . وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ ^(٣)
لَمْ يَخْلُقْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ . وَلَمْ يَنْشَأْ عَنْهَا فَيُقَالُ هُوَ مِنْهَا
بَائِنٌ ^(٤) . لَمْ يُوَدِّهِ خَلْقٌ مَا أَيْتَدَأْ ^(٥) وَلَا تَذِيرٌ مَا ذَرَأَ ^(٦) وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ
عَمَّا خَلَقَ . وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فَيَمَاقِضِي ^(٧) وَقَدَّرَ ^(٧) . بَلْ قَضَاءٌ مُتَقَنَّ

الذى استطاع احتماله يحدث فيها الصمم بصدعه لها فيصم بكسر الصاد مضارع أصم
وما بعد من الأصوات عن السامع بحيث لا يصل موج الهواء المتكيف بالصوت إليه ذهب
عن تلك القوى فلا تناله ، كل ذلك في غيره سبحانه ، أما هو جل شأنه فيستوى عنده
الخفى والشديد والقريب والبعيد لأن نسبة الأشياء إليه واحدة ومثل ذلك يقال في
البصر والبصراء (١) الباطن هنا غيره فيما سبق أى كل ما هو ظاهر بوجوده الموهوب
من الله سبحانه فهو باطن بذاته أى لا وجود له في نفسه فهو معدوم بحقيقته وكل
باطن سواه فهو بهذا المعنى فلا يمكن أن يكون ظاهراً بذاته بل هو باطن أبداً
(٢) السد النظير والمثل ، والمثاور الموائب والمحارب ، والشريك المكائر أى المفاخر
بالكثرة . هذا إذا قرئ بالثاء المثلثة ، وبروى المكابر بالباء الموحدة أى المفاخر بالكبر
والعظمة ، وال ضد المنافر أى المحاكم في الرفعة والحسب ، يقال نافرته في الحسب فنفرته أى
غلبته واثبت رفعتي عليه (٣) مريبون أى مملوكون . وداخرون اذلاء من دخر ذل
وصغر (٤) لم ينشأ عنها أى لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن أى منفصل
(٥) يودده أى لم يثقله . آده الأمر أثقله وأنعبه (٦) ذراً أى خلق (٧) ولجت عليه

وَعِلْمُ مُحْكَمٍ . وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ ^(١) التَّامُّوْلُ مَعَ النَّقْمِ وَالْمَرْهُوبُ مَعَ النَّعْمِ
وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَانَ يَقُولُهُ لِأَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صِفِّينَ

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْمِرُوا الْخَشْيَةَ ^(٢) وَتَجَلَّبَّوْا السَّكِينَةَ
وَعَضُّوْا عَلَى النَّوَاجِدِ ^(٣) فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَأَكْمَلُوا
الْلَّامَةَ ^(٤) وَقَلَقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَنْعَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا ^(٥) وَالْخَطُّوْا الْخَزَرَ ^(٦)
وَأَطْعِنُوا الشَّرَرَ ^(٧) وَنَافِخُوا بِالظُّبَا ^(٨) وَصَلُّوْا السُّيُوفَ بِالْخَطَا ^(٩) . وَأَعْلَمُوا

دخلت (١) محتوم . وأصله من ابرم الحبل جعله طاقين ثم قتله وبهذا أحكمه (٢) استشعر
لبس الشعار وهو ما يلي البدن من الثياب . وتجلب لبس الجلباب وهو ما تغطي به
المرأة ثيابها من فوق ، ولكون الخشية أى الخوف من الله غاشية قلبية عبر في جانبها
بالاستشعار ، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة لأنها عارضة تظهر في البدن كما لا يخفى
(٣) النواجذ جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس . ولكل انسان أربعة نواجذ وهي بعد
الارحاء ويسمى الناجذ ضرس العقل لأنه ينبت بعد البلوغ . وإذا عضضت على ناجذك
تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماعك فكانت هامتك أصلب وأقوى على مقاومة
السيف فكان أنبى عنها وأبعد عن التأثير فيها . والهام جمع هامة وهي الرأس (٤) اللامة
الدرع ، وإكمالها أن يزداد عليها البيضة والسواعد ونحوها . وقد يراد من اللامة آلات الحرب
والدفاع استيفائها (٥) مخافة أن تستعصى عن الخروج عند السبل (٦) الخزر محرقة
النظر كأنه من أحد الشقين ، وهو علامة الغضب (٧) اطعنوا بضم العين فإذا كان في
النسب مثلاً كان المضارع مفتوحاً وقد يفتح فيهما . والشزر بالفتح الطعن في الجوانب
يميناً وشمالاً (٨) ناخفوا كالخفا وضاربوا . والظبا بالضم جمع ظبة طرف السيف وحده
(٩) صلوا من الوصل أى اجعلوا سيوفكم متصلة بخط اعدائكم جمع خطوة أو اذا

أَنْكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ^(١) وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .
 فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ^(٢) فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ . وَنَارٌ يَوْمَ
 الْحِسَابِ . وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا . وَأَمْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سَجْدًا^(٣)
 وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ . وَالرَّوَّاقِ الْمُطَنَّبِ^(٤) . فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ^(٥)
 فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ^(٦) . قَدْ قَدَّمَ لِلْوَيْبَةِ يَدًا وَآخَرَ لِلنَّكُوصِ
 رَجُلًا فَصَدَدًا صَدَدًا^(٧) . حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ
 وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَ كُمْ أَعْمَالَكُمْ)^(٨)

قصرت سيوفكم عن الوصول إلى أعدائكم فصلوها بخطاكم (١) بعين الله أى
 ملحوظون بها (٢) الفرار الفرار، وهو عار في الأعقاب أى في الأولاد لأنهم يعيرون بفرار
 آبائهم . وقوله وطيّبوا عن أنفسكم نفساً أى ارضوا ببذلها فانكم تبدّلونها اليوم
 لنحرزوها غداً (٣) السجدة بضم السين المهملة (٤) الرواق ككتاب وقراب الفسطاط .
 والمطنب المشدود بالاطناب جمع طنّب بضمّتين جبل يشد به سرادق البيت . وأراد بالسواد
 الأعظم جمهور أهل الشام، والرواق رواق معاوية (٥) الثبج بالتحريك الوسط (٦) كسره
 بالكسر شقه الأسفل كناية عن الجوانب التي يفر إليها المنهزمون . والشيطان الكامن
 في الكسر مصدر الأوامر بالهجوم والرجوع ، فان جبنتم مديده للوئبة وان شجعتم
 آخر للنكوص والهزيمة رجله (٧) الصمد القصد، أى فاقبثوا على قصدكم (٨) لن ينقصكم

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْنَى الْأَنْصَارِ

قَالُوا لَمَّا أَنْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ ^(١) بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا قَالَتِ الْأَنْصَارُ ؟ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَهَلَا اخْتَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى
بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ (قَالُوا وَمَا فِي هَذَا مِنْ
الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنْ
الْوَصِيَّةُ بِهِمْ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قَالُوا اخْتَجَّتْ
بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتَجُّوا
بِالشَّجَرَةِ وَأَصَاغُوا الشَّمْرَةَ ^(٢)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا قَلَدَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي تَكْرِ مِضَرَ فَمَلِكْتَ عَلَيْهِ فَقُتِلَ
وَقَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَةَ مِضَرَ هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ وَلَوْ وَلِيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَى
لَهُمُ الْعَرْصَةُ ^(٣)

شينا من جزائها (١) سقيفة بني ساعدة اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لاختيار خليفة له (٢) يريد من الشجرة آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) العرصة كل بقعة واسعة بين الدور، والمراد ما جعل لهم محالا للعصابة. وأراد بالعرصة

وَلَا أَنهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ . بِإِلَازِمٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ^(١) فَلَقَدْ كَانَ إِلَى
حَبِيبًا وَكَانَ لِي رَبِيبًا ^(٢)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِمِّ أَصْحَابِهِ

كَمْ أَذَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبِكَارُ الْعِمْدَةَ ^(٣) . وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةَ ^(٤)
كُلَّمَا حَيِصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكُ مِنْ آخِرٍ ^(٥) أ كُلَّمَا أَطْلَّ عَلَيْكُمْ
مَنْسِرٌ مِنْ مَنْاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَانْجَحَرَ
أَنْجَحَارُ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَالضَّبْعُ فِي وَجَارِهَا ^(٦) . الذَّلِيلُ وَاللَّهُ مَنْ
نَصَرَ أَمُوهُ . وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ ^(٧) . وَإِنَّكُمْ وَاللَّهِ

عرصة مصر، وكان محمد قد فر من عدوه ظنا منه أن ينجو بنفسه فأدركوه وقتلوه
(١) بإلزام محمد الخ لما يتوهم من مدح عتبة (٢) قالوا ان اسماء بنت عميس كانت
تحت جعفر بن أبي طاب فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت منه محمدا ثم تزوجها على
بعده وتربى محمد في حجره وكان جاريا مجرى أولاده حتى قال على كرم الله وجهه
محمد ابني من صلب أبي بكر (٣) البكار ككتاب جمع بكر الفتى من الأبل، والعمدة
بفتح فكسر التي انفضح داخل سنامها من الركوب وظاهره سليم (٤) المتداعية
الخلقة المتخرقة. ومداراتها استعمالها بالرفق التام (٥) حيصت خيطت، وتهتك تخرق
(٦) المنسر كجلس ومنبر القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير، واطل أشرف.
وانجحرح دخل الجحر، والوجار بالكسر جحر الضبع وغيرها (٧) الأفوق من السهام
ما كسر فوقه أي موضع الوتر منه والناصل العارى من النصل. والسهم إذا كان مكسور
الفوق عاريا عن النصل لم يؤثر في الرمية. فهم في ضعف أثرهم وعجزهم عن النكاية

لَكثيرٌ فِي الْبَاحَاتِ^(١) قَلِيلٌ تَحْتَ الرِّايَاتِ . وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ
وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ^(٢) وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي . أَضَرَعَ
اللَّهُ خُدُودَكُمْ^(٣) . وَأَتَمَسَ جُدُودَكُمْ^(٤) لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمْ
الْبَاطِلَ . وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُحْرَةِ الْيَوْمِ الَّذِي ضَرَبَ فِيهِ^(٥)

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ^(٦) فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أَمْتِكَ مِنَ الْأَوْدِ وَاللَّدِ ! فَقَالَ
أَذْعُ عَلَيْهِمْ ، فَقُلْتُ أَبْدَلْنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ
مِنِّي (يَعْنِي بِالْأَوْدِ الْأَعْوَجَاجَ وَبِاللَّدِ الْخِصَامَ وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْخَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا
أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ^(٧) وَمَاتَ قِيَمُهَا وَطَالَ تَأْيُمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا^(٨) أَمَّا وَاللَّهِ

بعدوهم أشبه به (١) الباحات الساحات (٢) أودكم بالتحريك اعوجاجكم (٣) أذل الله
وجوهكم (٤) وأنس جدودكم وخط من حظوظكم. والتعس الانحطاط والهلاك والعار
(٥) السحرة بالضم السحر الأعلى من آخر الليل (٦) ملكتنى عيني غلبني النوم وسنح
لى رسول الله مرني. تسنح الظباء والطير (٧) أملصت ألفت ولدها ميتا (٨) قيمها

مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سُوقًا ^(١) وَلَقَدْ بَلَغَنِي
 أَنْكُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ يَكْذِبُ . قَاتَلَكُمُ اللَّهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ .
 أَعَلَى اللَّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ . أَمْ عَلَى نَبِيٍّ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ^(٢) . كَلَّا
 وَاللَّهِ وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُ عَنْهَا ^(٣) وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا . وَيَلْمُهُ كَيْلًا
 بِغَيْرِ ثَمَنِ ^(٤) لَوْ كَانَ لَهُ وَعَايٍ، وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ

زوجها وتأيمها خلوها من الأزواج، يريد أنهم لما شاربوا استئصال أهل الشام وبت
 لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم اجابة لطلاب التحكيم فكان مثلهم مثل المرأة
 الحامل لما أتمت أشهر حملها الفت ولدها بغير الدافع الطبيعى بل بالحادث العارضى
 كالضربة والسخطة وقاما تلقية كذلك الا هالكا . ولم يكنف في تمثيل خيفتهم في ذلك
 حتى قال ومات مع هذه الحالة زوجها واطال ذلها بفقدتها من يقوم عليها حتى اذا هلك
 عن غير ولد ورثها الأبعد السافلون في درجة القرابة ممن لا يلتفت الى نسبه (١) يقسم
 أنه لم يأت العراق مستنصرا بأهله اختيارا لتفضيله اياهم على من سواهم . وانما سبق
 اليهم بسائق الضرورة فانه لولا وقعة الجبل لم يفارق المدينة المنورة . وروى هذا الكلام
 بعبارة أخرى وهى (ما أتيتكم اختيارا ولا جئت اليكم سوقا) بالشين المعجمة (٢) كان
 كرم الله وجهه كثيرا ما يخبرهم بما لا يعرفون ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فيقول
 المنافقون من أصحابه انه يكذب كما يقولون مثل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو يرد
 عليهم قولهم بأنه أول من آمن بالله وصدق برسوله فكيف يجترئ على الكذب
 على الله أو على رسوله مع قوة ايمانه وكمال يقينه ولا يجتمع كذب وإيمان صحيح
 (٣) لهجة غتم عنها أى ضرب من الكلام أتم في غيبة عنه أى بعد عن معناه
 ونبو طبع عما حواه فلا تفهمونه ولهذا تكذبونه (٤) ويلمه كلمة استعظام تقال في
 مقام المدح وان كان أصل وضعها لضده ومثل ذلك معروف في لسانهم، يقولون للرجل
 يعظمونه ويقرظونه لا أنالك . وفي الحديث فاظفر بذات الدين تربت يداك ، وفي كلام

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله

اللَّهُمَّ ذَا حِيٍّ الْمَذْهُوَاتِ^(١). وَذَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ. وَجَابِلَ الْقُلُوبِ
عَلَى فِطْرَتِهَا^(٢) شَقِيهًا وَسَعِيدِهَا . اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي
بَرَكَاتِكَ^(٣) عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ أَخْلَاطِمَ لِمَا سَبَقَ . وَالْفَاتِحَ لِمَا

الحسن يحدث عن علي ابن أبي طالب رضى الله عنه ويعظم أمره: وما لك والتحكيم
والحق في يدك ولا أبالك. وأصل الكلمة ويل أمه. وقوله كيلا مصدرا محذوف أى أنا
أكيل لكم العلم والحكمة كيلا يلائم لو أجد وعاء اكيل فيه، أى لو أجد نفوسا قابلة
وعقولاً عاقلة (١) ذاحي المدحوات أى باسط المبسوطات وأراد منها الأرضين. وبسطها
أن تكون كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقراً ومجالاً للبشر وسائر الحيوان
تنصرف عليها هذه المخلوقات في الأعمال التي وجهت اليها بهادى الغريزة كما هو المشهود
لنظر الناظر وان كانت الأرض في جلنها كروية الشكل . وذاعم المسموكات مقيمها
وحافظها. ودعمه كمنعه: أقامه وحفظه. والمسموكات المرفوعات وهى السموات، وقد يراد
من هنا الوصف المجموع لها سمكا يفوق كل سمك. والسمك الثخن المعروف فى اصطلاح
أهل الكلام بالعمق. ودعمه للسموات أقامته لها وحفظها من الهوى بقوة معنوية وان
لم يكن ذلك بدعامة حسية . قال صاحب القاموس المسموكات لحن والصواب مسمكات،
ولعل هذا فى إطلاق اللفظ اسما للسموات، أما لو أطلق صفة كما فى كلام الامام فهو صحيح
فصحيح بل لا يصح غيره فان الفعل سمك لا أسمك (٢) جابل القلوب خالقها. والفطرة
أول حالات المخلوق التي يكون عليها فى بدء وجوده، وهى للانسان حالته خاليا من الآراء
والاهواء والديانات والمقائند. وقوله شقيها وسعيدا بدل من القلوب، أى جابل الشقى
والسعيد من القلوب على فطرته الأولى التي هو بها كاسب محض ، لحسن اختياره يهديه
الى السعادة وسوء تصرفه بضالته فى طرق الشقاوة (٣) الشرائف جمع شريفة . والنوامي

انْفَلَقَ . وَالْمُعْلَنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالذَّافِعِ جِنَشَاتِ الْأَبَاطِيلِ . وَالذَّامِغِ
صَوَلَاتِ الْأَضَالِيلِ . كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ^(١) قَائِمًا بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِرًا فِي
مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ . وَلَا وَاهٍ فِي عَزَمٍ^(٢) . وَاعِيًا لَوَحْيِكَ
حَافِظًا لِمَهْدِكَ . مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ . حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ
وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَاطِبِ^(٣) . وَهَدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ .

الزوائد . والخاتم لما سبق أى لما تقدمه من النبوات . والفتح لما انفلق كانت أبواب
القلوب قد أغلقت بأقفال الضلال عن طوارق الهداية فافتتحها صلى الله عليه وسلم
بآيات نبوته ، وأعلن الحق وأظهره بالحق والبرهان . والأباطيل جمع باطل على غير
قياس ، كما ان الأضاليل جمع ضلال على غير قياس . وجيشاتها جمع جيشة من جاشت
القدر اذا ارتفع غلبانها . والصولات جمع صولة وهى السطوة . والدامغ من دمغه اذا
شجبه حتى بلغت الشجة دماغه ، والمراد أنه قامع ما نجم من الباطل والكاسر لشوكة
الضلال وسطوته وذلك بسطوع البرهان وظهور الحجة (١) أى أعلن الحق بالحق
وقمع الباطل وقهر الضلال كما حل تلك الأعمال الجليلة بمحميله اعباء الرسالة . فاضطلع أى
نهض بها قويا . والضلاعة القوة . والمستوفز المسارع المستعجل ، وقد نكون الكاف
فى كما حل للتعليل كفى قوله .

فقلت له أبا الملحة خذها كما أوسعتنا بغيا وعدوا

(٢) الناكل الناكص والمتأخر . أى غير جبان يتأخر عند وجوب الإقدام . والقدم
بضمين المشى الى الحرب ، ويقال مضى قدما أى سار ولم يرج . والواهى الضعيف
واعيا أى حافظا وفاهما . وعيت الحديث حفظته وفهمته . وماضيا على نفاذ امرك أى
ذاهبا فى سيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه (٣) يقال ورى الزند كوى . وولى
يرى وريا وريا ورية فهو وار : خرجت ناره . وأوريته ووريته واستوريته . والقبس
شعلة من النار . والقابس الذى يطلب النار . يقال قبست نارا فاقبسنى ، أى طلبت منها
فأعطانى . والكلام تمثيل لنجاح طلاب الحق ببلوغ طلبتهم منه واشراق النفوس

وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ . فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَلْمُونُ
وَحَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ^(١) . وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ^(٢) وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ^(٣) .
وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ . اللَّهُمَّ أَفْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ^(٤) وَأُجْزِهِ
مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ^(٥)
وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَأَتِمِّمْ لَهُ نُورَهُ ، وَأُجْزِهِ مِنْ أُتْبَعَاتِكَ لَهُ
مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ وَمَرْضَى الْمَقَالَةِ^(٦) ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ . وَخُطَّةٍ فَصْلٍ . اللَّهُمَّ

المستعدة لقبوله بما سطع من أنواره . والخطاب الذي يسير ليلا على غير جادة واضحة ،
فأضاء الطريق له جعلها مضئمة ظاهرة فاستقام عليها سائرا الى الغاية وهي السعادة ،
فكان في ذلك أن هديت به القلوب الى ما فيه سعادتها بعد أن خاضت الفتن أطوارا
واقترحت لها مرارا . والخوضات جمع خوضه المرة من الخوض كما قال وهديت به
القلوب إلخ . والاعلام جمع علم بالتحريك ما يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه ،
والاعلام موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها (١) العلم المخزون ما اختص
الله به من شاء من عباده ولم يبع لغير أهل الخطوة به ان يطالعوا عليه وذلك بما
لا يتعلق بالأحكام الشرعية (٢) شهيدك شاهدك على الناس كما قال الله تعالى (فكيف
إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (٣) بعيتك أى مبعوثك
فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح (٤) أفسح له وسع له ما شئت أن توسع في
ظلك أى احسانك وبرك فيكون الظل مجازا . ومضاعفات الخير أطواره ودرجاته
(٥) أراد من بنائه ما شيده صلى الله عليه وسلم بأمر ربه من الشريعة العادلة . والهدى
الفاضل مما يلجأ اليه التأهون ويأوى اليه المضطهدون ، فالإمام يسأل الله أن يعلى
بناء شريعته على جميع الشرائع ويرفع شأن هديه فوق كل هدى لغيره . واكرام المنزلة
باتمام النور ، والمراد من اتمام النور تأييد الدين حتى يعم أهل الأرض ويظهر على
الدين كله كما وعده بذلك . اكرام المنزلة فى الآخرة ، فقد تقدم فى قوله أفسح له واجزه
مضاعفات الخير (٦) أى اجزه على بعثتك له الى الخلق وقيامه بما حملته واجعل ثوابه

أَجْمَعُ يَنْتَنَا وَيَنْتَهُ فِي بَرْدِ الْمَيْشِ وَقَرَارِ النُّعْمَةِ^(١) ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ .
وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ وَرَخَاءِ الدَّعَةِ . وَمُنْتَهَى الطَّمَأْنِينَةِ . وَتُحْفِ الْكَرَامَةِ^(٢)

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْبَصْرَةِ

(قَالُوا أَخِيْدَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ
وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(٣) إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ . فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ)

أَوْ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ^(*) قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي يَبِيعَتِهِ إِنَّهَا . كَفَّ^(٤)

على ذلك الشهادة المقبولة والمقالة المرضية يوم القيامة ، وتلك الشهادة والمقالة تصدران
منه وهو ذو منطق عدل وخطبة أى أمر فاضل ، ويروى وخطبة بزيادة باء بعد الطاء أى
مقال فاضل ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على
أمنته وعلى غيرهم من الأئمة فيكون كلامه الفصل (١) تقول العرب عيش بارد أى
لا حرب فيه ولا نزاع ، لأن البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة . وقرار النعمة
مستقرها حيث تدوم ولا تفتى (٢) منى جمع منية بالضم ما يتمناه الإنسان لنفسه .
والشهوات ما يشتهي . يدعو بان يتفق مع النبي صلى الله عليه وسلم في جميع رغباته
وميله . والرخاء من قولهم رجل رخی الباء أى واسع الخيال . والدعة سكون النفس
واطئنائها . والتحف جمع تحفة ما يكرم به الإنسان من البر والالطف وقد كان صلى الله
عليه وسلم من أرخی الناس بالا وألزمهم للطمانينة وأعلام منزلة في القلوب ، فالإمام
يطلب من الله أن يدينه منه في جميع هذه الصفات الكريمة (٣) استشفعها اليه سألها
أن يشفعه عنده . وليس من الجيد قولهم استشفعت به (٤) كف يهودية أى غادرة

(*) في نسخة : قبل قتل عثمان

يَهُودِيَّةٌ . لَوْ بَالَيْعِي بِكَفِّهِ لَفَدَرَ بِسَبْتِهِ ^(١) أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعَقَةً
الْكَلْبِ أَنْفَهُ ^(٢) . وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ ^(٣) وَسَتَلَقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ
وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَزَمُوا عَلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي . وَوَاللَّهِ لَا سَأَمَنَّ مَا سَأَمَيْتُمْ
أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً أَلْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ
وَفَضْلِهِ ، وَزُهِدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزُجْرِهِ ^(٤)

ماكرة (١) السبت بالفتح الاست وهو ما يحرص الانسان على اخفائه . وكنتى به عن
الغدر الخفى واختاره لتحقيق الغادر . وقد يكون ذلك إشارة إلى ما كانت تفعله سفهاء
العرب عند الغدر بعقد أو عهد من أنهم كانوا يحبون عند ذكره استهزاء (٢) تصوير
لقصر مدتها وكانت تسعة أشهر (٣) جمع كبش وهو من القوم رثبهم . وفسروا
الأكبش ببني عبد الملك بن مروان هذا وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام . قالوا ولم
يتول الخلافة أربعة أخوة سوى هؤلاء . ويجوز ان يراد بهم بنو مروان لصلبه وهم
عبد الملك وعبد العزيز وبشر ومحمد وكانوا كباشا أبطالا : أما عبد الملك فولى الخلافة
وولى محمد الجزيرة وعبد العزيز مصر و بصرى العراق (٤) يقسم بالله ليسمن الأمر في
الخلافة لعثمان مادام التسليم غير ضار بالمسلمين وحافظا لهم من الفتنة طلبا لثواب الله
على ذلك وزهدا في الامرة التي تنافسوها أى رغبوا فيها وان كان في ذلك جور عليه
خاصة . وأهل الزخرف الذهب وكذلك الزبرج بكسرتين بينهما سكون ، ثم أطلق على
كل موه مزور . واغلب ما يقال الزبرج على الزينة من وثى أو جوهر . ومن زخرفه
ليس للبيان ولكن حرف جر للتعليل أى ان الرغبة انما كان الباعث عليها الزخرف

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا بَلَغَهُ أَتَاهُمْ بَنِي أُمَيَّةَ لَهُ بِالْمُشَارَكَةِ فِي دَمِ عُثْمَانَ

أَوْ لَمْ يَنْتَه أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرَفِي^(١). أَوْ مَا وَزَعَ الْجُمُهَا لَسَابِقَتِي
عَنْ تَهْمَتِي. وَلَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي^(٢). أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ^(٣)
وَحَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ.. وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ^(٤) وَبِمَا فِي الصُّدُورِ
تُجَازَى الْعِبَادُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى . وَدُعَى إِلَى رَشَادٍ فَذَنَّا^(٥) .

والزبرج ولولا لزوم ذلك للامارة ما كان فيها التنافس (١) قرفه قرفا بالفتح عابه. وعلمها فاعل ينه، وأمية مفعول، أي ألم يكن في علم بني أمية بحالي ومكاني من الدين والتخرج من سفك الدماء بغير حق ما ينههم عن ان يعيبوني بالاشتراك في دم عثمان خصوصا وقد علموا اني كنت له لا عليه، ومن أحسن الناس قولاً فيه. وسابقته حاله المعلومة لهم مما تقدم. ووزع بمعنى كف. والنهمة بفتح الهاء رميه بعيب الاشتراك في دم عثمان (٢) ولما ألح اللام هي التي للتأكيد ومما موصول مبتدأ أو بلغ خبره والله قد وعظهم في الغيبة بأنها في منزلة أكل لحم الأخ ميتا (٣) حجيج المارقين أي خصيمهم. والمارقون الخارجون من الدين. والمرتابون الذين لا يقين لهم. وهو كرم الله وجهه قارعههم بالبرهان الساطع فعال بهم (٤) الأمثال متشابهات الاعمال والحوادث تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع وما خالفه فهو الباطل الممنوع، وهو كرم الله وجهه قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله فليس للغايز عليه أن يشير اليه بمطعن ما دام ملتزما لاحكام الكتاب (٥) الحكم هنا الحكمة قال الله تعالى (وآتيناه الحكم

وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَتَجَا^(١) . رَاقِبَ رَبَّهُ . وَخَافَ ذَنْبَهُ . قَدَّمَ خَالِصًا
وَعَمِلَ صَالِحًا . اِكْتَسَبَ مَذْخُورًا^(٢) . وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا . رَمَى غَرَضًا
وَأَحْرَزَ عِوَضًا^(٣) . كَابَرَ هَوَاهُ . وَكَذَّبَ مُنَاهُ . جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ
وَالْتَقَوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ . رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ^(٤) ، وَلَزِمَ الْحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ .
إِغْتَسَمَ الْمَهْلَ^(٥) . وَبَادَرَ الْأَجَلَ وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ لَيَفُوقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَقْوِيَةً وَأَمَّا لَدُنَّ
بَقِيَّتُهُمْ لَمْ يَلْأَنفُضْنَهُمْ تَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرْبَةِ (وَيُرَوَّى التُّرَابَ الْوِذْمَةَ .
وَهُوَ عَلَى الْقَلْبِ^(٦)) قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيَفُوقُونَنِي أَيْ يُعْطُونَنِي مِنْ

صبيا) ووعى حفظ وفهم المراد واعتبر بما سمع وعمل عليه . ودنا قرب من الرشاد الذي
دعى اليه (١) الحجة بالضم معقد الأزار ومن المراويل . موضع التكة ، والمراد الاقتداء
والتمسك . يقال أخذ فلان بحجة فلان إذا اعتصم به ولجأ اليه (٢) اكتسب مذخورا
كسب بالعمل الجليل ثوابا يذخره ويعدّه لوقت حاجته في الآخرة (٣) رمى غرضا قصد
الى الحق فأصابه . وكابر هواه غلبه ، ويروى كثر بالثلمة أى غلبه بكثرة أفكاره الصائبة
فغلبه (٤) الغراء الذيرة الواضحة . والحجة جادة الطريق ومعظمه . والطريقة الغراء
والحجة البيضاء سبيل الحق ومنهج العدل (٥) المهل هنا مدة الحياة مع العافية فانه
أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت أو تحمل به بائنة عذاب ، فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه
لآخرته فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتزوده من طيب العمل (٦) على القلب أى أن
الحقيقة الودام التربة كما في الرواية الأولى لا التراب الودمة اذ لا معنى له ، فهذه الرواية يراد

أَلْمَالِ قَلِيلًا قَلِيلًا كَفَوَاقِ النَّاقَةِ . وَهُوَ الْحُلْبَةُ الْوَاحِدَةُ مِنْ لَبْنِهَا .
وَالْوِذَامُ جَمْعٌ وَذِمَّةٌ وَهِيَ الْحَزَّةُ مِنَ الْكَرْشِ أَوْ الْكَبِدِ تَقَعُ فِي التُّرَابِ
فَتَنْفُضُ^(١)

وَمِنْ كَلِمَاتٍ كَانَ يَدْعُوهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ .
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَائْتُ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وِفَاءً عِنْدِي^(٢) . اللَّهُمَّ
اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي^(٣) . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي
رَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ . وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَازِ . وَشَهَوَاتِ الْجُنَانِ . وَهَفَوَاتِ
اللِّسَانِ^(٤)

منها مقلوبها (١) الحزّة بالضم القطعة . وفسر صاحب القاموس الودمة بمجموع المني
والكرش (٢) وآيت وعدت . وأي كوعي : وعد وضمن ، اذا عذمت على عمل خير
فكأنك وعدت من نفسك بتأدية أمر الله فان لم توف به فكأن الله لم يجده عندك
وفاء بما وعده فتكون قد أخلفته ومخلف الوعد مني ، فهو يطلب المغفرة على هذا
النوع من الاساءة (٣) تقرب باللسان مع مخالفة القلب كان يقول الحمد لله على كل حال
ويسخط على أغلب الأحوال ، أو يقول اياك نعبد واياك نستعين وهو يستعين بغير الله
ويعظم أشباهها من دونه (٤) رمزات الالحاظ الاشارة بها . والالحاظ جمع لحظ وهو
باطن العين ، أما اللحاظ بالفتح وهو مؤخر العين فلا أعرف له جمعاً الا لحظ بضمتين .
وسقطات الالفاظ لغوها . والجنان القلب . وشهوانه ما يكون من ميل منه الى غير الفضيلة

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لَمَّا عَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى الْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ سِرَّتَ فِي هَذَا الْوَقْتِ خَشِيتُ أَنْ لَا تَنْظُرَ
بِمُرَادِكَ مِنْ طَرِيقِ عِلْمِ النُّجُومِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ الشُّؤْءُ .
وَتُخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضَّرُّ^(١) ؟ . فَمَنْ صَدَّقَ
بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ
وَدَفَعَ الْمَكْرُوهَ . وَتَبَتَّنِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنَّ يُؤَلِّكَ الْحَمْدَ
دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بَرِّعَمَكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النِّفْعَ
وَأَمِنَ الضَّرَّ (ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ)

أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلَّمُوا النُّجُومَ إِلَّا مَا يَهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ^(٢)
فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ وَالْمُنْجِمِ كَالْكَاهِنِ^(٣) وَالْكَاهِنِ كَالسَّاحِرِ

وهفوات اللسان زلاته (١) حاق به الضر أحاط به (٢) طلب لتعلم علم الهيئة الفلكية
وسير النجوم وحركاتها للاهتداء بها، وإنما ينهى عما يسمى علم التنجيم وهو العلم المبني
على الاعتقاد بروحانية الكواكب، وأن تلك الروحانية العلوية سلطانا معنويا على
العوالم العنصرية، وأن من يتصل بأرواحها بنوع من الاستعداد ومعاونة من الرياضة
تكشفه بما غيب من أسرار الحال والاستقبال (٣) الكاهن من يدعى كشف الغيب

وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى أَسْمِ اللَّهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِفَتْحِ الْجَمَلِ فِي ذَمِّ النِّسَاءِ

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ ^(١) نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ . فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَقَعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ . وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ . وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ . فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ . وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَئِنَّ فِي الْمُنْكَرِ ^(٢)

وكلام أمير المؤمنين حجة حاسمة لخيلات المعتقدين بالرمل والجفر والتنجيم وما شاكلها. ودليل واضح على عدم صحتها ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية (١) خلق الله النساء وحلن على ثقل الولادة وثرية الأطفال الى سن معين لا يكاد ينتهى حتى تستعد للولادة وهكذا، فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية فكأئن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن، خفاق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه في هذا، وجاء الشرع مطابقاً للضرورة فكأن في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث (٢) لا يريد أن يترك المعروف لمجرد أمرهن به فإن في ترك المعروف مخالفة السنة الصالحة خصوصاً ان كان المعروف من الواجبات بل يريد أن لا يكون فعل المعروف صادراً عن مجرد طاعتهن، فإذا فعلت معروفاً فافعله لأنه معروف ولا تفعله امتثالاً لأمر المرأة، ولقد قال الامام قولاً صدقته التجارب في الاحقاب المتطاولة ولا استثناء مما قال الا بعضاً منهن وهن فطرة تفوق في سموها ما استوت به الفطن أو تقاربت أو أخذ سلطان من التربية طباعهن على خلاف ما

٩ - نهج - أول

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمَلِ . وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ . وَالْوَرَعُ
عِنْدَ الْمَحَارِمِ ^(١) . فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ ^(٢)
وَلَا تَنْسُوا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعَذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِمُحْجِجٍ
مُسْفِرَةٍ ، ظَاهِرَةٍ وَكُتِبَ بَارِزَةٍ الْعُذْرُ وَاضِحَةٌ ^(٣)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ . وَآخِرُهَا فَنَاءٌ . فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ . وَفِي

غرر فيها وسولها الى غير ما وجهتها الجبلية اليه (١) الورع الكف عن الشبهات خوف الوقوع في المحرمات أى اذا عرض المحرم فن الزهادة أن تكف عما يشبه به فضلا عنه . والشكر عند النعم الاعتراف بأنها من الله والتصرف فيها على وفق ما شرع . وقصر الامل توجس الموت والاستعداد له بالعمل وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة (٢) عزب عنكم بعد عنكم وفاتكم . والاشارة الى ما تقدم من قصر الامل أى فان عسر عليكم أن تقصروا آمالكم وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم فلا يغلب الحرام صبركم أى فلا يفتكم الركبان الآخرا ن وهما شكر النعم واجتناب المحرم فان نسيان الشكر يجر الى البطور ارتكاب المحرم يفسد نظام الحياة المعاشية والمعادية . والبطور والفساد مجلبة للنقم فى الدنيا والشقاء فى الآخرة (٣) أعذر بمعنى أنصف وأضله مما همزته للسلب فأعذرت فلانا سلبت عذره أى ما جعلت له عذرا يديه لو خالف ما نصحته به ويقال أعذرت الى فلان أى أقت لنفسى عنده عذرا واضحا فيما أنزله به من العقوبة حيث حذرت ونصحته . ويصح أن تكون العبارة فى الكتاب على هذا المعنى أيضا بل هو الأقرب من لفظ اليكم ، ويكون الكلام على المجاز ، وتنزيل قيام الحجة له منزلة

حَرَامَهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ . وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنَ . وَمَنِ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ^(١) . وَمَنِ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ . وَمَنِ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ^(٢) . وَمَنِ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ . (أَقُولُ وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنِ أَبْصَرَ بِهَا بَصَرَتْهُ وَجَدَ تَحْتَهُ مِنَ الْمَعْنَى الْعَجِيبِ وَالْفَرَضِ الْبَعِيدِ مَا لَا تُبْلَغُ غَايَتُهُ ، وَلَا يُدْرِكُ غَوْزُهُ ، وَلَا سِيَمًا إِذَا قَرَنَ إِلَيْهِ قَوْلُهُ : وَمَنِ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ . فَإِنَّهُ يَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ أَبْصَرَ بِهَا وَأَبْصَرَ إِلَيْهَا وَاضِحًا نِيرًا وَعَجِيبًا بَاهِرًا) .

قيام العذر لنا. والمسفرة الكاشفة عن نتائجها الصحيحة وبارزة العذر ظاهرته (١) من جرى معها في مطالبتها ، والقصد اهتم بها وجد في طلبها . وقوله فاته أى سبقته فانه كلما نال شيئا فتحت له أبواب الآمال فيها فلا يكاد يقضى مطلوبا واحدا حتى يهتف به ألف مطلوب . وقوله ومن قعد عنها واته يريد به أن من قوم اللذائد الفانية بقيمتها الحقيقية وعلم أن الوصول اليها انما يكون بالعناء وفوائدها يعقب الحسرة عليها، والتمتع بها لا يكاد يخلو من شوب الالم فقد وافقته هذه الحياة وأراحته فانه لا يأسف على فاته منها ولا يبطر لحاضر ولا يعانى ألم الانتظار لمقتبل (٢) أبصر بها أى جعلها مرآة عبرة تجاوب لقلبه آثار الجذ في عظامم الأعمال وتمثل له هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدي الكاملين وتكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين فقد صارت الدنيا له بصراً وحوادثها عبراً . وأما من أبصر اليها واشتغل بها فانه يعمى عن كل خير فيها ويلهو

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مِنَ الْخُطَبِ الْعَجِيبَةِ وَتُسَمَّى الْقُرْآنِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ ^(١) . وَدَنَا بِطَوْلِهِ ^(٢) . مَا نَجَّ كُلَّ غَنِيمَةٍ
وَفَضَّلَ . وَكَاشَفَ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَأَزَلَّ ^(٣) أَخْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ .
وَسَوَائِغِ نِعَمِهِ ^(٤) . وَأَوْمِنُ بِهِ أَوَّلًا بِأَدْيَا ^(٥) . وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا .
وَأَسْتَسِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا . وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ ^(٦)

عن الباقيات بالزائلات وبشئ ما اختار لنفسه (١) علا بحوله أى عز وارتفع عن
جميع ما سواه لقوته المستعلية بسلطة الایجاد على كل قوة (٢) دنا بطوله أى أنه مع
علوه سبحانه وارتفاعه فى عظمتة فقد دنا وقرب من خلقه بطوله أى عطائه وإحسانه
(٣) الأزل بالسكون الضيق والشدة . وكاشف الشدة المتقدمها ، كما أن مانح الغنيمة معطيها
المتفضل بها (٤) العواطف ، ما يعطفك على غيرك ويدنيه من معروفك . وصفة الكرم
فى الجناب الالهي وخلقته فى البشر مما يعطف الكريم على موضع الاحسان . وسوائغ
النعم كواملها من سبغ الظل إذا عم وشمل (٥) أولا باديا موضعه من سابقه كموضع
قريبا هاديا ، وما جاء به بعده من سوابقها فهى أحوال من الضمائر الراجعة إلى الله
سبحانه وتعالى فيكون أول صفة نصبت على الحال من ضمير به أى أصدق بالله على
أنه سابق كل شئ فى الوجود فهو البادى أى الظاهر بذاته المظهر لغيره ومن كان
كذلك لم تخالط التصديق به ريبة . والقريب الهادى جدير بأن تطلب منه الهداية .
والقادر القاهر حقيق بأن يستعان به لأنه قوى على المعونة . والكافى الناصر حرى بأن
يتوكل عليه (٦) انهاء عذره ابلاغه . والعذر هنا كناية عن الحجج العقلية والنقلية
التي أقيمت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم على أن من خالف شريعة الله استحق

وَتَقْدِيمِ نُذْرِهِ^(١). أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ^(٢) وَوَقَّتَ لَكُمْ الْأَجَالَ . وَأَلْبَسَكُمْ الرِّيشَ وَأَرْفَعَ لَكُمْ الْمَعَاشَ ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ . وَأَرْصَدَ لَكُمْ الْجُزَاءَ . وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ وَالرَّفْدِ الرَّوَافِغِ . وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحَجَجِ الْبَوَالِغِ . وَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا . وَوَضَّفَ لَكُمْ مُدَدًا فِي قَرَارِ خَيْرَةٍ وَدَارِ عِبْرَةٍ . أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا رَيْقٌ^(٣) مَشْرَبُهَا^(٤) رَدِغٌ مَشْرَعُهَا . يُؤْتَقُ مِنْظَرُهَا^(٥) وَيُؤْبَقُ مَخْبَرُهَا . غُرُورٌ حَائِلٌ^(٦) . وَظِلٌّ زَائِلٌ . وَسِنَادٌ

العقاب ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب (١) النذر لجمع نذير أى الأخبار الالهية المندرة بالعقاب على سوء الأعمال أو هو مفرد بمعنى الانذار (٢) ضرب الأمثال جاء بها فى الكلام لا يوضح الحجج وتقريرها فى الاذهان . ووقت الآجال جعلها فى أوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر . والريش ما ظهر من اللباس ، ووجه النعمة فيه أنه سائر للعورة واق من الحر والبرد ، وقد يراد بالريش الخصب والغنى فيكون ألبسكم على المجاز . وأرفع لكم أى أوسع يقال رفع عيشه بالضم رفاغة أى اتسع . وأحاطكم بالاحصاء أى جعل احصاء أعمالكم والعلم بها عملاً كالسور لا تنفذون منه ولا تتعدونه ولا تشذ عنه شادة . وأرصد لكم الجزاء أعده لكم فلاحيص عنه . والرصد جمع رفدة ككسرة وكسر وهى العطية والصلة . والروافغ الواسعة . والحجج البوالغ الظاهرة المبينة . ووظف لكم مدداً أى قدر لكم . والمدد جمع مدة أى عين لكم أزمنة تحيون فيها . فى قرار خبرة أى فى دار ابتلاء واختبار وهى دار الدنيا وفيها الاعتبار والاتعاظ والحساب عليها أى على ما يؤتى من خير وشر (٣) رنق كفرح كدر ، وردغ كثير الطين والوحل . والمشرع مورد الشاربة للشرب (٤) يوتق يعجب ، ويوبق يهلك (٥) حائل اسم فاعل من حال إذا تحول وانتقل أى ان شأنها الغرور الذى لا بقاء له ، وجاء فى بعض الروايات بعد هذه الفقرة (وضوء آفل) أى غائب لا يلبث أن يظهر حتى يغيب

مَائِلٌ^(١) حَتَّى إِذَا أَنَسَ نَافِرُهَا. وَأَطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا^(٢). وَقَنَصَتْ بِأَجْلِهَا. وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا. وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ^(٣). قَائِدَةٌ لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ^(٤) وَوَحْشَةَ الْمَرْجِعِ. وَمُعَايِنَةَ الْمَحَلِّ^(٥) وَثَوَابِ الْعَمَلِ. وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ يَعْقُبُ السَّلْفَ. لَا تُقْلَعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَامًا^(٦) وَلَا يَرَعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا^(٧). يَحْتَذُونَ مِثَالًا وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ. وَصَيُورُ الْفَنَاءِ^(٨) حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَتَقَضَّتْ

(١) السناد بالكسر ما يستند اليه ودعامة يسند بها السفف ، وناكرها اسم فاعل من نكر الشيء كعلمه أى جهله فأنكره (٢) قص الفرس وغيره يقمص من باب ضرب ونصر قصا وقاصا أى استن وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ويعجب ، وفى المثل المضروب لضعيف لا حراك به وعز يز ذل (ما بالعين من قاص) وانما قاله أرجل وليس للدابة الا رجلان لأنه نزل السدين لها منزلة الأرجل لأن المنى على جميعها وروى بأرجلها بالحاء جمع رحل : الناقة ، وقنصت بأجلها أى اصطادت وأوقفت من اغتر بها فى شباكها وجبالها ، وأقصدت قتلت مكانها من غير تأخير (٣) علقت به وربطت بعنقه. أوهاق المنية جمع وهق بالنحر يك والتسكين أى حبال الموت (٤) ضنك المضجع ضيق المرقد والمراد القبر (٥) معاينة المحل مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم . وثواب العمل جزاؤه الأعم من شقاء وسعادة. والخلف المتأخرون والسلف المتقدمون. ويعقب السلف يروى فعلا أى يتبع. و يروى يعقب بباء الجر فيكون عقب بالسكون بمعنى بعد وأصله جرى الفرس بعد جريه. يقال لهذا الفرس عقب حسن (٦) لا تقلع أى لا تكف المنية عن اخترامها أى استنصاها للأحياء (٧) لا يرعوى الباقون أى لا يرجعون ولا يكفون عن اجترام السيئات ويحتذون مثالا أى يشاكون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم ويقتدون بهم ، ويمضون أرسالا جمع رسل بالنحر يك وهو القطيع من الابل والغنم والخيول (٨) صيور الأمر كتنور مصيره وما يؤول اليه ، يريد الامام من

الدُّهُورُ وَأَزِفَ النُّشُورُ^(١) أَخْرَجَهُمْ مِنْ صَرَائِحِ الْقُبُورِ وَأَوْكَارِ
الطُّيُورِ . وَأَوْجِرَةَ السَّبَّاحِ . وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ .
مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ^(٢) . رَعِيْلًا صُمُوتًا قِيَامًا صُفُوفًا يُنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ^(٣)
وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ . عَلَيْهِمْ لِبُوسُ الْأَسْتِكَانَةِ^(٤) . وَضَرَعُ الْأِسْتِسْلَامِ
وَالذِّلَّةِ . قَدْ ضَلَّتِ الْحِيلُ . وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ . وَهَوَتْ الْأَفْقِدَةُ كَاظِمَةً^(٥)
وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيِّئَةً . وَالْجَمُّ الْعَرَقُ . وَعَظُمُ الشَّقَقُ وَأَرْعَدَتِ

ذلك أن الدنيا لا تزال تغر بنيتها ليأنسوا إليها بالارتياح إلى لذائذها واستسهال احتمال
آلامها ثم تنقلب بهم إلى ما لا بد منه وهم في غفلة لاهون (١) أزف النشور قرب البعث،
والضمير في أخرجهم إلى البعث على سبيل المجاز أو إلى الله تعالى. والضرائح جمع ضريح
النق وسط القبر وأصله من ضرحه دفعه وأبعده فإن المقبور مدفوع منبوذ وهو أبعده
الأشياء عن الأحياء. والاوكار جمع وكر مسكن الطير. والاوجرة جمع وجار ككتاب
الجحر، والذين يبعثون من الأوكار والأوجرة هم الذين أفرسهم الطيور الصائدة
والسباع الكاسرة (٢) مهطعين أى مسرعين إلى معاده سبحانه الذى وعد أن يعيدهم
فيه، وقوله الرعيل القطعة من الخيل. شبههم في تلاحق بعضهم ببعض برعيل
الخيل أى الجلة القليلة منها لأن الاسراع لا يدع أحداً منهم ينفرد عن الآخر فإن
الانفراد من الإبطاء، ولا يدعهم يجتمعون جاً فإن التضام والالفاف إنما يكون من
الاطمئنان (٣) ينفذهم البصر بجاوزهم أى يأتى عليهم ويحيط بهم أى لا يعزب واحد
منهم عن بصر الله (٤) اللبوس بالفتح ما يلبس. والاستكانة الخضوع. والضرع
بالتحريك الوهن والضعف والخشوع، هذا لو جعلنا عليهم متعلقاً بمخدوف خبر عن
لبوس وضرع فإن جعلناه متعلقاً بالداعى بمعنى المنادى والصائح عليهم جعلنا لبوس
جلة مبتدأه ويكون لبوس جمع لابس، وضرع محركة اسم جمع للضريع بمعنى الدليل
(٥) هوت القلوب خلت من المسرة والأمل من النجاة، كاظمية أى ساكنة كاظمة لا

الْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةَ الدَّاعِي إِلَى فَصْلِ الْخُطَابِ^(١) وَمُقَابَضَةِ الْجَزَاءِ. وَنَكَالِ الْعِقَابِ. وَنَوَالِ الثَّوَابِ. عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ أَقْتِدَارًا. وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَارًا^(٢) وَمَقْبُوضُونَ اخْتِصَارًا. وَمُضْمَنُونَ أَجْدَانًا. وَكَائِنُونَ رُقَاتًا. وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا. وَمَدِينُونَ جَزَاءً. وَمُمَيِّزُونَ حِسَابًا. قَدْ أَهْلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ^(٣)

يزعجها من الفزع ومهينة أى متخافية، والمهينة الكلام الخفى، وألجم العرق كثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فمنعها من النطق وكان كاللجام. والشقى محرقة الخوف (١) أرعدت عرتها الرعدة. وزبرة الداعي صوته وصيحته ولا يقال زبره إلا إذا كان فيها زجر وانتهاز فانها واحدة الزبر أى الكلام الشديد، والمقابلة المعاوضة أى مبادلة الجزاء الخير بالخير والشر بالشر (٢) مربوبون مملوكون، والاقصاء الغلبة والقهر أى أنهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه وقوته فهم مملوكون له بسطوة عزته لا خيرة لهم فى ذلك وإذا جاء الأجل قبضت أرواحهم إليه بما يحضر عند الأجل من مرهقات الأرواح والقوى المسلطة على الفناء. واحتضر فلان حضرته الملائكة تقبض روحه. وكانت العرب تقول لمن محتضر أى فاسد يعنون أن الجن حضرته، يقال اللبن محتضر فغط اناؤه. والأحداث جمع حدث وهو القبر واجتدت الرجل اتخذ حدثا. ويقال جدف بالفناء. ومضمنون الأحداث مجهولون فى ضمناها. والرفات الخطام ويقال رفته كنصر وضرب أى كسره ودقه أى فته بيده كما يفت المدر والعظم البالى. ومبعوثون أفراد أى كل بسأل عن نفسه لا يلتفت لرابطة تجمعهم مع غيره. ومدِينُونَ أى مجزيون والدين الجزاء قال «مالك يوم الدين» ويميزون حسابا لكل يحاسب على عمله منفصلا عن سواه (لا تزر وازرة وزر أخرى) (٣) المخرج الخاص من ربة المعصية بالتوبة، والالابة الخلسة، والمنهج الطريق الواضحة التى دلت عليها الشريعة المطهرة والمستعقب المستضى ويقال أيضا استعته أناله العتي وهى الرضى. وانما ضرب المثل بمهل المستعقب لأنك إذا استرضيت شخصا وطلبت منه أن يرضى لا ترهقه فى المطالبة بل تفسح له حتى يرضى بقلبه لا بلسانه، أى أن الله فسخ لهم فى الآجال حتى يتمكنوا من ارضائه وأوتوا من العمر مهلة من ينال العتي أى الرضالو أحسن العمل. استعته أناله العتي فهو المستعقب والمفعول

وَهُدُوا سَبِيلَ الْمُنْهَجِ . وَعَمَّرُوا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ . وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدُفُ
الْغُرَيْبِ ^(١) وَخُلُوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ ^(٢) . وَرَوِيَّةِ الْإِرْتِيَادِ . وَأَنَاةِ الْمُقْتَبَسِ
الْمُرْتَادِ ^(٣) فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ وَمُضْطَرَبِ الْمَهْلِ . فَيَالَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً . وَمَوَاعِظَ
شَافِيَةً . لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً . وَأُسْمَاعًا وَاعِيَةً . وَآرَاءَ عَازِمَةً . وَالْبَابَا
حَازِمَةً . فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مَنْ سَمِعَ فَخْشَعَ . وَأَقْتَرَفَ فَأَعْتَرَفَ ^(٤) وَوَجِلَ
فَعَمِلَ . وَحَازَرَ فَبَادَرَ . وَأَيَّقَنَ فَأَحْسَنَ . وَعَبَّرَ فَأَعْتَبَرَ . وَحَذَّرَ فَازْدَجَرَ
وَأَجَابَ فَأَنَابَ ^(٥) . وَرَجَعَ فَتَابَ . وَأُقْتَدَى فَاحْتَدَى . وَأَرَى فَرَأَى .

مستعتب (١) السدف جمع سدفة بالفتح الظامة ، والريب جمع ريبة وهي الشبهة وإبهام
الأمر ، وكشف ذلك بما أبان من البراهين الواضحة (٢) خلوا تركوا في مجال يتسابقون
فيه إلى الخيرات . والجياد من الخيل كرامها ، والمضمار المكان الذي تضرع فيه الخيل ،
والمدة التي تضرع فيها أيضا . والروية اعمال الفسك في الأمر لياتي على أسلم وجوهه
والارتباد هنا طلب ما يراد (٣) الأناة الانتظار والتؤدة . والمقتبس المرتاد أي الذي أخذ
بيده مصباحا يرتاد على ضوءه شيئا غاب عنه ، ومثل هذا يتأني في حركته خوف أن
يطفأ مصباحه وخشية أن يفوته في بعض خطواته ما يفتش عليه لو أسرع فلذا ضرب
المثل به . والمضطرب مدة الاضطراب أي الحركة في العمل (٤) اقترفا اكتسب ومثله قرف
يقرف لعيناه أي يكسب ، ووجل خاف ووجلا بفتح الميم والجمع . وبادر سارع .
وعبر مبنى للمجهول مشدد الباء أي عرضت عليه العبر مرارا كثيرة فاعتبر أي انعظ
وحذر مبنى للمجهول أيضا أي خوف من عواقب الخطايا ، فازدجر أي امتنع عنها وبروى
وحذر وحذر وزجر فازدجر (٥) أجاب داعي الله إلى طاعته فأناب إليه أي رجع ، واحتدى
رشاكل بين عمله وعمل مقتسده أي أحسن القدوة . وأرى بضم الهمزة مبنى للمجهول
أي أوجه الشريعة ما يجب عليه وما يجب له وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية فرأى

فَأَسْرَعَ طَالِبًا وَنَجَا هَارِبًا . فَأَفَادَ ذَخِيرَةً^(١) وَأَطَابَ سَرِيرَةً . وَعَمَرَ مَعَادًا .
وَأَسْتَظْهَرَ زَادًا^(٢) . لِيَعْرِمَ رَحِيلَهُ . وَوَجِهَ سَبِيلَهُ . وَحَالَ حَاجَتَهُ . وَمَوْطِنَ
فَاقَتِهِ . وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةً مَا خَلَقَكُمْ
لَهُ^(٣) . وَأَحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَهُ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ^(٤) . وَأَسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا
أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّجَازِ بِصِدْقِ مِيعَادِهِ^(٥) . وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ
« مِنْهَا » جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاءًا لَتَعْبِيَ مَا عَنَّا هَا . وَأَبْصَارًا لَتَجْلُو عَنْ عَشَاهَا^(٦)
وَأَشْلَاءَ جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا . مُلَائِمَةً لِأَخْنَائِهَا^(٧) . فِي تَرْكِيبِ صُورِهَا وَمُدَدِ

ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل (١) أفاد الذخيرة استفادها وافتناها وهو
من الاضداد (٢) استظهر زاداً حل زاداً . جل ظهر راحلته الى الآخرة والكلام تمثيل ،
ووجه السبيل المقصد الذي يركب السبيل لأجله (٣) الجهة مثلثة الناحية والجانب وهو
ظرف متعلق بحسب من ضمير اتقوا أى متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل
النافع لكم الباقي أثره لأخلافكم (٤) حذرنا من نفسه سبحانه أن نتعرض لما يغضبه
بمخالفة أوامره ونواهيه . وكنه ذلك غايته ونهايته أى احذروا نهاية ما حذركم ولا تنفعوا
فى شىء مما يغضبه وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا هو البحث عن كنهه وحقيقته
فيأمرنا الامام بالقوى والبعد عن البحث فى حقيقته وكنهه فان الوصول الى كنهه
ذاته محال (٥) تنجز الوعد طلب وفائه على عجل وتنجز ما وعد الله انما يكون بالعمل
له وبهذا التنجز العملى يستحق ما أعد الله للصالحين . والحذر معطوف على التنجز
(٦) عناها أهمها وتعبه تحفظه وتجلو من جلا عن المكان فارقه أى تخلص من عماها
أى لتبصر ولا تكون مبصرة حقيقة حتى يفيدها الابصار حركة الى نافع وانقباضاً
عن ضار . والأشلاء جمع شلو الجسد أو العضو وعلى الثانى يكون المعنى أن كل عضو فيه
أعضاء باطنة أو صغيرة (٧) الاخناء جمع حنو بالكسر كل ما اعوج من البدن وملاءمة

عُمْرِهَا . بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا^(١) وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا . فِي مُجَلَّاتٍ نِعْمِهِ^(٢) وَمُوجِبَاتٍ مِنْهُ . وَحَوَاجِزٍ عَافِيَتِهِ . وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَارًا سَتَرَهَا عَنْكُمْ . وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبْرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُسْتَتَعٍ خَلَافِهِمْ وَمُسْتَفْسَحٍ خَنَافِهِمْ . أَرْهَقْتَهُمُ الْمَنِيَا دُونَ الْآمَالِ . وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَحَرُّمُ الْأَجَالِ . لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا فِي أَنْفِ الْأَوَانِ^(٣) . فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَصَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَافِي الْأَهْرَمِ . وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصَّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ . وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ^(٤) . مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ^(٥) وَأَزُوفِ الْإِنْتِقَالِ وَعَلَزِ الْقَلَقِ . وَالْمِ الْمَضَضِ وَغُصَصِ الْجَرَضِ . وَتَلَفَّتِ الْإِسْتِغَاثَةَ بِنُصْرَةِ الْخَفْدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ

الأعضاء لها تناسبها معها، وقد يراد من الاحناء الجهات والجوانب. وملائمة حال من الأعضاء، وملاءمة الأعضاء للجهات التي وضعت فيها أن يكون العضو في تلك الجهة انفع منه في غيرها، تكون العين في موضعها المعروف أنفع من كونها في قمة الرأس مثلاً، وقوله تركيب صورها أي آتية في صورها المركبة كما نقول ركب في سلاحه أي متسلحاً (١) الارفاق جمع رفق بالكسر المنفعة أو ما يستعان به عليها . ورائدة أي طالبة (٢) مجلات على صيغة اسم الفاعل من جله بمعنى غطاه أي غامرات نعمه من قولهم سحاب مجلل أي يطبق الأرض (٣) الخلاق النصيب الوافر من الخير، والخناق بالفتح جبل يخنق به وبالضم داء يمتنع معه نفوذ النفس، وارهقتهم أعجلتهم، وأنف بضمين يقال أمر أنف مستأنف لم يسبق به قدر والأنف أيضاً المشية الحسنة (٤) البضاضة رخص ورقة الجلد وامتلاؤه والغضارة النعمة والسعة والخصب (٥) الزيال مصدر زايه

وَأَقْرَنَاهُ . فَهَلْ دَفَعَتْ الْأَقَارِبُ أَوْ نَفَعَتْ النَّوَاحِبُ ^(١) وَقَدْ غَوِدَرَ فِي مَحَلَّةِ
الْأَمْوَاتِ رَهِينًا ^(٢) وَفِي ضَيْقِ الْمَضْجَعِ وَحِيدًا . قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ
جِلْدَتَهُ ^(٣) وَأَبْلَتِ النَّوَاحِكُ جِدَّتَهُ . وَعَفَّتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ . وَحَا
أَلْحَذَانُ مَعَالِمَهُ ^(٤) وَصَارَتْ الْأَجْسَادُ شَجَبَةً بَعْدَ بَضْتِهَا ، وَالْعِظَامُ نَخْرَةً
بَعْدَ قُوَّتِهَا ^(٥) وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا ^(٦) مُوقِفَةً بَغِيبِ أَنْبَائِهَا .
لَا تُسْتَرَادُّ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَالِهَا ^(٧) أَوْ لَسْتُمْ
أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالْآبَاءِ ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالْأَقْرِبَاءِ . تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ . وَتَرَكُّوْنَ
قَدَّتَهُمْ ^(٨) وَتَطَاوُنَ جَادَتَهُمْ . فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا . لَا هِيَةَ عَنْ

مزيلة وزبالا فارقة (١) الازوف الدنو والقرب والعارفاق وخفة وهلع يصيب المريض
والمختضر . والمضض بلوغ الحزن من القلب ، والجرض الريق ، والحفدة البنات وأولاد
الأولاد والأصهار (٢) غودر ترك وبقي ، ورهينا خبيسا (٣) هتكت جذبت جلده
فقطعتها . والهوام الحيات وكل ذى سم يقتل (٤) النواهلك من قولهم نهكك السلطان
إذا بالغ في عقوبته . وعفت أى محت ، والعواصف الرياح الشديدة ، والمعالج جمع معلم
وهو ما يستدل به (٥) الشجبة بفتح فكسر الهالكة . البضة هنا الواحدة من البض
وهو مصدر بض الماء إذا ترشح قليلا قليلا أى بعد امتلائها حتى كان الماء يترشح منها .
ونخرة بالية (٦) الأعباء الأنقال جمع عبء أى حمل . وموقفة بغيب أنبائها أى منكشفا
لها ما كان غائبا عنها من أخبارها وما أعد لها فى الآخرة (٧) لا تسترأى الخ أى لا يطلب
منها زيادة العمل فانه لا عمل بعد الموت . ولا تستعتب مبنى للمفعول أى لا يطلب منها
تقديم العتبى أى للتوبة من العمل القبيح أو مبنى للفاعل أى لا يمكنها أن تطلب الرضا
والإقالة من خطئها للسيئ (٨) القدة بكسر فتشديد الطريقة . وتطاون جادتهم يسرون

رُشْدَهَا سَالِكَةً فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا. كَأَنَّ الْمَعْنَى سِوَاهَا^(١) وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ حِجَازَ كَمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ^(٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ . وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ^(٣) ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَأَظْلَمَا الرَّجَاءَ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، وَأَرْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِإِبَانَتِهِ ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضِجِ السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ^(٤) ، وَلَمْ تَعْمَ

على سبيلهم بلا انحراف عنهم في شيء أي يصيبكم ما أصابهم بلا أقل تفاوت (١) كأن المعنى أي المقصود بالكاليف الشرعية والموجه إليه التحذير والتبشير غيرها ، وقوله وكأن الرشد الخ أي مع أن الرشد لم يشخصر في هذا بل الرشد كل الرشد إحراز الآخرة لا الدنيا (٢) أن حجازكم الخ أنكم تجوزون على الصراط مع ما فيه من مزالق الدحض. والدحض هو انقلاب الرجل بقفته فيسقط المار. والزال هو انزلاق القدم والتارات النوب والدفعات (٣) أنصب الخوف بدنه أنعبه (٤) والغرار بالكسر القليل من النوم وغيره وأسهره التهجد أي أزال قيام الليل نومه القليل فأذهبه بالمرة. وأظلم الرجاء الخ أي أظلم نفسه في هاجرة اليوم. والمعنى صام رجاء النواب. وظلف الزهد الخ أي منعها. وظلف منع . وأرجف الذكر أرجف به أي حركه ويروى أوجف بالواو أي أسرع كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجب به كما توجف الناقة براكبها ، وإبان الشيء بكسر فتنشيد وقته الذي يلزم ظهوره فيه أي انه خاف في الوقت الذي ينفع فيه الخوف ، ويروى لأمانه أي خاف في الدنيا ليأمن في الآخرة. وتنكب الشيء مال عنه ، والمخالج الشعوب من الطريق المائلة عن وضحه والوضح محركة الجادة. وعن وضح متعلق بالمخالج أي تنكب المائلات عن الجادة . وأقصد المسالك أقومها ولم تفتله الخ أي لم ترده ولم تصرفه ولم تعم عليه أي لم تخف عليه الأمور المشبهة حتى يقع فيها تحذر على غير

عَلَيْهِ مُشْتَهَاتُ الْأُمُورِ . ظَافِرًا بِفِرْحَةِ الْبُشْرَى وَرَاحَةِ النُّعْمَى ^(١) فِي
 أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَآمَنِ يَوْمِهِ . قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيدًا ^(٢) . وَقَدَّمَ زَادَ
 الْأَجَلَةِ سَعِيدًا . وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ . وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَرَغَبَ فِي طَلَبٍ
 وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ ^(٣) وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ . وَنَظَرَ قَدَمًا أَمَامَهُ ^(٤) فَكَفَى
 بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَتَوَالًا . وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا . وَكَفَى بِاللَّهِ مُشْتَقِمًا
 وَنَصِيرًا . وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَاجِبًا وَخَصِيمًا ^(٥) أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ
 الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ . وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ ^(٦) . وَحَذَرَ كُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي
 الصُّدُورِ خَفِيًّا وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ تَجِيًّا ^(٧) ، فَأُضِلَّ وَأُرْدِيَ ، وَوَعَدَ فَمَنَى ،

بصيرة (١) النعمى بالضم سعة العيش ونعيمه ، ظافرا حال من الضمائر السابقة العائدة
 على ذى لب وفى أنعم متعلق براحة النعمى وجعل انصافه بتلك الأوصاف فى حال الظفر
 تمثيلا لالتصاق السعادة بالفضيلة وملازمتها اياها (٢) العاجلة الدنيا . وسميت معبرا لأنها
 طريق يعبر منها الى الآخرة وهى الآجلة . بادر من وجل أى سبق الى خير الأعمال خوفا
 من لقاء الأحوال . وأكش أسرع ومثله انكش وكشته تكميشا أعجلته . والمراد
 جد السير فى مهلة الحياة (٣) أى رغب فيما يذنبى طلبه وذهب وانصرف عما يجب
 الهروب منه (٤) القدم بفتح الحين السابق أى نظر الى ما يتقدم أمامه من الأعمال ويروى
 قدما بضمين وهو الماضى أمام أى مضى متقسما (٥) الكتاب القرآن . وحجيجا
 وخصما أى مقنعا لمن خالفه بأنه جلب الهدلاك على نفسه ، وقد يراد من الكتاب
 ما أحصى من الأعمال على العامل اذا عرض عليه يوم الحساب (٦) أعذر بما أنذر
 ما مصدرية أعذر أى سلب عذر المعتذر بانذاره اياه بعواقب العمل وقامت له
 الحجة على الضالين بما نهج وأوضح من طرق الخير والفضيلة (٧) ذلك العدو هو
 الشيطان ونفذ فى الصدور الخ تمثيل لدقة مجارى وسوسته فى الأنفس فهو فيما يسوله

وَزَيْنَ سَيِّئَاتِ الْجُرَائِمِ . وَهَوْنَ مُوبِقَاتِ الْمَظَالِمِ . حَتَّى إِذَا أُسْتَدْرَجَ
قَرِينَتُهُ ^(١) وَاسْتَفْلَقَ رَهِيْنَتَهُ أَنْكَرَ مَا زَيْنَ ^(٢) وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوْنَ وَحَذَرَ
مَا أَمَّنَ .

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ
الْأَرْحَامِ ^(٣) وَشَغَفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقًا وَعَلَقَةً مُحَاقًا . وَجَنِينًا وَرَاضِعًا ، وَوَلِيدًا
وَيَافِعًا ^(٤) . ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَلِسَانًا لَا فِظًا وَبَصَرًا لَا حِظًا . لِيَقْهَمَ مُعْتَبِرًا .
وَيُقْصَرُ مَزْدَجِرًا . حَتَّى إِذَا قَامَ أُعْتِدَالُهُ وَاسْتَوَى مِثَالُهُ ^(٥) نَقَرَ مُسْتَكْبِرًا
وَحَبِطَ سَادِرًا ^(٦) . مَا تَحَا فِي غَرْبِ هَوَاهُ ^(٧) ، كَادِحًا سَعِيًا لِدُنْيَاهُ . فِي لَذَاتِ

يجرى مجرى الأنفاس ويسلك بما يأتي من مسالك الاصدقاء كأنه نجى يسارك وينفث
في أذنك بما ظنه خيرا لك ، واردى أهلك ، ووعده فنى أى صور الأمانى كذبا (١) القرينة
النفس التى يقارنها بالوسوسة . واستدرجها أنزلها من درجة الرشد الى درجته من
الضلالة ، واستفلق الرهن جعله بحيث لا يمكن تخليصه (٢) أنكر الخ لبيان لعمل الشيطان
وبراءته من اغواءه عندما تحقق كلمة العذاب (٣) أم بمعنى بل الانتقالية بعد ما بين وصف
الشيطان انتقل لبيان صفة الانسان ، وشغف الأستار جمع شغاف هو فى الأصل غلاف
القلب استعاره للشيمة (٤) دهاقا متتابعاً دهقها أى صبها بقوة وقد تفسر الدهاق
بالمثلثة أى ممتلئة من جرائم الحياة وعلقة محاقا أى خفى فيها ومحق كل شكل وصورة .
والجنين الولد بعد تصويره ما دام فى بطن أمه ، واليافع الغلام راقى العشرين
ويقصر يكف عن الرذائل ممتنعا عنها بالعقل والروية (٥) استوى مثاله أى بلغت
قامته حد ما قدر لها من النمو (٦) خبط البعير اذا ضرب بيديه الأرض لا يتوق شيئا
والسادر المتحير والذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع (٧) متح الماء نزع وهو فى أعلى البئر
والماتح الذى ينزل البئر اذا قل ماؤها فيملأ الدلو . والغرب الدلو العظيمة أى لا يستقى

طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرْبِهِ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً ^(١) وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً . فَمَاتَ فِي
فَتْنَتِهِ غَرِيرًا ، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ بَسِيرًا . لَمْ يُفِدْ ^(٢) عَوْضًا . وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا .
دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَرِ جَمَاحِهِ ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ ^(٣) . فَظَلَّ سَادِرًا ^(٤) وَبَاتَ
سَاهِرًا . فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ . وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ . بَيْنَ أَخِ
شَقِيقٍ وَوَالِدِ شَفِيقٍ . وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا . وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا ^(٥) .
وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةِ مُلْهِبَةٍ . وَغَمْرَةِ كَارِثَةٍ ^(٦) وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ . وَجَذْبَةٍ
مُكْرِبَةٍ . وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ . ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا ^(٧) وَجُذِبَ مُنْقَادًا

الا من الهوى . والكدح شدة السعى ، والبدوات جمع بدأة وهي ما بدا من الرأي أى
ذاهباً فيما يبدوله من رغائبه غير متقيد بشريعة ولا ملتزم صدور فضيلة (١) لا يحتسب
رزية أى لا يظنها ولا يفكر فى وقوعها ولا يخشع من التقية والخوف من الله تعالى
وغريرا براءين مهملتين أى مغرورا ، ويروى عزرا بمعجمتين أى شابا وهى رولية
ضعيفة غير ملاقة سياق النظم وعاش فى هفوته الخ عاش فى خطائنه وخطيئاته الناشئة
عن الخطأ فى تقدير العواقب زمنا يسيرا وهو مدة الأجل ويروى أسيرا (٢) لم يفد أى
لم يستفد ثوابا (٣) دهمته غشيبته وغبر بضم فتشديد جمع غابر أى باقى فى بقايا تعنته
على الحق وعدم انقياده له . والسنان الطريقة ، والمرح شدة الفرح والبطر (٤) ظل
ساذرا أى حائرا وذلك بعد ما غشيبته فجعات المنية وهى عوارض الأمراض المهلكة
التي تفضى الى الموت (٥) اللادمة الضاربة (٦) الغمرة الشدة تحيط بالعقل والحواس .
والكارثة الفاطمة للآمال أو من كربه الغم اذا اشتد عليه ، والأنة بفتح فتشديد
الواحدة من الآن أى التوجع . وجذبة مكربة أى جذبات الأنفاس عند الاحتضار ،
والسوقة من ساق المريض نفسه عند الموت سوقا وسياقا وسبق على المجهول شرع فى نزع
الروح (٧) أبليس يبليس يشى فهو مبليس . وسلسا أى سهلا لعدم قدرته على الممانعة

سَلِسًا . ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ ^(١) وَلِضَوْ سَقَمٍ تَحْمِلُهُ حَفْدَةٌ
 أَلْوَدَانٍ ^(٢) وَحَشْدَةُ الْإِخْوَانِ ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ . وَمُنْقَطِعَ زَوْرَتِهِ ^(٣) حَتَّى
 إِذَا انْصَرَفَ الْمَشِيعُ . وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ أَقْعَدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّوَالِ
 وَعَثْرَةِ الْإِمْتِحَانِ ^(٤) . وَأَعْظَمُ مَا هُنَاكَ بَلِيَّةٌ تُزُولُ الْحَجِيمِ ^(٥) وَتَصْلِيَةُ
 الْحَجِيمِ وَقَوْرَاتُ السَّعِيرِ وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ . لَا فِتْرَةَ مُرِيحَةٍ ^(٦) . وَلَا دَعَا
 مُرِيحَةٍ . وَلَا قُوَّةَ حَاجِزَةٍ . وَلَا مَوْتَةَ نَاجِزَةٍ . وَلَا سِنَةَ مُسْلِيَةٍ بَيْنَ
 أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ ^(٧) وَعَذَابِ السَّاعَاتِ إِنْ أَبَا اللَّهُ عَائِذُونَ
 عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الَّذِينَ كُفِّرُوا فَنَعِمُوا ^(٨) وَعُلِّمُوا فَفَهَّمُوا وَأَنْظَرُوا
 فَلَهُمُ ^(٩)

(١) الرجيع من الدواب ما رجع به من سفر الى سفر فكل . والوصب التعب ، ونضو بالكسر مهزول (٢) الحفدة الأعوان ، والحشدة المسارعون في التعاون (٣) منقطع الزورة حيث لا يزار (٤) النجى من تحادته سر أو الملت لا يسمع كلامه سوى الملائكة المكلمين له . وبهتة السؤال حيرته (٥) الحميم في الأصل الماء الحار ، والتصلية الاحراق والمراد هنا دخول جهنم . والسورة الشدة . والزفير صوت النار عند توفدها (٦) الفترة السكون أى لا يفتقر العذاب حتى يستريح الملعن من الألم ، ولا تكون دعة أى راحة حتى تزيج ما أصابه من التعب ، وليست له قوة تحجز عنه وترد غواشي العذاب ولا بموته يجده مودة حاضرة تذهب بأحاسسه عن الشعور بتلك الآلام . والناجز الحاضر والسنة بالكسر والتخفيف أوائل النوم ، مسلية ملهية عن الألم (٧) أطوار الموتات الخ كل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدةها . وأطوار هذه الموتات ألوانها وأنواعها (٨) عمروا الخ عاشوا فتنعموا (٩) أمهلوا فألهم المهل عن العمل وذلك بعد أن

١٠ - نهج - أول

وَسَلِمُوا فَتَسُوا^(١) . أَمْهَلُوا طَوِيلًا . وَمُنِحُوا جَمِيلًا . وَحُذِرُوا أَلِيمًا .
وَوُعِدُوا جَسِيمًا . احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُورِّطَةَ وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ^(٢)
أُولَى الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ . وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ . هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ
خَلَاصٍ . أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ . أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ^(٣) أَمْ لَا فَأَنْتِ تُؤْفَكُونَ^(٤)
أَمْ أَنْ تَضْرُقُونَ . أَمْ بِمَاذَا تَفْتَرُونَ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ
الطُّولِ وَالْعَرْضِ . قَيْدُ قَدِّهِ^(٥) مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ الْآنَ . عِبَادَ اللَّهِ وَالْخَنَاقُ
مُهْمَلٌ^(٦) وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ . فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ^(٧) وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ وَبَاحَةِ
الْإِحْتِشَادِ^(٨) . وَمَهْلِ الْبَقِيَّةِ . وَأَنْفِ الْمَشِيَّةِ^(٩) . وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ وَأَنْفِسَاجِ
الْحَوْبَةِ^(١٠) قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ . وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ^(١١) وَقَبْلَ قُدُومِ
الْغَائِبِ الْمُنتَظَرِ^(١٢) وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ

علموا ففهموا وكان مقتضى الفهم أن لا يغتروا بالمهلة ويضيعوا الفرصة (١) سلمت
عاقبتهم وأرزاقهم فنسوا نعمة الله في السلامة (٢) المورطة المهلكة (٣) محار أى
مرجع إلى الدنيا بعد فراقها (٤) تؤفكون تغلبون أى تنقلبون (٥) قيدده بكسر
القام ففتحها من اللفظ الأول وفتحها من الثانى مقدار طوله يريد مضجعه من القبر
(٦) الخناق الحبلى الذى ينجق به واهماله عدم شدة على العنق مدى الحياة أى وأنتم
فى قدرة من العمل وسعة من الأمل (٧) الفينة بالفتح الحال والساعة والوقت وروى
فينة الارتداد بمعنى الطلب (٨) باحة الدار ساحتها . والاحتشاد الاجتماع أى أنتم فى ساحة
يسهل عليكم فيها التعاون على البر باجتماع بعضهم على بعض (٩) أنف بضمين
مستأنف المشيئة لو أردتم استئناف مشيئة وإرادة حسنة لأمكنكم (١٠) الحوبة الحالة
أو الحاجة (١١) الروع الخوف . والزهُوق الاضمحلال (١٢) الغائب المنتظر الموت

وَفِي الْخَبَرِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خَطَبَ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ أَشْعَرَتْ لَهَا
الْجُلُودُ . وَبَكَتِ الْعُيُونُ وَرَجَفَتِ الْقُلُوبُ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُسَمِّي
هَذِهِ الْخُطْبَةَ الْغُرَاءَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ غُرِّ بَنِي الْعَاصِ

عَجَبًا لِابْنِ النَّابِغَةِ ^(١) يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابَةٍ ^(٢) وَأَنِّي أُمِرْتُ
تِلْعَابَةً أَعَافِسُ وَأُمَارِسُ ^(٣) لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَنَطَقَ آثِمًا . أَمَّا وَشَرُّ الْقَوْلِ
الْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ . وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ . وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ ^(٤)
وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ . وَيَحْجُونَ الْعَهْدَ . وَيَقْطَعُ الْإِلَّ ^(٥) فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ
فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ . مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَا خِذَهَا ^(٦) فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقِرْمَ سُبَّتَهُ ^(٧) أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي
مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ . وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الْآخِرَةِ .

(١) النابغة المشهورة فيما لا يليق بالنساء من نبع اذا ظهر (٢) الدعابة بالضم المزاح
واللعب . وتلعب بالسكر كثير اللعب (٣) اعافس اعالج الناس وأضاربهم مزاحاً . ويقال
للمعافسة معالجة النساء بالمغازلة . والممارسة كالمعافسة (٤) فيلحف أى يلح . ويسأل ههنا
مبنى للفاعل . ويسأل في الجملة بعدها للمفعول (٥) الإل بالكسر القرابة والمراد أنه
يقطع الرحم (٦) أى أنه في الحرب زاجر و آمر عظيم أى محرض حاث ما لم تأخذ
السيوف ، أخذها فعند ذلك يجب كما قال فاذا كان ذلك الخ (٧) السبة بالضم الاست
تفريع له بقلته عندما نازل أمير المؤمنين في واقعة صفين فصال عليه وكاد يضرب

إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتِيَّةٌ وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ
الدِّينِ رَضِيخَةً^(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ .
وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ . لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تَقَعُدُ الْقُلُوبُ
مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ^(٢) وَلَا تَنَالُهُ التَّجَزِئَةُ وَالتَّبَعِيضُ . وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ
وَالْقُلُوبُ (مِنْهَا) فَاتَمَّظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ الْتَوَافِعِ . وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ
السَّوَاطِعِ^(٣) وَأَزْدَجِرُوا بِالنَّذْرِ الْبَوَالِغِ^(٤) وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ
وَالْمَوَاعِظِ . فَكَأَنَّ قَدْ عَلَقْتُمْ مَخَالِبُ الْمُنِيَّةِ . وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ
عَلَاتِقُ الْأُمْنِيَّةِ . وَدَهَمَتْكُمْ مُفْطَعَاتُ الْأُمُورِ^(٥) وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوُرْدِ
الْمَوْزُودِ^(٦) وَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . سَائِقٌ يُسَوِّفُهَا إِلَى مُحْشَرِهَا

عنقه فكشف عورته فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه (١) الأتية العطية ورضخ له
أعطاه قليلا والمراد بالأتية والرضيخة ولاية مصر (٢) تقعد مجاز عن استقرار حكمها
أى ليست له كيفية فتحكم بها (٣) الآى جمع آية وهى الدليل . والسواطع الظاهرة
الدلالة (٤) للبوالغ جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط . والنذر جمع نذير
بمعنى الانذار أو الخوف والمراد انذار المنذرين (٥) المفطعات من أفطع الأمر اذا
اشتد ويقال أفطع الرجل للمجهول اذا نزلت به الشدة (٦) الورد بالكسر الأصل فيه

وَشَهِدُ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا

(وَمِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) دَرَجَاتٌ مُتَفَاعِلَاتٌ . وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ .
لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَظْنُ مُقِيمُهَا . وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا . وَلَا يَنُاسُ
سَاكِنُهَا^(١) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ . وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ . لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ . وَالْغَلْبَةُ
لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامٍ مَّهْلَةٍ
قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ^(٢) وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ . وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ
يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ^(٣) وَأَيُّمُهُدٍ لِنَفْسِهِ وَقُدُومِهِ . وَلْيَتَرَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ
إِقَامَتِهِ . قَالَ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا أَسْتَحْفَظُكُمْ مِنْ كِتَابِهِ وَأَسْتَوْدَعُكُمْ
مِنْ حُقُوقِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى
وَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى . قَدْ سَمَى آثَارَكُمْ^(٤) وَعَلَّمَ أَعْمَالَكُمْ
وَكَتَبَ آجَالَكُمْ . وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ

الماء . يورد للرى والمراد به الموت أو المحشر (١) بش كسمع اشتدت حاجته (٢) ارهاق
الأجل أن يعجل المفرط عن تدارك ما فاتته من العمل أى يحول بينه وبينه (٣) الكظم
بالتحريك الحلق أو مخرج النفس، والأخذ بالكظم كناية عن التضييق عند مداركة
الأجل (٤) بين لكم أعمالكم وحددها

وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَانًا^(١) حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيهَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهِه^(٢) وَنَوَاهِيه وَأَوَامِرَهُ . فَأَلْقَى إِلَيْكُمْ الْمَعْذِرَةَ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ . وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ . وَأَنْذَرَ كُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ . فَاسْتَذِرْ كُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ . وَأَصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسُكُمْ^(٣) فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ . وَلَا تُرَخِّصُوا أَنْفُسَكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمْ الرُّخْصُ فِيهَا مَذَاهِبُ الظُّلْمَةِ^(٤) وَلَا تُدَاهِنُوا فِيهِجُمَ بِكُمْ^(٥) الْإِذْهَانُ عَلَى الْمُصِيبَةِ . عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ . وَإِنْ أَغَشَّاهُمْ لِنَفْسِهِ أَغْصَاهُمْ لِرَبِّهِ وَالْمَغْبُوتُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ^(٦) وَالْمَغْبُوتُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ^(٧) . وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ أَخْدَعَ لِهَوَاهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شَرُّكَ^(٨) وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَاةٌ لِلْإِيمَانِ^(٩) . وَمُحَضَّرَةٌ لِلشَّيْطَانِ . جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ . الصَّادِقُ عَلَى شَرَفٍ مَنَجَاةٌ وَكَرَامَةٌ . وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ

(١) عمر نبيه مد في أجله (٢) محابه مواضع جبه وهى الأعمال الصالحة (٣) اصبروا أنفسكم اجعلوا لانفسكم صبراً فيها (٤) الظلمة جمع ظالم (٥) المداينة اظهار خلاف مافى الطوية والادهان مثله (٦) المغبون المخدوع (٧) والمغبوط المستحق لئطلع النفوس اليه والرجبة فى نيل مثل نعمته (٨) الرياء أن تعمل لبراك الناس وقلبك غير راغب فيه (٩) مساة

وَمَهَانَةٍ وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْخُسْدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ
الْحَطْبَ . وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ^(١) . وَأَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِى الْعَقْلَ
وَيُنْسِي الذِّكْرَ ^(٢) فَأَكْذِبُوا الْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ . وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ فَاسْتَشَعَرَ
الْحُزْنَ وَتَجَلَّبَبَ الْخَوْفَ ^(٣) فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَأَعَدَّ الْقُرَى
لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ ^(٤) فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ ^(٥) . نَظَرَ
فَأَنْصَرَ . وَذَكَرَ فَاسْتَكْتَرَ ^(٦) وَأَرْتَوَى مِنْ عَذَابِ فُرَاتٍ . سَهَلَتْ لَهُ

للإيمان موضع لنسيانه وداعية للذهول عنه ، ومحضرة للشيطان مكان لحضوره وداع له (١) فانها
أى المباغضة الحالقة أى الماحية لكل خير وبركة (٢) الأمل الذى يذهل العقل وينسى ذكر
الله وأوامره ونواهيته واستقرار النفس على ما وصلت اليه غير ناظرة الى تغير الأحوال ولا
آخذة بالحزم فى الأعمال (٣) استشعر لبس الشعار وهو ما يلى البدن من اللباس ، وتجلبب
لبس الجلباب وهو ما يكون فوق جميع الثياب ، والحزن العجز عن الوفاء بالواجب
وهو قلبى لا يظهر له أثر فى العمل الظاهر ، أما الخوف فيظهر أثره فى البعد عما يغضب الله
والمسارعة للعمل فيما يرضيه وذلك أثر ظاهر . وزهر مصباح الهدى تلاً وأضاء (٤) القرى
بالكسرها مهيأً لاضيف وهو هنا العمل الصالح يهيؤه للقاء الموت وحلول الأجل (٥) جعل
الموت على بعده قريباً منه فعمل له ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية والأخذ
بالجند فى احرار الفضائل السامية وذلك هو الشديد (٦) ذكر الله فاستكثر من العمل فى

مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهْلًا^(١) وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا^(٢) قَدْ خَلَعَ سَرَائِيلَ الشَّهَوَاتِ
وَتَحَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هُمَا وَاحِدًا أَنْفَرَدَ بِهِ^(٣) فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى
وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَمَغَالِيقِ
أَبْوَابِ الرَّدَى. قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ. وَسَلَكَ سَبِيلَهُ. وَعَرَفَ مَنَارَهُ. وَقَطَعَ
غِمَارَهُ^(٤) اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْتَقِهَا. وَمِنْ الْجِبَالِ بِأَمْتِنِهَا. فَهُوَ مِنْ
الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ. قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ
الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ. وَتَصْيِيرِ كُلِّ قَرْنٍ إِلَى أَصْلِهِ^(٥)
مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ. كَشَافُ عَشَاوَاتٍ. مِفْتَاحُ مُبْهِمَاتٍ. دَفَاعُ مُعْضَلَاتٍ^(٦)
دَلِيلُ فَلَوَاتٍ^(٧). يَقُولُ فِيهِمْ وَيَسْكُتُ فِيَسْلَمُ. قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ
فَاسْتَخْلَصَهُ. فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ. وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ. قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدَلَ

رضاه والعذب والفرات مترادفان (١) النهل أول الشرب والمراد أخذ حظًا لا يحتاج
معه إلى العلل وهو الشرب الثاني (٢) الجدد بالتحريك الأرض الغليظة أى الصلبة
المستوية ومثلها يسهل السير فيه (٣) اهتم الواحد هو هم الوقوف عند حدود الشريعة
(٤) جمع غمر بالفتح معظم البحر والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة
(٥) لأن من كان همه التزام حدود الله فى أوامره ونواهيه نفذت بصيرته إلى حقائق
سر الله فى ذلك فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلا أصدره على وجهه
ولا يعرض له فرع إلا رده إلى أصله (٦) عشاوات جمع عشاوة سوء البصر أو العمى
أى أنه يكشف عن ذوى العشاوات عشاواتهم، ويروى عشاوات جمع عشاوة بتثنية
الأول وهى الأمر الملتبس. والمعضلات الشدائد والأمور لا يهتدى لوجهها (٧) الفلوات

فَكَانَ أَوَّلُ عَذْلِهِ نَفْيَ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ. يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ. لَا يَدْعُ
لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا^(١) وَلَا مَظْنَةً إِلَّا قَصَدَهَا^(٢). قَدْ أَمَكَّنَ الْكِتَابَ مِنْ
زِمَامِهِ^(٣) فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ. يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقْلُهُ^(٤) وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ
مَنْزِلُهُ. وَآخِرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ^(٥). فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَاِلٍ،
وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَالٍ. وَلَنْصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكَاءَ مِنْ حَبَائِلٍ غُرُورٍ وَقَوْلٍ زُورٍ.
قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ. وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ^(٦) يُؤْمِنُ مِنْ
الْعِظَامِ وَيَهْوُنُ كَبِيرَ الْجُرَائِمِ. يَقُولُ أَقْفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ.
وَأَعْتَزِلُ الْبِدْعَ وَيَبْتَنِيهَا أَضْطَجَعَ. فَالْصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ. وَالْقَلْبُ قَلْبُ
حَيَوَانٍ. لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ. وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدُّ عَنْهُ.
فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. وَأَتَى تُؤْفِكُونَ^(٧). وَالْأَعْلَامُ

جمع فلاة الصحراء الواسعة مجاز عن مجالات العقول في الوصول الى الحقائق (١) أمها
قصدها (٢) مظنة أى موضع ظن لوجود الفائدة (٣) الكتاب القرآن . وأمكته من
زمامه تمثيل لانقياده لاحكامه كأنه مطية والكتاب يقوده الى حيث شاء (٤) ثقل
المسافر محركة متاعه وحشمة ، وثقل الكتاب ما يحمل من أوامر ونواه (٥) وآخر الخ
هذا عبد آخر غير العبد الذى وصفه بالاوصاف السابقة يخالف فى وصفه وصفه ،
واقتبس استفاد ، جهائل جمع جهالة وبراء منها هنا تصور الشئ على غير حقيقته
ولا استفاد من الجهال الا ذلك ، والاضاليل الضلالة جمع أضلولة ويقال لا واحد لها من
لفظها وهو الأشهر ، والاضلال بضم فتشديد جمع ضال (٦) عطف الحق الخ حل الحق
على رغبته أى لا يعرف حقها الاياها (٧) تؤفكون تقلبون وتصرفون بالبناء للمجهول.
والأعلام الدلائل على الحق من معجزات ونحوها ، والنار جمع منارة والمراد هنا

قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ^(١). بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَيَنبَغِي لَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيَّكُمْ وَهُمْ أَرَمَةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَالسَّنَةُ الصَّدَقِ. فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ^(٢) وَرُدُّوهُمْ وَرُودَ الْهِمِ الْعِطَاشِ^(٣)

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ^(٤). وَيَبْنَى مَنْ بَنَى مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا إِنَّمَا لَا تَعْرِفُونَ. فَإِنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ فِيمَا تُنْكِرُونَ^(٥) وَأَعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ. وَأَنَا هُوَ. أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ^(٦) وَأَتْرَكَ فِيكُمْ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ. وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ. وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَأَلْبَسْتُكُمْ الْعَافِيَةَ مِنْ

ما أفيم علامة على الخير والشر (١) يتاه بكم من التيه بمعنى الضلال والخبيرة . وتعمهون تتعجبون ، وعترة الرجل نسله ورهطه (٢) أى أحاطوا بعترة النبي من قلوبكم محل القرآن من التعظيم والاحترام . وإن القلب هو أحسن منازل القرآن (٣) هادموا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهميم أى الإبل العطشى إلى الماء (٤) خنوا هذه القضية عنه وهى أنه يموت الميت من أهل البيت وهو فى الحقيقة غير ميت لبقاء روحه ساطع النور فى عالم الظهور (٥) الجاهل يستغصم الحقيقة فينكرها واكثر الحقائق دقائق (٦) الثقل هنا معنى النفس من كل شئ ، وفى الحديث عن النبي ﷺ قال تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أى النفسين . وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر وهو القرآن ويترك الثقل

عَذْلِي وَفَرَشْتَكُمْ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ^(١) وَأَرَيْتُكُمْ كَرَامَتِ
الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي . فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ
وَلَا تَغْلُغُلُوا إِلَيْهِ الْفِكْرُ (مِنْهَا) حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى
بَنِي أُمَيَّةَ ^(٢) تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا . وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا . وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ
الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا . وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ ، بَلْ هِيَ مُجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ
الْعَيْشِ ^(٣) يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ ^(١) إِلَّا بَعْدَ تَمِيلٍ وَرَخَاءٍ .
وَلَمْ يَجْزُ عَظَمَ أَحَدٍ مِنَ الْأَثَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزَلٍ وَبَلَاءٍ ^(٢) وَفِي دُونَ مَا
أَسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتَبٍ وَمَا أَسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٍ ^(٣) . وَمَا كُلُّ ذِي

الأصغر وهو ولداه ويقال عثرته قدوة للناس (١) فرشتكم بسطت لكم (٢) مقصورة
عليهم مسخرة لهم كأنهم شدوها بعقال كالناقة تمنحهم درها أي لبنها (٣) حجة بضم الميم
واحدة المج بضمها أيضا نقط العسل أي قطرة عسل تكون في أفواههم كما تكون في فم
النحلة ينوقونها زمانا ثم يقذفونها . وهذا التفسير أفضل من تفسير الحجة بالفتح بالواحدة
من مصدر مج التراب من فيه إذا رمى به (٤) يقصم يهلك . القصم الكسر
(٥) جبر العظم طبعه بعد الكسر حتى يعود صحيحا ، والأزل بالفتح الشدة (٦) العتب
بسكون التاء يريد منه عتب الزمان مصدر عتب عليه إذا وجد عليه ، وإذا وجد الزمان
على شخص اشتد عليه وقره ، والأصح أنه بتحريك التاء اما مفرد بمعنى الأمر الكربة

تَابِ بِلَيْبٍ. وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ. وَلَا كُلُّ نَاطِرٍ بِبَصِيرٍ. فَيَا عَجَبِي
- وَمَالِي لَا أَعْجَبُ - مِنْ خَطَا هَذِهِ الْفِرْقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا.
لَا يَقْتَصُونَ أَثَرَ نَبِيٍّ. وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلٍ وَحْيٍ. وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ. وَلَا
يَعْفُونَ عَنْ غَيْبٍ^(١). يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ. الْمَعْرُوفُ
عِنْدَهُمْ مَاعَرَفُوا. وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا^(٢). مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ
إِلَى أَنْفُسِهِمْ. وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ
إِمَامٌ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابِ مُحْكَمَاتٍ

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ . وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ
الْأَلَمِ . وَأَعْتِرَافٍ مِنَ الْفِتَنِ^(٣) . وَأَنْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ . وَتَلَظٍّ مِنَ

والفساد أو جمع عتبه بالتحريك بمعنى الشدة يقال ما في هذا الأمر رتبة ولا عتبه
أى شدة أى أنكم لجدىرون أن تعتبروا بأقل من الشدة المقبلة عليكم بعد ضعف
أمركم وأقل من الخطب العظيم الذى مر بكم فكيف بمنزل هذه الأمور الجسام فأنتم
أجدر أن تعتبروا بها (١) ولا يعفون بكسر العين وتشديد الفاء من عفت عن الشيء
إذا كففت عنه (٢) أى يستحسنون ما بدا لهم استحبابه ويستقبلون ما خطر لهم
قبحه بدون رجوع الى دليل بين أو شريعة واضحة ، يثق كل منهم بخواطر نفسه
كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى على ما بها من جهل ونقص (٣) اعتزام من قولهم
اعتزم الفرس إذا مر جاحنا أى وغلبة من الفتن ، ويروى اعتزام بالراء المهملة يقال

الْحُرُوبِ^(١) وَالذَّنْيَا كَلَسِيفَةُ النُّورِ ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ . عَلَى حِينِ أَصْفِرَارٍ مِنْ
وَرَقِهَا^(٢) وَإِنَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا . وَأَغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا . قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهَدْيِ .
وظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى . فَهِيَ مُتَجَهَّمَةٌ لِأَهْلِهَا^(٣) عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا
ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ . وَطَعَامُهَا الْحَيْفَةُ . وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ وَدَنَارُهَا السَّيْفُ^(٤)
فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ . وَادْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا
مُرْتَهَنُونَ^(٥) . وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ . وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِيَهُمْ
الْعُهُودُ . وَلَا خَلَتْ فِيهَا يَنَنُكُمْ وَيَنَنُهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ^(٦) وَمَا أَنْتُمْ
الْيَوْمَ مِنْ يَوْمٍ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِيَعِيدٍ وَاللَّهِ مَا أَسْمَعُهُمُ الرَّسُولُ شَيْئًا
إِلَّا وَهًا أَنَا ذَا الْيَوْمِ مُسْمِعُكُمْوهُ . وَمَا أَسْمَعُكُمْ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ
بِالْأَمْسِ . وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْسِدَةُ فِي ذَلِكَ

اعتبرم الفرس سطا ومال (١) وتلاظ أى تلهب (٢) هذا وما بعده تمثيل لتغيير
المدنيا واشرافها على الزوال ويأس الناس من التمتع بها أيام الجاهلية ، واغورار الماء
ذهابه ويروى اغوار مائها بالمهملة من قوله فلاة عوراء لا ماء بها (٣) من تجهمه أى
استقبله بوجه كربه (٤) ثمرها الفتنة أى ليست لها نتيجة سوى الفتن ، والجيفة إشارة
إلى أكل العرب للعينة من شدة الاضطرار . والشعار من الثياب ما يلبى البدن، والدنار
فوق الشعار . ولما كان الخوف يتقدم السيف كان الخوف شعارا والسيف دنارا وأيضا
فالخوف باطن والسيف ظاهر (٥) نيك إشارة إلى سيئات الأعمال وبواطن العقائد
وقبائح العوائد . وهم بها مرتهنون أى محبوسون على عواقبها فى الدنيا من الذل
والضعف (٦) الأحقاب جمع حقب بالضم وبضمين قيل ثمانون سنة وقيل أكثر وقيل

الْأَوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ . وَاللَّهُ مَا بَصُرْتُمْ بِمَعْدِهِمْ
شَيْئًا جَهْلُوهُ . وَلَا أَصْفَيْتُمْ بِهِ وَحُرْمُوهُ ^(١) وَلَقَدْ تَزَلَّ بِكُمْ الْبَلِيَّةُ
جَائِلًا خِطَامُهَا ^(٢) رِخْوًا بَطَانُهَا . فَلَا يَفْرَنَكُمُ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ .
فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا . وَالْخَلْقِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا ^(١)
الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِمًا دَائِمًا إِذْ لَا سَمَاءَ ذَاتُ أَبْرَاجٍ . وَلَا حُجُبَ ذَاتُ
أَرْتَاجٍ ^(٢) . وَلَا لَيْلَ دَاجٍ . وَلَا بَحْرَ سَاجٍ . وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ . وَلَا فَجٌّ ذُو
أَعْوِجَاجٍ . وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ . وَلَا خَلْقٌ ذُو أَعْتِمَادٍ . ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ

هو الدهر (١) يريد أن حالهم كحال من سبقهم وأن من السابقين من اهتدى بهدى
الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه . ومنهم من جهل خل به من النكال ما حل .
والامام اليوم مع هؤلاء كما كان الرسول مع أولئك . وحال السامعين في المدارك كحال
السابقين وليس هؤلاء مختصين بشيء حرمة أولئك ولا عالين بأمر جهلوه . فأصفيتم
أى خصصتم مبنى للمجهول (٢) الخطام ما جعل فى أقب البعير لينقاد به . وجولان
الخطام حركته وعدم استقراره لأنه غير مشدود . والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة
تأخذ فيهم ما أخذها لا مانع لها ولا مقاوم . و بطن البعير حزام يجعل تحت بطنه ومتى
استرخى كان الراكب على خطر السقوط (٣) روية فسكر وامعان نظر (٤) الارناج
جمع رنج بالتحريك الباب العظيم . والداجى المظلم . والساجى الساكن . والفجاج جمع فج
بمعنى الظلمة . الواسع بين جبلين ، والمهاد الفراش ، والخلق بمعنى الخلق ، وذو اعتماد

وَوَارِثُهُ^(١) وَإِلَهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ . وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ^(٢) يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ . قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ . وَأَخْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَعَدَّدَ أَنْفُسَهُمْ وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ . وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ^(٣) . وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الْأَرْحَامِ وَالظُّهُورِ . إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ . هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ . عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ . وَأَتَسَمَّتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ . قَاهِرٌ مَنْ عَازَهُ^(٤) وَمُدْمِرٌ مَنْ شَاقَهُ وَمُدِلٌ مَنْ نَاوَاهُ وَعَالِبٌ مَنْ عَادَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ . وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ^(٥) . وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ

عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا . وَحَاسِبُوا مَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا . وَتَنْفَسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخُنَاقِ . وَانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ^(٦)

أى بطش وتصرف بفصد وإرادة (١) مبتدع الخلق منشئه من العدم المحض ووارثه الباقي بعده (٢) دائبان تثنية دائب وهو المجد المجتهد ، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان وذلك كما أراد سبحانه (٣) من الضمير بيان لما تخفى الصدور وذلك أخفى من خائنة الأعين وهى ما يسارق من النظر الى ما لا يحل وتلك أخفى مما قبلها . من الأرحام والظهور أى فيها ، أو تكون من للتبعض أى الجزء الذى كانوا فيه من أرحام الأمهات وظهور الآباء (٤) عازّه رام مشاركته فى شىء من عزته . وشاقه نازعه . وناواه خالفه (٥) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين اظهاراً لنحقق الجزاء على العمل قال تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » (٦) العنف ضد الرفق أى

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعْنِ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ
لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ^(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تُعْرَفُ بِخُطْبَةِ الْأَشْبَاحِ وَهِيَ مِنْ جَلَائِلِ خُطْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَكَانَ سَأَلَهُ سَائِلٌ أَنْ يَصِفَ اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ عِيَانًا
فَقَضِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفْرُهُ الْمَنُّ وَالْجُمُودُ^(٢) وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ
وَالْجُودُ. إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُتَّقِصٌ سِوَاهُ. وَكُلُّ مَا نَجٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ.
وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ. وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسْمِ. عِيَالُهُ الْخَلْقُ.
ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ. وَتَهَجَّ سَبِيلَ الرَّاعِيَيْنِ إِلَيْهِ. وَالطَّالِبِينَ
مَا لَدَيْهِ. وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ. الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ
يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ. وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ

اتقادوا إلى ما يطلب منكم بالحث الرفيق قبل أن تساقوا إليه بالعنف الشديد (١) من
لم يعن مبنى للمجهول أى من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها
منبه لم ينفعه تنبيه غيره، ويجوز أن يكون للفاعل أى من لم يعن الزواجر على نفسه
بالذكير والاعتبار لم تؤثر فيه (٢) لا يفره لا يزيد ما عنده من البخل والجود وهو

فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ . وَالرَّادِعُ أَنَسِيُّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ
تُذَرِكَهُ^(١) . مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ . وَلَا كَانَ فِي
مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ إِلَّا تَنَقَّلَ وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ^(٢)
وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبَحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللَّحَيْنِ وَالْعَقِيَانِ^(٣) وَتُثَارَةُ
الدَّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ . وَلَا أَنْفَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ
وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنْعَامِ^(٤) لِأَنَّهُ
أَلْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ وَلَا يُبْخِلُهُ إِحْلَاحُ الْمُلْحِنِينَ^(٥) .
فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَأَتَمَّ بِهِ^(٦) .

أشد البخل ، ولا يكديه أى لا يفقره (١) أنسى جمع انسان ، وإنسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازا عنها فى لونها (٢) أبداع الامام فى تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفسا فان أغلب ما يكون من ذلك بل كله عن تحرك المواد الملتصبة فى جوف الأرض الى الخارج وهى فى تبخرها أشبه بالنفس ، كما أبداع فى تسمية انفلاق الصدف عن الدر ضحكا (٣) الفلز بكسر الفاء واللام الجوهر النفيس ، واللجين الفضة الخالصة ، والعقيان ذهب ينمو فى معدنه ، وتثارة الدر بالضم منشوره ، وفعالة بالضم فاش للجيد المختار كالخلاصة ، وللساقط المتروك كالقلامة ، وحصيد المرجان محصوده يشير إلى أن المرجان نبات وقد حققته كاشفات الفنون جسيدها وقديمها (٤) أنفده بمعنى أفناه ، ونفذ كفرح أى فنى (٥) يغيض بفتح حرف المضارعة من غاض المتعدى : يقال غاض الماء لازما وغاضه الله متعديا ، ويقال أغاضه أيضا وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ما عنده . ويبخله بالتحفيف من أبخلت فلانا وجدته بخيلا ، أما بخله بالتشديد فمعناه رماه بالبخل (٦) اتم به أى اتبعه فصفه كما وصفه افتداء به

وَأَسْتَضِيءُ بِنُورِ هِدَايَتِهِ . وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي
الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآئِمَّةِ
الْهُدَى أَثَرُهُ فَكُلَّ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ . فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ
عَلَيْكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاغِبِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ
السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الْإِقْرَارِ بِجُمْلَةٍ مَاجَهَلُوا تَفْسِيرَهُ مِنْ
الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ ^(١) ، فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا
بِهِ عِلْمًا . وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفَهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِ
رُسُومًا . فَاقْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ
فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتْ الْأَوْهَامُ لِتُذْرِكَ
مُنْقَطَعٌ قُدْرَتِهِ ^(٢) وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبْرَأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ
أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ ^(٣) وَتَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ ^(٤)
لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ ^(٥) وَغَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ
الْصِّفَاتُ لِتَتَنَاوَلَ عِلْمَ ذَاتِهِ ^(٦) رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدْفِ

(١) السد جمع سدة باب الدار، والاقرار فاعل أغناهم (٢) ارتمت الأوهام ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها . ومنقطع الشيء ما اليه ينتهي (٣) البرأ الخ أما الملابس لهذه الخطرات فعلوم أنه لا يصل إلى شيء لوقوفه عند وساوسه (٤) تولت القلوب اليه اشتد عشقها وميلها لمعرفة كنهه (٥) لتجري الخ لتجول ببصائرهما في تحقيق كيف قامت صفاته بذاته أو كيف انصف سبحانه بها (٦) وغمضت الخ أي خفيت طرق الفكر ودقت

الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُيِّهَتْ ^(١) مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يَنَالُ بِجُورٍ الْإِعْتِسَافَ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ ^(٢) وَلَا تَخْطُرُ بِيَالِ أُولَى الرُّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ ^(٣) الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أَمْتَلَهُ ^(٤) وَلَا مِقْدَارٍ اخْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعَهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ . وَآرَأَانَا مِنْ مَلَكَوَتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَأَعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُدْرَتِهِ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ ^(٥) وَظَهَرَتْ فِي الْأَبْدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صُنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ

وبلغت في الخفاء والدقة إلى حد لا يبلغه الوصف (١) ردعها الخ جواب للشرط في قوله اذا ارتعت الخ . وردعها كفها وردعا ، والمهاوى الممالك ، والسدف بضم فقطح جمع سدف وهي القطعة من الليل المظلم ، وجبته من جبهه اذا ضرب جبهته والمراد ردت بالخبية (٢) الجور العدول عن الطريق ، والاعتساف سلوك على غير جادة وسلوك العقول في أى طريق طلبا لا كتناء ذاته وللوقوف على ما لم تكلف الوقوف عليه من كيفية صفاته بعد جوراً وعدولا عن الجادة ، فان العقول الحادثة ليس في طبيعتها ما يؤهلها للاحاطة بالحقائق الأزلية ، اللهم الا ما دلت عليه الآثار وذلك هو الوصف الذي جاء في الكتاب والسنة ، وكنه معرفته نائب فاعل ينال (٣) الرويات جمع روية الفكر (٤) ابتدع الخلق أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق امتثله أى حاذاه ، ولا مقدار سابق اختذى عليه أى قاس وطبق عليه ، وكان ذلك المثال أو المقدار من خالق معروف سبقه بالخلق أى لم يقتد بخالقي آخر في شئ من الخلقة اذ لا خالق سواه (٥) المساك كسحاب - ويكسر - ما به يمكس الشئ كاللاك ما به يملك «ان الله يمكس السموات والأرض أن تزولا» وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات الى اقامة وجودها بما يمكسها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به ، وقوله باضطرار

حِكْمَتِهِ . فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا فَحُجَّتُهُ بِالتَّذْيِيرِ نَاطِقَةً . وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ . وَتَلَاخُمِ حَقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ^(١) الْمُخْتَصِبَةِ لِتَذْيِيرِ حِكْمَتِكَ . لَمْ يَمُقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ^(٢) . وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّأَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمُتَبَوِّعِينَ إِذْ يَقُولُونَ « تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ » كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ^(٣) إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَافِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلِيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ^(٤) . وَجَزَّؤَكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلَفَةِ الْقَوَى^(٥) بِقِرَائِحِ عُقُولِهِمْ . وَأَشْهَدُ

متعلق بدلنا، وعلى معرفته متعلق به أيضاً، أى دلنا على معرفته بسبب أن قيام الحجة اضطرنا لذلك . وما دلنا مفعول لأرأنا . وظهرت في البدائع الخ معطوف على أَرَأَنَا (١) الحقائق جمع حق، يضم الحاء رأس العظم عند المفصل، واحتجاب المفاصل استتارها باللحم والجلد وذلك الاستتار مما له دخل في تقوية المفاصل على تأدية وظائفها التي هي الغاية من وضعها في تدبير حكمة الله في خلقه الأبدان، والمراد من شبهه بالإنسان ونحوه (٢) غيب الضمير باطنه، والمراد منه هنا العلم واليقين، أى لم يحكم بيقينه في معرفتك بما أنت أهل له (٣) العادلون بك الذين عدلوا بك غيرك أى سواه بك وشبهوك به (٤) نحلوكم أعطوكم، وحلية المخلوقين صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها، أى وصفوكم بصفات المخلوقين، وذلك إنما يكون من الوهم الذى لا يصل الى غير الأجسام ولواحقها دون العقل الذى يحكم فيها وراء ذلك (٥) قدروكم قاسوكم

أَنْ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ . وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ
بِمَا تَنْزَلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ . وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجُجِ بَيِّنَاتِكَ .
وَأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْقَوْلِ فَتَكُونُ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا
مُكَيِّفًا^(١) . وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونُ مَحْدُودًا مُصَرِّفًا^(٢) .
(وَمِنْهَا) قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ . وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْوِيرَهُ
وَوَجَّهَهُ لِرُوحِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ . وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِنْتِهَاءِ
إِلَى غَايَتِهِ وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ^(٣) . وَكَيْفَ وَإِنَّمَا
صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ . الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رُويَةٍ فِي كُرٍ
آلِ إِلَيْهَا وَلَا قَرِيحَةٍ غَرِيِزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا^(٤) . وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ
الدُّهُورِ^(٥) . وَلَا شَرِيكِ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقُهُ
وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ . وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ^(٦)

(١) أى لم تكن متناهيًا محدود الأطراف حتى تحيط بك العقول فتكيفك بكيفية مخصوصة
(٢) مصرفاً أى تصرفك العقول بأفهامها فى حدودك (٣) استصعب المركوب لم ينقدفى السير
لراكبه . وكل مخلوق خلقه الله لأمر أراد به الغاية بما أراد الله منه ولم يقصر دون
ذلك منقاداً غير مستصعب (٤) غريزة: طبيعة ومزاج ، أى ليس له مزاج كما للمخلوقات
الخاصة فينبعث عنه الى الفعل ، بل هو انفعال بماله بمقتضى ذاته لا بأمر عارض
(٥) أفادها استفادها (٦) لم يعترض دونه أى دون الخلق واجابة دعوة الله . والريت
التناقل عن الأمر أى أجاب الخلق دعوة الخالق فيما وجهت اليه فطرته بدون سهل

وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّي^(١) فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا^(٢). وَنَهَجَ حُدُودَهَا^(٣)
وَلَا يَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا. وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا^(٤). وَفَرَقَهَا أَجْنَاسًا
مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْخُدُودِ وَالْأَقْدَارِ وَالْفَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ^(٥). بِدَايَا خَلَائِقَ
أَحْكَمَ صُنْعَهَا^(٦) وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَأَبْتَدَعَهَا (مِنْهَا فِي صِفَةِ السَّمَاءِ)
وَنَظَّمَ بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ فُرَجَهَا^(٧). وَلَا حَمَ صُدُوعَ أَنْفِرَاجِهَا^(٨)
وَوَشَجَ يَنْتَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا^(٩). وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَالصَّاعِدِينَ
بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونََةَ مِعْرَاجِهَا^(١٠). نَادَاَهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ. فَالْتَحَمَتْ

(١) الاناة تؤدة تمازجها روية في اختيار العمل وتركه ، والمتلكي المنعلل ، يقول أجاب
الخلق ربه طائعا مقهورا بلا تملكؤ (٢) أودها اعوجاجها (٣) نهج عين ورسم
(٤) قرائنها جمع قرينة وهي النفس ، أى وصل حبال النفوس وهي من عالم النور
بالابدان وهي من عالم الظلمة (٥) الفرائز الطبائع (٦) بدايا جمع بدىء أى مصنوع
(٧) رهوات جمع رهوة أى المكان المرتفع ويقال للمنخفض أيضا ، والفرج جمع
فرجة . يقول قد فرج الله ما بين جرم وآخر من الاجرام السماوية ونظمها على ذلك
بدون تعليق أحدها بالآخر وربطه به بآلة حسية (٨) لاحم الخ ما كان في الجرم
الواحد منها من صدع لجه سبحانه وأصلحه فسواه ، وذلك كما كان في بدء خلقه الارض
وانفصالها عن الاجرام السماوية وانفراج الاجرام عنها ، فما تصدع بذلك أصلحه الله
« أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » (٩) من وشج
مجملة اذا شبكه بالأربطة حتى لا يسقط منه شىء ، أى انه سبحانه شبك بين كل سماء
وأجرامها وبين أزواجها أى أمثالها وقرنائها من الاجرام الاخرى في الطبقات العليا
والسفلى عنها بروابط الماسكة المعنوية العامة ، وهي من أعظم المظاهر لقدرته (١٠) الهاطلين
والصاعدين الارواح العلوية والسفلية . والحزونة الصعوبة . وقوله ناداها الخ
رجوع الى بيان بعض ما كانت عليه قبل النظم . يقول كانت السموات هباء مائرا

عَرَى أَشْرَاجَهَا . وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِزْتِنَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا^(١) . وَأَقَامَ رَصْدًا
مِنَ الشَّهْبِ الثَّوَابِ عَلَى نِقَابِهَا^(٢) وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرَاقِ
الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ^(٣) . وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ . وَجَعَلَ شَمْسَهَا
آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا^(٤) وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ لَيْلِهَا^(٥) فَأَجْرَاهُمَا فِي
مَنَاقِلِ جَرَائِمِهِمَا . وَقَدَّرَ سَيْرُهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجَتَيْهِمَا . لِتُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ بِهِمَا . وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِّينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهَا . ثُمَّ عُلِقَ فِي

أشبه بالدخان منظرًا وبالبحار مادة فتجلى من الله فيها سر التكوين فالتحمت عرى
أشراجها، والاشراج جمع شرج بالتحريك هو العروة وهي مقبض الكوز والدلو
وغيرهما. وأشار بإضافة العرى للاشراج إلى أن كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذب
إليه ليتناسك به ، فكل ماسك وممسوك ، وكل عروة وله عروة (١) بعد أن كانت
جسمًا واحدًا فتق الله رتقه ، وفصلها إلى أجرام بينها فرج وأبواب ، وأفرغ ما بينها
بعد ما كانت صوامت أي لافراغ فيها (٢) النقب جمع نقب وهو الخرق . والشهب
الثواب أي الشديدة الضياء . والرصد التوم يرصدون كالخرس ، وكون الرصد من
الشهب في أصل تكوين الخلقة كما قال الامام دليل على ما ثبتته العلم من أن الشهب
مقذبان لبعض أجرام الكواكب (٣) ما نظمه لها من التفتاق فما نقب وخرق من جرم
عوض بالشهب ، وذلك أمر آخر غير ما جاء في الكتاب العزيز فاجاء في الكتاب بمعنى
آخر (٤) وأمسكها عن أن تمور أي تضرب في الهواء بأيدى أي بقوته ، وأمرها أن
تقف أي تلزم مراكزها لا تفارق مداراتها ، لا بمعنى أن تسكن (٥) مبصرة أي جعل
شمس هذه الاجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائماً (٥) ممحوة
يمحي ضوءها في بعض اطراف الليل في أوقات من الشهر ، وفي جميع الليل أيا ما منه .
ومناقل جرائمها الاوضاع التي ينقلان فيها من مداريهما

(*) العبرة فيها تحريف في الأصل ، والمعنى ان كلام الامام دليل على ما أثبتته العلم الحديث من ان
الشهب جعات لتسد ما يحصل في بعض اجرام الكواكب من خروج ، كما يدل عليه آخر العبارة

جَوَّهَا فَلَكُمَا^(١). وَنَاطَبَهَا زِيَّتَهُمَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيَّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا^(٢)
وَرَمَى مُسْتَرَقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ
ثَابِتِهَا وَمَسِيرِ سَائِرِهَا وَهَبُوطِهَا وَصُعُودِهَا. وَنَحُوسِهَا وَسُعُودِهَا^(٣) (مِنْهَا فِي
صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ .
وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى^(٤) مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلَقًا بَدِيدًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ
مَلَائِكُهُمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا . وَحَشَى بِهِمْ قُتُوقَ أَجْوَائِهَا^(٥). وَبَيْنَ فَجَوَاتِ
تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدْسِ وَسُتْرَاتِ الْحُجُبِ
وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ^(٦). وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيحِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ
سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا^(٧). فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا^(٨).
أَنْشَاهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ . أُولَى أَجْنَحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ

(١) فلكها هو الجسم الذي ارتكزت فيه وأحاط بها وفيه مدارها. وناطبها أي عاقبها وأحاطها.
ودزاربها كواكبها وأقارها. والإذلال جمع ذل بالكسر وهو محجة الطريق أي على الطرق
التي سخرها فيها (٢) نجومها الصغار (٣) نحوسها وسعودها من أففار بعضها في علله
وربع بعضها على كونه^(٤) (٤) الصفيح السماء (٥) الأجواء جمع جو (٦) الزجل رفع
الصوت . والحظائر جمع حظيرة موضع يحاط عليه لتأوى إليه الغنم والابل توقيا من
البرد والريح ، وهو مجاز هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة . والسترات جمع
سترة ما يستتر به . والسرادقات جمع سرادق وهو ما يعمد على صحن البيت فيغطيه
(٧) الرجيج الزلزلة والاضطراب. وتستك منه أي تضم منه الآذان لشدة. وسبحات نور أي
طبقات نور وأصل السبحات الأنوار نفسها (٨) خاسئة مدفوعة مطرودة عن الترامي إليها

(*) هذه العبارة طبق الأصل، وهي غير واضحة. وفي شرح ابن أبي الحديد ما يفيد أن النجوم تدل
بنحسها وسعدتها على أمور عامة مما لا تخفى أحدًا بعينه كأن تدل على قحط عام أو مرض عام أو نحو ذلك

عِزَّتِهِ لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ . وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ
يَخْلُقُونَ شَيْئًا مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ . بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ « لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ
وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » جَعَلَهُمْ فِي مَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ . وَحَمَّلَهُمْ
إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ . وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا
مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ . وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ . وَأَشْعَرَ
قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ ^(١) وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلَّلًا ^(٢) إِلَى
تَمَاجِيدِهِ . وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ ^(٣) . لَمْ تُثْقِلْهُمْ
مُوصِرَاتُ الْأَثَامِ ^(٤) . وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ^(٥) . وَلَمْ تَزِمِ
الشُّكُوكُ بُنَوَازِعَهَا عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ ^(٦) . وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ
يَقِينِهِمْ ^(٧) وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ ^(٨) . وَلَا سَلَبَتْهُمْ

(١) الاخبات الخضوع والخشوع (٢) جمع ذلول خلاف الصعب (٣) قال بعض أهل اللغة ان منارة تجتمع على منار وان لم يذكره صاحب القاموس . وأرى أن مناراً ههنا جمع منارة بمعنى المسرحة وهي ما يوضع فيه المصباح . والأعلام ما يقام للاهنداء على أفواه الطرق وممرتفات الأرض . والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيدِهِ (٤) مثقلاتها (٥) ارتحلها وضع عليه الرحل ليركبه . والعقب جمع عقبة هي التوبة . والليل والنهار [عقبيان] لتعاقبهما، أي لم يتسلط عليهما تعاقب الليل والنهار فيفنيهما أو يغيرهما (٦) النوازع جمع نازعة وهي النجم أو القوس ، وعلى الأول المراد منها الشبهة وعلى الثاني تكون الباء في بنوازعها بمعنى من (٧) جمع معقد محمل العقد بمعنى الاعتقاد (٨) الاحن جمع احنة هي الحقد والضغينة

الْحَيَرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ^(١) . وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ
وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ . وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ
بَرَيْنَهَا عَلَى فِكْرِهِمْ^(٢) مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْقَلَامِ الدَّلِيلِ^(٣) وَفِي
عِظَمِ الْجِبَالِ الشَّمْسِجِ وَفِي قَتَرَةِ الظَّلَامِ الْأَبْهَمِ^(٤) وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ
أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى . فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي
مَخَارِقِ الْهَوَاءِ^(٥) . وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ أَنْتَهَتْ مِنْ
الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ . قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ^(٦) وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ
الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ . وَقَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى أُلُوكِهِ إِلَيْهِ^(٧)
وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ ذَاقُوا أَحْلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ
وَشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرُّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ^(٨) وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُؤْيَدَاءِ
قُلُوبِهِمْ^(٩) وَشَيْجَةُ خَيْفَتِهِ^(١٠) فَحَنُوا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتَدَالَ ظُهُورِهِمْ .

(١) لاق لصق (٢) تقترع من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة . والرين بفتح الراء الدنس وما يطبع
على القلب من حجب الجهالة (٣) جمع دالح وهو الثقل بالماء من السحاب (٤) الفترة هنا الخفاء
والبطون . ومنها قالوا أخذ على فترة أى من حيث لا يدرى . والابهيم بياء موحدة بعد الهمزة
أصله من لا يعقل ولا يفهم ، وصف به الليل وصفا للشيء بما ينشأ عنه ، فان الظلام الحالك يوقع
في الحيرة ويأخذ بالفهم عن رشاده (٥) مواضع ماخرقت أقدامهم (٦) جعلتهم فارغين
من الاشتغال بغيرها (٧) شدة الشوق اليه (٨) الروية التى تروى وتطفىء العطش (٩) محل
الروح الحيوانى من مضغة القلب (١٠) الشويجة أصلها غروق الشجرة أراد منها

وَلَمْ يُنْفِذْ طُولَ الرِّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ^(١) وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ
الزُّلْفَةِ رِبْقَ خُشُوعِهِمْ^(٢) وَلَمْ يَتَوَلَّهِمُ إِلَّا عَجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ
مِنْهُمْ. وَلَا تَرَكْتَ لَهُمْ أَسْتِكَانَةَ الْإِجْلَالِ^(٣) نَصِيبًا فِي تَعْظِيمِ
حَسَنَاتِهِمْ. وَلَمْ تَجْرِ الْفَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ وَلَمْ تَغْضُ رَغَبَاتُهُمْ^(٤)
فِيخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ^(٥)
وَلَا مَلَكَتْهُمْ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسِ الْجَوَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ^(٦) وَلَمْ
تُخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ^(٧). وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ
فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ. وَلَا تَعْدُو^(٨) عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بِلَادَةُ الْغَفْلَاتِ وَلَا
تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ^(٩). قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً
لِيَوْمٍ فَاقَتْهُمْ^(١٠). وَيَمُومُهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ^(١١)

هنا بواعث الخوف من الله (١) أى أن شدة رجائهم لم تقن مادة خوفهم وتذلهم
(٢) جمع ربة بالكسر والفتح وهى العروة من عرى الربق بكسر الراء وهو حبل فيه عدة
عرى تربط فيه البهم (٣) الاستكانة ميل للسكون من شدة الخوف ثم استعملت فى
الخشوع (٤) دأب فى العمل بالغ فى مداومته حتى أجهدته (٥) لم تنقص. وأسلة اللسان
طرفه أى لم تيبس أطراف ألسنتهم فنقف عن ذكره (٦) الهمس الخفى من الصوت.
والجوار رفع الصوت بالتضرع أى لم يكن لهم عن الله شاغل يضطرهم للهمس والاختفاء
وخفض جوارهم بالدعاء اليه (٧) المقاوم جمع مقام، والمراد الصفوف (٨) لانسطو (٩) انتضلت
الابل رمت بأيدى هافى السير بسرعة. وخدائع الشهوات للنفس [بما تزينه لها.] أى لم تسلك
خدائع الشهوات طريقافى همهم (١٠) حاجتهم (١١) يعموه قصدوه بالرغبة والرجاء عند ما

لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ . وَلَا يَرْجِعُ بِهِمْ إِلَّا سَهْتَارُ بِلْزُومِ طَاعَتِهِ ^(١)
إِلَّا إِلَى مَوَادٍّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَخَافَتِهِ ^(٢) . لَمْ تَنْقَطِعْ
أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ ^(٣) فَيَنْبُؤُوا فِي جِدِّهِمْ ^(٤) وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ الْأَطْمَاعُ
فَيَوْثِرُوا وَشَيْكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ ^(٥) . وَلَمْ يَسْتَغْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ
أَعْمَالِهِمْ . وَلَوْ اسْتَغْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ ^(٦) .
وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ
التَّقَاتُجِ . وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ . وَلَا شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرَّيْبِ ^(٧)
وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ ^(٨) . فَهُمْ أُسْرَاءُ إِيْمَانٍ . لَمْ يَفْكُكْهُمْ مِنْ
رَبْقَتِهِ زَبْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَثِيٌّ وَلَا فُتُورٌ ^(٩) . وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَوَاتِ

انقطعت الخلق سواهم الى المخلوقين (١) الاستهتار التولع (٢) مواد جمع مادة: أصلها من مد البحر اذا زاد، وكل ما أعنت به غيرك فهو مادة، ويريد بها البواعث المعينة على الاعمال، أى كلما تولعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرغبة (٣) الشفقة الخوف (٤) ونى بنى تأنى (٥) وشيك السعى مقاربه وهينه، أى انه لا طمع لهم فى غيره فيختاروا هين السعى على الاجتهاد الكامل (٦) الشفقات تارات الخوف واطواره، وهو فاعل نسخ والرجاء مفعول . والوجل الخوف أيضا (٧) شعبتهم فرقهم صروف الريب جمع ريبة وهى مالا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق (٨) جمع خيف بالفتح هو فى الاصل ما انحدر عن سفح الجبل، والمراد هنا سوا قاطع الهمم، فان التفرق والاختلاف كثيراً ما يكون من انحطاط الهممة بل أعظم ما يكون منه ينشأ عن ذلك . وقد يكون الخيف بمعنى الناحة أى متطرفات الهمم (٩) ونى مصدر ونى

مَوْضِعُ إِهَابٍ ^(١) إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ . أَوْ سَاجٍ حَافِدٌ ^(٢) . يَزْدَادُونَ
عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا . وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا .
(وَمِنْهَا) فِي صِفَةِ الْأَرْضِ وَدَخُولِهَا عَلَى الْمَاءِ ^(٣) . كَبَسَ الْأَرْضَ ^(٤) عَلَى
مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجِلَةٍ . وَلُجَجٍ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ ^(٥) . تَلْتَطِمُ أَوَاذِي أَمْوَاجِهَا ^(٦)
وَتَصْطَفِقُ مُتْقَازِفَاتُ أُنْبَاجِهَا ^(٧) وَتَرْغُو زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا .
فَخَضَعَ جَمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا . وَسَكَنَ هَيْجُ أَرْتَائِهَا إِذْ
وَطِئَتْهُ بِكُلِّكَلِهَا ^(٨) . وَذَلَّ مُسْتَخْذِيَا ^(٩) إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا ^(١٠)
فَأَصْبَحَ بَعْدَ أَصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ ^(١١) سَاجِيًا مَقْهُورًا ^(١٢) . وَفِي حَكْمَةِ الْذُلِّ
مُنْقَادًا أَسِيرًا ^(١٣) . وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَذْخُوعَةً فِي لُجَّةٍ تَيَّارِهِ . وَرَدَّتْ
مِنْ نَخْوَةٍ بَاوِهِ وَأَعْتِلَالِهِ ^(١٤) وَشُمُوحِ أَنْفِهِ وَشُمُوحِ

كتعب أى تأنى (١) جلد حيوان (٢) خفيف سريع (٣) دحوها بسطها (٤) كبس
النهر والبئر أى طمهما بالتراب وعلى هذا كان حق التعبير كبس بها مور أمواج لكنه
أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل. والمور التحرك الشديد. والمستفحلة الهاجئة
يصعب التغلب عليها (٥) مملثة (٦) جمع آذى أى أعلى الموج (٧) اصطفت الاشجار
اهتزت بالريح . والانباج جمع نبيج بالتحريك هو فى الأصل ما بين الكاهل والظهر أو
صدر القطة استعاره لأعلى الموج والمتقاذفات التى يقذف بعضها بعضا (٨) هو فى الأصل الصدر
استعاره لالاقى الماء من الأرض (٩) منكسرا مسترخيا (١٠) من تمعكت الدابة أى تمرغت
فى التراب (١١) اصطخاب افعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت (١٢) ساجيا ساكنا
(١٣) الحكمة محركة ما حاط بحكى الفرس من لجامه وفيها العذاران (١٤) البأ والكبروالزهو

غُلَوَانِهِ ^(١) وَكَمَمْتَهُ ^(٢) عَلَى كِطَّةٍ جَرِيَّتِهِ ^(٣) فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَانِهِ ^(٤) . وَلَبِدَ
بَعْدَ زَيْفَانٍ وَثْبَانِهِ ^(٥) . فَلَمَّا سَكَنَ هَبَاجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا ^(٦)
وَحَمَلَ شَوَاهِقَ الْجِبَالِ الشَّمْخِ الْبُذْخِ عَلَى أَكْتَافِهَا ^(٧) فَجَرَ يَنَابِيعَ الْغُبُونِ
مِنْ عَرَانِينَ أَنْوْفِهَا ^(٨) . وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبٍ بِيْدَهَا وَأَخَادِيدِهَا ^(٩) وَعَدَلَ
حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا ^(١٠) وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ ^(١١) .
مِنْ صِيَاحِيْدِهَا ^(١٢) . فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيْدَانِ ^(١٣) لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي هَطَلِ
أَدِيمِهَا ^(١٤) ، وَتَغْلَغَلَهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوَابَاتِ خِيَاشِيمِهَا ^(١٥) ، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ

(١) بضم الغين وفتح اللام النشاط ونجاوز الحد (٢) كم البعير كنع شد فاه لثلايه ضأو
بأكل ، وما يشد به كعام ككتاب (٣) الكفة بالكسر ما يعرض من امتلاء البطن
بالطعام ، ويراد بها هنا ما يشاهد في جرى الماء من ثقل الاندفاع (٤) النزق والنزق
الطيش (٥) الزيفان التبخر في المشية . ولبد كفرح ونصر . أى قام ونبت
(٦) نواحيها (٧) البذخ بمعنى الشمخ جمع شامخ وبذخ أى عال ورفيع . غير أنى أجدمن
لفظ الباذخ معنى أخص وهو الضخامة مع الارتفاع . وجل عطف على أكناف
(٨) عرانب جمع عرنين بالكسر ماصلب من عظام الأنف والمراد أعلى الجبال ، غير أن
الاستعارة من ألطف أنواعها في هذا المقام (٩) السهوب جمع سهب بالفتح أى الفلاة .
والبيد جمع بيداء . والأخاديد جمع أخدود الحفر المستطيلة في الأرض . والمراد منها
مجارى الأنهار (١٠) الضمير للأرض كما يظهر من بقية الكلام . والجلاميد جمع جلود
الحجر القامي (١١) الشناخيب جمع شنخوب وهو رأس الجبل . والشم الرفعة
(١٢) جمع صيخود وهو الصخرة الشديدة (١٣) بالتحريك الاضطراب (١٤) سطحها
(١٥) التغلغل المبالغة في الدخول ومتسربة أى داخلة . والجوبات جمع جوبة بمعنى الحفرة .
والخياشيم جمع خيشوم هو منفذ الأنف إلى الرأس أو مارق من العصاريف الكائنة

سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ وَجَرَائِمِهِمَا^(١) وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهُمَا . وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ
مُتَنَسِّمًا لِسَاكِينَهَا . وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامٍ مَرَاقِبِهَا^(٢) ثُمَّ لَمْ يَدَعِ
جُرُزَ الْأَرْضِ^(٣) الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَايِهَا^(٤) وَلَا تَجِدُ
جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا^(٥) حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُخَيِّ
مَوَاتِهَا^(٦) وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا . أَلْفَ غَمَامَةٍ بَعْدَ أَفْتِرَاقٍ لُمَعِهِ^(٧) وَتَبَايُنِ
قَزَعِهِ^(٨) ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ^(٩) . وَالتَّمَعَ بَرَقُهُ فِي كُفِّهِ^(١٠)
وَلَمْ يَنْمَ وَمِيزُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ^(١١) وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ أَرْسَلَهُ سَحَا

فوق قسبة الأنف متصلة بالرأس ، وضمير تغلغلها للجبال . وخصايشمها للأرض والجواز
ظاهر (١) ركوب الجبال أعناق السهول استعلاؤها عليها . وأعناقها سطوحها
وجرائمها ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية ، واستعلاء الجبال عليها ظاهر
(٢) مرافق البيت ما يستعان به فيه وما يحتاج اليه في النعيش خصوصا ما يكون
من الأماكن ، أو هو ما يتم به الانتفاع بالسكنى كمصاب المياه والطرق الموصلة اليه
والأماكن التي لا بد منها للساكين فيه لقضاء حاجاتهم وما يشبه ذلك (٣) الأرض
الجرز بضمين التي تمر عليها مياه العيون فتبت (٤) مرتفعاتها (٥) ذريعة وسيلة
(٦) الموات من الأرض ما لا يزرع (٧) جمع لمعة بضم اللام : في الأصل القطعة من
النبات ماتت لليبس استعارها لقطع السحاب ، والمشابهة في لونها وذهابها الى الاضمحلال
لولا تأليف الله اياها مع غيرها (٨) جمع قزعة محركة وهي القطعة من الغيم (٩) تمخضت
تحركت تحركا شديدا كما يتحرك اللبن في السقاء بالخض . والضمير في فيه راجع إلى
المزن أي تحركت اللجة التي يحملها المزن فيه . ويصح أن يرجع للغمام في أول العبارة
(١٠) جمع كفة بضم الكاف وهي الحاشية والطرف لكل شيء أي جوانبه (١١) نامت
النار همدت . والوميض اللعان . والكنهور كسفر جل القطع العظيمة من السحاب

مُتَدَارِكًا^(١) . قَدْ أَسَفَ هَيْدَبُهُ ، تَمْرِيهِ الْجُنُوبُ دِرَرًا أَهَاضِيهِ^(٢) وَدَفَعَ
شَايِدِيهِ^(٣) . فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِيهَا^(٤) ، وَبَعَاعَ مَا أَسْتَقَلَّتْ بِهِ^(٥)
مِنْ أَلْبَبِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا^(٦) أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتِ^(٧)
وَمِنْ زُغَرِ الْجِبَالِ الْأَغْشَابِ^(٨) ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا^(٩) وَتَرْدِي^(١٠)
بِمَا أَلْبَسَتْهُ مِنْ رِبَاطٍ^(١١) أَزَاهِيرِهَا^(١٢) وَحَلِيَةٍ مَا سُمِطَتْ بِهِ^(١٣) مِنْ نَاصِرٍ

أو المتراكم منه . والرباب كسحاب الأبيض لثلاثاق منه ، أى لم يمهّد لمعان البرق فى ركام
هذا الغمام (١) صبيًا متلاحقًا متواصلًا (٢) أسف الطائر دنا من الأرض ، والهيدب
كجعفر السحاب المتدلى أو ذيله ، وقوله تمرية من مرى الناقة أى مسح على ضرعها
ليحلب لبنها . والدرر كغفل جمع درة بالكسر اللبن . والأهاضيب جمع هضاب وهو
جمع هضبة كضربة وهى المطرة ، أى دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء وريح الجنوب
تستدره الماء كما يستدر الحالب لبن الناقة ، فإن الريح تحركه فيصب ما فيه (٣) جمع
شؤبوب ما ينزل من المطر بشدة (٤) البرك بالفتح فى الأصل ما يلى الأرض من جلد
صدر البعير كالبركة . والبوانى هى أضلاع الزور . وشبه السحاب بالناقة إذا بركت
وضربت بعنقها على الأرض ولاطمتها بأضلاع زورها . واشتبه ابن أبى الحديد فى معنى
للبرك والبوانى فأخرج الكلام عن بلاغته (٥) بعاع ينطف على برك . والبعاع
بالفتح ثقل السحاب من الماء . وألقى السحاب بعاعه أمطر كل ما فيه (٦) العبء
الجل (٧) الهوامد من الأرض ما لم يكن بها نبات (٨) زعجر جمع زاعر وهو من
المواضع القليل النبات (٩) بهج كنع سر وأفرح (١٠) تعجب (١١) ربطة
ربطة بالفتح وهى كل ثوب رفيق لين (١٢) جمع زهار الذى هو جمع زهرة بمعنى النبات
(١٣) سيمط من سمط الشيء علق عليه السموط وهى الخيوط تنظم فيها القلادة

أَنْوَارِهَا وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا لِلْأَنَامِ ^(١) وَرِزْقًا لِلْأَنَامِ . وَخَرَقَ
 الْفَجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِ طُرُقِهَا . فَلَمَّا مَهَّدَ
 أَرْضَهُ وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ . وَجَعَلَهُ
 أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ ^(٢) وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا كُلُّهُ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَانَهَا
 عَنْهُ . وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ . وَالْمُخَاطَرَةَ
 بِمَنْزِلَتِهِ . فَأَقْدَمَ عَلَى مَانَهَا عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ
 لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ . وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ
 مِمَّا يَوْكُدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَيَنْ مَعْرِفَتِهِ ، بَلَى
 تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى السُّنَنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ
 رِسَالَاتِهِ ، قَرَأْنَا فَقَرَأْنَا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حُجَّتُهُ ،
 وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ عُذْرَهُ وَنَذْرَهُ ^(٣) . وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا . وَقَسَمَهَا
 عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَتَنَلَّى مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا .
 وَلِيُخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غِنْيِهَا وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا

الأنوار جمع نور بفتح النون وهو الزهر بالمعنى المعروف أى حلية الفلاند التى
 علقت عليها من أزهار نباتها . وفى رواية شملت بالشين وتخفيف الميم من شملته
 اذا خلط لونه بلون آخر . والشميط من النبات ما كان فيه لون الخضرة مختلطا بلون
 الزهر (١) البلاغ ما يتبلغ به من القوت (٢) خلقته (٣) المقطع النهاية التى ليس وراءها

عَقَائِلَ فَاقْتَهَا^(١)، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفُرْجِ أَفْرَاحِهَا^(٢) غُصَصَ
أَتْرَاحِهَا^(٣)، وَخَلَقَ الْأَجَالَ فَاطَّالَهَا وَقَصَّرَهَا. وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا. وَوَصَلَ
بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا^(٤). وَجَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا^(٥) وَقَاطِعًا لِمَرَاتِرِ أَفْرَانِهَا^(٦).
فَالِمْ السِّرَّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ. وَنَجَّوَى الْمُتَخَافِينَ^(٧). وَخَوَّاطِرِ رَجْمِ
الظُّنُونِ^(٨)، وَعُقَدَ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ^(٩). وَمَسَارِقَ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ^(١٠). وَمَا
ضَمَّتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ^(١١)، وَمَا أَصْنَعْتَ لِاسْتِرَافِهِ
مَصَائِخِ الْأَسْمَاعِ^(١٢)، وَمَصَائِفِ الذَّرِّ^(١٣) وَمَشَاقِي الْهُوَامِ^(١٤) وَرَجَعَ الْخَنِينَ

غاية (١) العقائيل الشدائد جمع عقبولة بضم العين . والفافة الفقر (٢) الفرج جمع
فرجة وهي التفصي من الهم (٣) جمع ترح بالتحريك النعم والهلاك (٤) حبأها
(٥) خالجا جاذبا لاشطانها جمع شطن كسبب: الحبل الطويل، شبه به الأعمار الطويلة
(٦) المراتر جمع مربرة الحبل يقتل على أكثر من طاق أو الشديد القتل . والافران
جمع قرن بالتحريك وهو الحبل يجمع به بعيران، وذكره لقوته أيضا . واطافة المراتر
للافران بعد استعمالها في الشديدة بلا قيد أن تكون حبالا (٧) التخافت المسكلة
سراً (٨) رجم الظنون ما يخطر على القلب أنه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان
(٩) العقد جمع عقدة ما يرتبط القلب بتصديقه لا يصدق نقيضه ولا يتوهمه . والعزيمات
جمع عزيمة ما يوجب البرهان الشرعي أو العقلي تصديقه والعمل به (١٠) جمع مسرق
مكان مسارقة النظر أو زمانها أو البواعث عليها أوفلان يسارق فلانا النظر أى ينتظر
منه غفلة فينظر اليه . والايماض اللمعان وهو أحق أن ينسب الى العيون لا الى
الجفون، ونسبته الى الجفون لانه ينبعث من بينها (١١) ضمنته حوته . والاكنان جمع كن
كل ما يستتر فيه . وغيابات الغيوب أعماقها (١٢) اسراق الكلام استماعه خفية . والمصائخ
جمع مصاخ مكان الاصاخة وهو ثقبه الاذن (١٣) صغار النمل ، ومصائفها محل اقامتها في
الصيف ، وهو وما بعده عطف على ضمائر المضمرين (١٤) مشانها محل اقامتها في الشتاء

مِنْ الْمُؤَلَّهَاتِ ^(١) وَهَمْسِ الْأَقْدَامِ ^(٢). وَمُنْفَسِحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَايِجِ غُلْفِ
الْأَكَامِ ^(٣)، وَمُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتَيْهَا ^(٤). وَخُتْبَا
الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَبِيتَيْهَا ^(٥)، وَمَغْرَزِ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ ^(٦)،
وَمَحْطِ الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ ^(٧)، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَمُتَلَا حِمَاهَا.
وَدُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مِثْرَاكِهَا. وَمَاتَسْنِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا ^(٨) وَتَعْفُو
الْأَمْطَارُ بِسُيُُولِهَا ^(٩). وَعَوْمِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرُّمَالِ ^(١٠)، وَمُسْتَقَرِّ
ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيْبِ الْجِبَالِ ^(١١)، وَتَقْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي
دِيَابِجِرِ الْأَوْكَارِ ^(١٢)، وَمَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ ^(١٣)، وَحَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ
الْبَحَارِ ^(١٤)

(١) الحزنيات، ورجع الحنين تردده (٢) الهمس أخفى ما يكون من صوت القدم
على الأرض (٣) منفسح الثمرة مكان نموها من الولايج جمع وليجة بمعنى البطانة
الداخلية. والغلف جمع غلاف. والاكام جمع كم بالكسر وهو غطاء النوار ووعاء
الطلع (٤) منقمع الوحوش موضع انقاعها أى اختفائها. والغيران جمع غار (٥) سوق
جمع ساق أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها. والاحية جمع لحاء قشر الشجرة
(٦) الغصون (٧) الامشاج النطف. سميت أمشاجا - جمع مشيج - من مشج اذا
خلط، لانها مختلطة من جرائم مختلفة كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن.
ومسارب الاصلاب ما يتسرب المني فيها عند نزوله أو عند تكونه (٨) سفت الريح
التراب ذرته أو جلته. والاعاصير جمع اعصار ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض
كالعمود (٩) تعفو تمحو (١٠) الكثبان جمع كثيب: التل (١١) الذرى جمع ذروة
أعلى الشيء. والشناخيب رؤوس الجبال (١٢) تغريد الطائر رفع صوته بالغناء وهو نطقه.
والديابجير المظلمة (١٣) أو عبته جمعه (١٤) حضنت عليه ربه فتولد في حضنها كالغنبر

وَمَا غَشِيَتْهُ سُدُقَةٌ لَيْلٍ^(١) أَوْ ذَرٌّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ^(٢). وَمَا أَعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ
أَطْبَاقُ الدِّيَابِجِرِ^(٣) وَسُبُحَاتُ النُّورِ. وَأَثَرُ كُلِّ خَطْوَةٍ. وَحِسُّ كُلِّ حَرَكَةٍ
وَرَجْعُ كُلِّ كَلِمَةٍ. وَتَحْرِيكُ كُلِّ شَفَةِ، وَمُسْتَقَرُّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالُ كُلِّ
ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمُ كُلِّ نَفْسٍ هَامَةٍ^(٤). وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ^(٥)، أَوْ سَاقِطِ
وَرَقَةٍ أَوْ قَرَارَةٍ نُطْفَةٍ^(٦) أَوْ نُقَاعَةٍ دِيمٍ وَمُضْغَةٍ^(٧). أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسَلَالَةٍ.
لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُفَّةٌ. وَلَا أَعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا أَبْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ
عَارِضَةٌ^(٨). وَلَا أَعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيزِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ
وَلَا فَتْرَةٌ^(٩). بَلْ تَقْدَفُ فِيهِمْ عِلْمُهُ، وَأَخْصَاهُمْ عَدُّهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ
فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالْتِمَادِ الْكَثِيرِ^(١٠). إِنْ تُؤَمِّلْ
فَخَيْرٌ مُؤَمِّلٍ، وَإِنْ تُرْجِ فَأَكْرَمُ مَرْجُوءٍ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا
لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أَوْجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ

ونحوه (١) سدقة ظلمة (٢) ذر طلع (٣) اعتقبت تعاقبت: وتوالت. والاطباق الاغطية.
والديابجر الظلمات. وسبحات النور درجاته وأطواره (٤) هماهم: هموم مجاز من المهمة
ترديد الصوت في الصدر من الهم (٥) عليها أى على الأرض (٦) قرارها مقرها
(٧) نقاعة عطف على نطفة. ونقاعة الدم ما ينقع منه في أجزاء البدن. والمضغة عطف
على نقاعة أى يعلم مقر جميع ذلك (٨) هى ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله
(٩) اعتورته تداولته وتناولته (١٠) المبالغة في عدك لانتك الى مالا ينتهى

الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيَّةِ ^(١). وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْأَدَمِيِّينَ .
وَالْتَنَاءَ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ . اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُنْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ
مَشُوبَةٌ ^(٢) مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَةٍ مِنْ عَطَاءٍ ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ
الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ . اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي
هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرَمْزْ حَقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَادِحِ غَيْرَكَ . وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ
لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتْهَا إِلَّا مِنْكَ وَجُودُكَ ^(٣) ،
فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَمَّا أُرِيدَ عَلَى الْبَيْعَةِ بَعْدَ قَتْلِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

دَعُونِي وَالتَّمَسُّوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَأَلْوَانٌ .
لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ ^(٤) . وَإِنَّا لَا فَاقَ قَدْ أَغَامَتْ
وَالْمَحَجَّةَ ^(٥) قَدْ تَنَكَّرَتْ . وَأَعْلَمُوا أَنِّي إِنِ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ

(١) هم المخلوقون (٢) ثواب وجزاء (٣) الخلة بالفتح الفقر . والمن الاحسان (٤) لانصبر
له ولا تطيق احتماله (٥) غطيت بالميم . والمحجة الطريق المستقيمة . تنكرت أى تغيرت
علامها فصارت مجهولة ، وذلك أن الاطماع كانت قد تنهت في كثير من الناس على عهد

وَلَمْ أَصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتَبِ الْعَاتِبِ. وَإِنْ تَرَكَتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ
وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمَرَكُمْ. وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا
خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ. فَأَنَا فَقَّاتُ عَيْنِ الْفِتْنَةِ^(١)، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْزَأَ
عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهُمَا^(٢) وَأُشْتَدَّ كَلْبُهُمَا^(٣). فَاسْأَلُونِي قَبْلَ
أَنْ تَفْقِدُونِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاقِئِهَا^(٤)
وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاجَ رِكَابِهَا وَمَحَطَّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا،

عثمان رضي الله عنه بما نالوا من تفضيلهم بالعتاء فلا يسهل عليهم فيما بعد أن يكونوا
في مساواة مع غيرهم، فلو تناولهم العدل انقلبتوا منه وطلبوا طائشة الفتنة طمعاً في
نيل رغباتهم، وأولئك هم أغلب الرؤساء في القوم، فإن أفرهم الامام على ما كانوا عليه
من الامتياز فقد أتى ظلماً وخالف شرعاً، والناقدون على عثمان قائمون على المطالبة
بالنصفه ان لم ينالوها تحرشوا للفتنة، فأين اتجه للوصول الى الحق على أمن من الفن.
وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها (١) شققها وقلعتها تمثيل لتغلبه عليها، وذلك
كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج (٢) الغيب الظلمة. وموجها
شبهوها وامتدادها (٣) الكلب محرقة: داء معروف يصيب الكلاب، فكل من عضته
أصيب به لخن ومات، شبه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحداً إلا أهلكته (٤) الداعي

وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا . وَلَوْ قَدْ قَدَّتُهُوْنِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَاهَةُ الْأُمُورِ ^(١)
وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ ^(٢) لَا طَرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَفَشَلَ كَثِيرٌ مِنَ
الْمَسْئُولِينَ . وَذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ حَرُّكُمْ ^(٣) وَشَمَرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَصَاقَتْ
الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ
اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ . إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ ^(٤) وَإِذَا أَدْبَرَتْ
تَبَّهَتْ ^(٥) . يَنْكُرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَيُعرفْنَ مُدْبِرَاتٍ . يَحْمِنُ حَوْلَ الرِّيحِ يُصْبِنُ
بَلَدًا وَيُخْطِئُ بَلَدًا . أَلَا إِنَّ أَخُوفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي
أُمَيَّةَ ، فَإِنَّهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءَ مُظْلِمَةٍ عَمَّتْ خُطَّتْهَا ^(٦) وَخَصَّتْ بَلِيَّتَهَا ، وَأَصَابَ
الْبَلَاءَ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ^(٧) ، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءَ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَجِدُنَّ
بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي . كَالنَّابِ الضَّرُّوسِ ^(٨) تَعْذِمُ فِيهَا
وَتُخْبِطُ يَدَيْهَا ، وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا
يَبْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى

إليها ، من نفع بغنمه صاح بها لتجتمع (١) الكراهة جمع كراهة (٢) الحوازب جمع
حازب وهو الأمر الشديد، حزه الأمر إذا اشتد عليه (٣) قلصت بتشديد اللام تدامت
واستمرت . وبخفيفها وثبت (٤) اشتبه فيها الحق بالباطل (٥) لأنها تعرف بعد
انقضائها وتنكشف حقيقتها فتكون عبرة (٦) الخطة بالضم الأمر أى شمل أمرها
لأنها رئاسة عامة . وخصت بليتها آل البيت لأنها اغتصاب لحقهم (٧) من عرف الحق
فيها نزل به بلاء الاتقام من بني أمية (٨) الناب الناقة المسنة . والضروس السبنة

لَا يَكُونُ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانَتْصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ . وَالصَّاحِبِ
مِنْ مُسْتَضْعِيهِ ^(١) . تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَةٍ ^(٢) وَفِطْمًا جَاهِلِيَّةً .
لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدًى ، وَلَا عِلْمٌ يُرَى ^(٣) نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ ^(٤)
وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ . ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ ^(٥) . بَيْنَ
يَسُومِهِمْ خَسْفًا ^(٦) وَيَسُوقُهُمْ غُفًا ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ ^(٧) لَا يُعْطِيهِمْ
إِلَّا السَّيْفَ . وَلَا يُجْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ ^(٨) . فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا
وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنِي مَقَامًا وَاحِدًا وَلَوْ قَدَرَ جَزْرٍ جَزُورٍ ^(٩) لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ
مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضُهُ فَلَا يُعْطُونَنِي

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بَعْدُ الْهَيْمَمَ . وَلَا يَنَالُهُ حُسْنُ الْفِطَنِ .
الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي . وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي (مِنْهَا فِي وَصْفِ

الخلق تعض حالباً . وتعتمد من عذم الفرس إذا أكل بجفاء أو عض . وتزبن أى تضرب .
ودرها لبنها . والمراد خيرها (١) التابع من متبوعه ، أى انتصار الأذلاء وما هو بانتصار
(٢) شوهاء قبيحة المنظر . ومخشية مخوفة مرعبة (٣) دليل يهتدى به (٤) بمكان
النجاة من أثمها (٥) كما يسلخ الجلد عن اللحم (٦) يلزمهم ذلاً . وقوله بمن متعلق
بيفرجها (٧) مملوءة إلى أصبارها جمع صبر بالضم والكسر بمعنى الحرف أى إلى
رأسها (٨) من أحلس البعير إذا ألبسه الخلس بكسر الحاء وهو كساء يوضع على
ظهره تحت البرذعة ، أى لا يكسوهم الاخوفا (٩) الجزور الناقة المجزورة ، وأهو البعير

الأنبياء) فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدِعٍ، وَأَقْرَهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ.
 تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَامُ الْأَصْلَابِ^(١) إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ. كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ
 سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بَدِينِ اللَّهِ خَلَفٌ. حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
 إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِبَتًا^(٢) وَأَعَزَّ
 الْأُرُومَاتِ مَغْرِبًا^(٣). مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءُهُ^(٤) وَانْتَخَبَ
 مِنْهَا أَمْنَاءُهُ^(٥). عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثَرِ^(٦)، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ
 الشَّجَرِ. نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ^(٧)، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ وَثَمَرَةٌ
 لَا تُنَالُ. فَهُوَ إِمَامٌ مَنْ اتَّقَى وَبَصِيرَةٌ مَنْ أَهْتَدَى. سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ.
 وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ. سِيرَتُهُ الْقَصْدُ^(٨) وَسُنَّتُهُ
 الرُّشْدُ. وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ. وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ. أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ
 مِنَ الرُّسُلِ^(٩)، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ^(١٠)، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ. اْعْمَلُوا رَحِمَكُمُ

مطلقاً، أو الشاة المذبوحة، أي ولومدة ذبح البعير أو الشاة (١) تناسختهم تناقلتهم
 (٢) كمجلس موضع النبات ينبت فيه (٣) الأرومات جمع أرومة الأصل. والمغرس
 موضع الغرس (٤) صدع فلانا قصده لكرمه، أي اختصهم بالنبوة من بين فروعها
 وهي شجرة إبراهيم عليه السلام (٥) انتخب اختار (٦) عثرته آل بيته. وامرة الرجل
 رهطه الاذنون (٧) بسقت ارتفعت (٨) الاستقامة (٩) الفترة الزمان بين الرسولين
 (١٠) هفوة زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على السنة الأنبياء السابقين

اللَّهُ عَلَى أَعْلَامٍ يَدِينُهُ . فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ ^(١) يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ . وَأَنْتُمْ
فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ ^(٢) . وَالصُّحُفُ مَنشُورَةٌ . وَالْأَقْلَامُ
جَارِيَةٌ . وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ . وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ . وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ .
وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ . وَخَائِطُونَ فِي فِتْنَةٍ . قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ
الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ ^(٣) ، وَاسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ ^(٤) .
حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ . فَبَالَغَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ أُخْرَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ . وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ . وَالظَّاهِرِ
فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ . وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ (مِنْهَا فِي ذِكْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ

(١) واضح قويم . ويدعو إلى دار السلام يوصل إليها (٢) مستعجب بفتح التاء ين
طلب العتبى . أى الرضاء من الله بالأعمال النافعة (٣) استزلتهم أدت بهم للزلل والسقوط
فى المضارء ، وتأنيث الفعل على تأويل أن الكبرياء صفة . وفى رواية واستزلمهم الكبراء
أى أضلهم كبرائهم وسادتهم (٤) استخففتهم طيشتهم . والجاهلية حالة العرب قبل نبيهم

عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ . وَمَنْبَتُهُ أَشْرَفُ مَنْبَتٍ . فِي مَعَادِنِ
الْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ ^(١) . قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ ، وَتُنِيَتْ
إِلَيْهِ أَرْزَمَةُ الْأَبْصَارِ ^(٢) . دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنِ ^(٣) وَأَطْفَأَ بِهِ الشَّوَائِرِ ^(٤) . أَلْفَ بِهِ
إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا ^(٥) . أَعَزَّ بِهِ الدَّلَّةَ ^(٦) ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ . كَلَامُهُ
يَبَانُ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَكِنَّ أَهْلَ الظَّالِمِ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ ^(٧) . وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ
طَرِيقِهِ . وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغٍ رِيقِهِ ^(٨) . أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
لَيُظْهَرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لَانَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ
لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلٍ صَاحِبِهِمْ وَإِنْطَائِكُمْ عَنْ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَصْبَحَتْ

العلم الاسلامي . والجهلاء وصف لها للمبالغة (١) الماهد جمع ماهد كقعد ما يمهّد أي يبسط
فيه الفراش ونحوه، أي انه ولد في أسلم موضع وأتقاه من دنس السفاح (٢) الأزمة
كأزمة جمع زمام . وإنشاء الأزمة اليه عبارة عن تحوّلها نحوه (٣) الاحقاد، فهو رسول
الالفة، وأهل دينه المتآلفون المتعاونون على الخير . ومن لم يكن في عروة الالفة منهم
فهو - والله أعلم - خارج عنهم (٤) جمع نائرة وهي العداوة الوائبة بصاحبها على أخيه
ليضره ان لم يقتله (٥) وفرق به أقران الالفة على الشرك (٦) ذلة الضعفاء من أهل
الفضل المستترين بحجب الخمول، وأذل به عزة الشرك والظلم والعدوان (٧) لا يذهب
عنه أن يأخذه (٨) الشجي ما يعترض في الخلق من عظم وغيره . ومساع الريق عمره

الْأُمُّ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا . وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي . اسْتَنْفَرْتُكُمْ
لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا . وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا ، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا
فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا ، وَلَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا . أَشْهُودُ كَغِيَابٍ ^(١) وَعَيْدٍ
كَأَرْبَابٍ ؟ أَتَلُو عَلَيْنَا الْحُكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا . وَأَعْظُمُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ
الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا . وَأَحْشُكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَيْتِ فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ
الْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا ^(٢) تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ
وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ . أَقُومُكُمْ غُدُوَّةً وَتَرْجِعُونَ إِلَى عَشِيَّةٍ
كَظَهَرِ الْحَيَّةِ ^(٣) ، عَجَزَ الْمُقُومُ وَأَعْضَلَ الْمُقُومُ ^(٤)

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ . الْغَائِبَةُ عَقُولُهُمْ . الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ .
الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمُورُهُمْ . صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ . وَصَاحِبُ
أَهْلِ الشَّامِ يَعِصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ . لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنْ مُعَاوِيَةَ صَارَ قَنِي
بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدَّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا
مِنْهُمْ . يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مَنِيَتْ بِكُمْ بِسَلَاثٍ وَأَثْنَتَيْنِ ؛ ضَمُّ ذَوُ وَأَسْمَاعٍ ،

من الخلق . والكلام تمثيل لقرب السطوة الاطمية من الظالمين (١) شهود جمع شاهد
بمعنى الحاضر . وغياب جمع غائب (٢) قالوا ان سبأ هو أبو عرب اليمن كان له
عشرة أولاد جعل منهم ستة يميناً له وأربعة شمالاً تشبهاً لهم بالدين ، ثم تفرق أولئك
الأولاد أشد التفرق (٣) القوس (٤) أعضل استعصى واستعصب

وَبِكُمْ ذَوُو كَلَامٍ ، وَنَهَى ذَوُو أَبْصَارٍ . لَا أُخْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ ^(١) وَلَا
إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ . تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ . يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رِعَايَتُهَا
كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ . وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا
إِخَالٍ ^(٢) أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَغَى وَحَمَى الضَّرَابُ وَقَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ
أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا ^(٣) . وَإِنِّي لَعَلَى يَنَنَةٍ مِنْ رَبِّي ، وَمِنْهَاجٍ
مِنْ نَبِيِّ . وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاصِحِ الْقَطْعُ لَقَطًا ^(٤) . انْظُرُوا أَهْلَ
يَنَنَتِ نَبِيِّكُمْ فَالزُّمُوا سَمْتَهُمْ ^(٥) وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى ،
وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى . فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبَدُوا ^(٦) وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا .
وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا ، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا . لَقَدْ رَأَيْتُ
أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشَبِّهُهُمْ ^(٧) ، لَقَدْ
كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْنًا غُبْرًا ^(٨) وَقَدْ بَاتُوا سُجْدًا وَقِيَامًا يَرَاوِحُونَ بَيْنَ

(١) هاته وما بعد هاهما الثنتان ، وما قبلها هي الثلاثة (٢) إخال أظن . وحس كفرح اشتد .
والوغي الحرب (٣) انفراج المرأة عن قبلها عند الولادة أو عندما يشرع عليها سلاح . والمشابهة
في العجز والدناءة في العمل (٤) اللقط أخذ الشيء من الأرض . وإنما سمي اتباعه لمنهاج
الحق لقطا لأن الحق واحد والباطل ألوان مختلفة ، فهو يلتقط الحق من بين ضروب
الباطل (٥) السمت بالفتح طريقهم أو حالهم أو قصدهم (٦) لبد كنصر أقام ، أي إن
أقاموا فأقيموا (٧) شعنا جمع أشعث هو الغبر الرأس . والغبر جمع أغبر ، والمراد أنهم

(*) في بعض النسخ « فا أرى أحداً منهم يشبهه »

جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ^(١) وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجُمُرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ . كَانَ
بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمِعْزَى^(٢) مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ . إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ
هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبُهُمْ . وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ
الْمَاصِفِ خَوْفًا^(٣) مِنْ أَلْعَابِ وَرَجَاءِ الثَّوَابِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهُ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلَّهِ مُحَرَّمًا إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ^(٤) وَلَا
عَقْدًا إِلَّا حَلُّوهُ . وَحَتَّى لَا يَبْقَى يَنْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ
ظُلُمُهُمْ^(٥) وَنَبَأَ بِهِ سُوءَ رَغَبِهِمْ^(٦) وَحَتَّى يَقُومَ أَلْبَا كِيَانِ يَنْكِيَانِ
بَاكِ يَنْكِى لِدِينِهِ وَبَاكِ يَنْكِى لِدُنْيَاهُ . وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ

كانوا متقشفين (١) المراوحة بين العملين أن يعمل هذا مرة، وهذا مرة. وبين الرجلين أن
يقوم بالعمل كل منها مرة، وبين جباههم وخدودهم أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى
على الأرض خضوعاً لله وسجوداً (٢) ركب جمع ركة موصل الساق من الرجل
بالفخذ. وإنما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة، أي أنهم لطول
سجودهم يطول سهودهم، وكأن بين أعينهم جسم خشن يدور فيها فيمنعهم عن
النوم والاستراحة (٣) مادوا اضطربوا وارتعدوا (٤) الكلام في بني أمية . والمحرم
ما حرمه الله . واستحلاله استباحته (٥) بيوت المدر المبنية من طوب وحجر ونحوها،
وبيوت الوبر الخيام (٦) أصله من نباه المنزل إذا لم يوافقه فارتحل عنه، وإن البيوت
تستوبل سوء الحكومة فتأخذ عنه منجاة فيخسر العمران، ولا تنبأ الحكومة الظالمة

مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ . إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ
اِغْتَابَهُ . وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا غَنَةً أَحْسَنَكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا . فَإِنْ
أَتَاكُمْ اللَّهُ بِمَافِيَةٍ فَأَقْبِلُوا . وَإِنْ أُبْتُلَيْتُمْ فَاصْبِرُوا . فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ . وَنَسْأَلُهُ
الْمُعَافَاةَ فِي الْأَذْيَانِ كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ
عِبَادَ اللَّهِ أَوْصِيكُمْ بِالرِّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ
تُحِبُّوا تَرَكَهَا . وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجَدِّدْهَا .
فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ سَلَكَوا سَبِيلًا فَكَانَتْهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ^(١)
وَأَمْوَاكُم^(٢) فَكَانَتْهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ
يَجْرِيَ إِلَيْهَا^(٣) حَتَّى يَبْلُغَهَا . وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ
لَا يَعْدُوهُ وَطَالِبٌ حَتَّى يُحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا^(٤) فَلَا تَنَافَسُوا

إِلَّا خَرَابًا تَنَقَّى فِيهِ فَلَا يَجْبِيهَا إِلَّا صَدَى نَعِيقِهَا (١) السفر بفتح فسكون جماعة
المسافرين ، أى انكم فى مسافة العمر كالسافرين فى مسافة الطريق فلا يلبثون أن
ياتوا على نهايتها لأنها محدودة (٢) أموا قصدا (٣) الذى يجرى فرسه الى غاية
معلومة أى مقدار من الجرى يلزمه حتى يصل لغايته (٤) يحدوه يتبعه ويسوقه

فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخَّرَهَا . وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا . وَلَا تَجْزَعُوا
مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا . فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ . وَإِنَّ زِينَتَهَا
وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى تَفَادٍ ^(١) . وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى
انْتِهَاءٍ . وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ . أَوَّلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ
مُزْدَجَرٌ ^(٢) ، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِيرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ .
أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ
لَا يَفْقُونَ . أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ
شَتَّى ، فَمَيِّتٌ يُسْكَى وَآخَرٌ يُعْزَى ، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى . وَعَائِدٌ يَعُودُ وَآخَرٌ
بِنَفْسِهِ يَجُودُ ^(٣) . وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ . وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَفْقُولٍ
عَنْهُ . وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي

أَلَا فَادْكَرُوا هَازِمَ اللَّذَاتِ ، وَمُنْغَصَّ الشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ
الْأُمْنِيَّاتِ . عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ ^(٤) . وَأَسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ

(١) فناء (٢) مكان للانزجار والارتداع (٣) من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضى نحبه كأنه
يسخو بها ويسامها إلى خالقها (٤) عند متعلق بالذكروا . والمساورة الموائبة كأن العمل
القبیح لبعده عن ملاءمة الطبع الانسانی بالفطرة الالهية ينفر من مقتضاه كما ينفر
الوحش فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه وهو في غائلته على مجترمه كالضاريات
من الوحوش فهو يثب على موائبه ليهلكه فما ألفت التعبير بالمساورة في هذا الموضع

وَاجِبُ حَقِّهِ . وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ . وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ .
تَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا ^(١) ، وَبِذِكْرِهِ
نَاطِقًا . فَأَدَّى أَمِينًا وَمَضَى رَشِيدًا . وَخَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْخُلُقِ مَنْ تَقَدَّمَهَا
مَرَقٌ ^(٢) ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقٌ ^(٣) . وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ دَلِيلُهَا مَكِيبُ
الْكَلَامِ ^(٤) . بَطِئُ الْقِيَامِ ، سَرِيعُ إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ لَهُ رِقَابُكُمْ
وَأَشْرُتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ
مَا شَاءَ اللَّهُ ، حَتَّى يُطْلِعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ ^(٥) .
فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ ^(٦) ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدِيرٍ . فَإِنَّ الْمُدِيرَ

(١) قالوا بمجدران الباطل فهادما (٢) خرج عن الدين . والذي يتقدم راية الحق هو
من يزيد على ما شرع الله أعمالا وعقائد يظنها مزينة للدين ومتممة له ويسمبها
بدعة حسنة (٣) اضمحل وهلك (٤) رزين في قوله لا يبادر به عن غير روية ،
بطيء القيام لا ينبعث للعمل بالطيش وإنما يأخذ له عدة اتمامه ، فإذا أبصر منه وجه
الفوز قام فضى إليه مسرعا ، وكأنه يصف بذلك حال نفسه كرم الله وجهه (٥) يصل
متفرقكم (٦) الاقبال والادبار في الجنتين لا يتواردان على جهة واحدة ، فالمقبل بمعنى
المتوجه إلى الأمر الطالب له السامع اليه ، والمدير بمعنى من أدبرت حاله واعترضته الحية

عَسَى أَنْ تَرَلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ ^(١) ، وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا
جَمِيعًا . أَلَا إِنَّ مِثْلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمِثْلِ نُجُومِ
السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ ^(٢) ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ
فِيكُمْ الصَّنَائِعُ ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى

الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ . وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ . بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ
أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ . وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ اللِّسَانُ
أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْزِمَنَّكُمْ شِقَاقِي ^(٣) ، وَلَا يَسْتَهْوَيْنَنَّكُمْ عِصْيَانِي ،
وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي ^(٤) . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ
وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّ الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
مَا كَذَبَ الْمُبْلَغُ وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ . وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ ^(٥) قَدْ

في عمله وإن كان لم يزل طالبا (١) رجله (٢) خوى غاب (٣) لا يكسبنكم ،
والمفعول محذوف أي خسرا ، أي لا تشاقوني فيكسبكم الشقاق خسرا ، ولا تعصوني
فينبه بكم عصياني في ضلال وحيرة (٤) لا ينظر بعضكم الى بعض تفاصراً بالانكار لما
أقول (٥) ضليل كشرير : شديد الضلال مبالغ في الضلال

نَمَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ^(١) فِي ضَوَاحِي كُوفَانِ^(٢) . فَإِذَا فَرَّتْ
فَاغْرَتْهُ^(٣) ، وَأَشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ^(٤) ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ عَضَّتِ
الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْبِيَائها ، وَمَاجَتْ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا . وَبَدَأَ مِنَ الْأَيَّامِ
كُلُّوْحُهَا^(٥) ، وَمِنْ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا^(٦) . فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ^(٧) ، وَقَامَ عَلَى
يَنْعِهِ^(٨) . وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ
الْمُضِلَّةِ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُتَلَطِّمِ . هَذَا وَكَمْ
يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ^(٩) ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ . وَعَنْ قَلِيلٍ
تَلْتَفُ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ^(١٠) ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ

(١) من غص القطا التراب اذا اتخذ فيه الخوصاً بالضم وهو مجنمه، اى المكان الذى يقيم فيه عندما يكون على الارض، يريد أنه نصب له رايات بحثت لها فى الارض مراكز
(٢) هى الكوفة، أى انه كاد يصل الكوفة حيث ان راياته انتشرت على بعض بلدان من حدودها وهو ما أشار اليه بالضواحي (٣) فغر القم كمنع انفتح ، وفغرتة، فهو لازم ومتعد، أى اذا انفتحت فاغرته وهى فه (٤) الشكيمة الحديدية المعترضة فى اللجام فى قم الدابة ويعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الانقياد

(٥) عبوسها (٦) جمع كدح بالفتح وهو الخدش وأثر الجراحات (٧) نضج وحن قطافه (٨) حالة نضجه (٩) هو ما اشتد صوته من الرعد والريج وغيرها . والعاصف ما اشتد من الريج، والمراد مزعجات الفن (١٠) يكون الاشتباك بين قواد الفتنة وبين أهل الحق كما تشبك الكباش بقرونها عند النطاح . وما بقى من الصلاح قائماً يحصد، وما كان قد حصد يحطم ويهشم، فلا يبقى الا شر عام وبلاء تام ان لم يقيم للحق أنصار

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ يُجَرِّى مَجْرَى الْخُطْبَةِ

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنَقَاشِ الْحِسَابِ ^(١)
وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعًا قِيَامًا قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ.
فَأَحْسَنَهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا وَلِنَفْسِهِ مُتَسَمًّا (مِنْهُ) فِتْنٌ
كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ . لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ ^(٢) ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ،
تَأْتِيَكُمْ مَزْمُومَةٌ مَرْحُولَةٌ ، يَحْفَظُهَا قَائِدُهَا وَيُجَاهِدُهَا رَاكِبُهَا . أَهْلُهَا
قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلْبُهُمْ ، قَلِيلٌ سَلْبُهُمْ ^(٣) . يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ
عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ . فِي الْأَرْضِ مَجْهُوُلُونَ ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ . فَوَيْلٌ
لَكَ يَا بَصْرَةَ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ لَا رَهْجَ لَهُ وَلَا حَسَّ ^(٤) .

(١) نقاش الحساب الاستقصاء فيه (٢) لا تنب لمعارضتها قائمة خيل ، وقوائم الفرس رجلاه أو أنه لا يتمكن أحد من القيام لها وصددها . وقوله مزمومة مرحولة قادها وزمها وركبها برحمتها أقوام زحفوا بها عليكم ، يحفظونها أى يحنونها ليقروا بها فى دياركم وفيكم يحطون الرحال (٣) السلب محرقة ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه فى الحرب ، أى ليسوا من أهل الثروة (٤) الرهج بسكون الهاء وبحرك الغبار ، والحس بفتح الحاء الجلبة والأصوات المختلطة . قالوا يشير إلى فتنة صاحب الزنج وهو على بن محمد ابن عبد الرحيم من بنى عبد القيس ادعى أنه علوى من أبناء محمد بن أحمد بن عيسى ابن زيد بن على بن الحسين ، وجع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ فى نواحي البصرة وخرج بهم على المهتدى العباسى فى سنة خمس وخسين ومائتين ، واستفحل أمره وانتشرت أمحابه فى أطراف البلاد للسلب والنهب ، وملك ابلة عنوة وقتك بأهلها ،

وَسَيَبْتَلى أهلكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِقِينَ عَنْهَا^(١). فَإِنَّهَا
وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ النَّارُوى السَّاكِنَ^(٢)، وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّعَ الْآمِنَ^(٣).
لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا قَادِرًا، وَلَا يُدْرِى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرُ.
سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ. وَجِلْدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ. فَلَا
يَعْرِىكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْغَبُكُمْ مِنْهَا
رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ. وَأَعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ. فَكَأَنَّ مَا هُوَ
كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ^(٤)، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ
عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ. وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقِّعٍ آتٍ، وَكُلُّ
آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ (مِنْهَا) الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ. وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا

واسنولى على عبادان والأهواز، ثم كانت بينهما وبين الموفق في زمن المعتمد حروب
انجلى فيها عن الأهواز وسلم عاصمة ملكه، وكان سماها المختارة - بعد محاصرة شديدة - وقتله
الموفق أخو الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم
(١) الصادقين المعرضين (٢) الثاوى المقيم (٣) المترف بفتح الراء المتروك بصنع ما يشاء
لا يمنع (٤) فإن الذى هو موجود فى الدنيا بعد قليل كائنه لم يكن، وإن الذى هو
كائن فى الآخرة بعد قليل كائنه كان لم يزل، فكأنه وهو فى الدنيا من سكان الآخرة

أَلَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ . وَإِنَّ مِنْ أَفْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ لَعَبْدًا وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ .
جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ ، سَائِرًا بَغَيْرِ دَلِيلٍ . إِنَّ دُعَى إِلَى حَرْثِ
الدُّنْيَا عَمَلٌ ، وَإِنَّ دُعَى إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسَلٌ ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ
عَلَيْهِ ^(١) ، وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ ^(٢)

(مِنْهَا) وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ ^(٣) . إِنَّ شَهِدَ
لَمْ يُعْرِفُوا إِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ . أُولَئِكَ مَصَائِيحُ الْهُدَى ، وَأَعْلَامُ الْسُرَى ^(٤) .
لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلَا الْمَذَايِيحِ الْبُذُرِ أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ
رَحْمَتِهِ . وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ
الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ
يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ ^(٥) ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ
كُنَّا لَمُبْتَلِينَ » . أَمَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ) فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ
الْخَامِلَ الَّذِي كَرَّ الْقَلِيلَ الشَّرَّ . وَالْمَسَايِيحُ جَمْعُ مَسِيحٍ وَهُوَ الَّذِي يَسِيحُ

(١) ما عمله هو حرث الدنيا (٢) ونى فيه : تراخى فيه ، وهو حرث الآخرة (٣) نومة
بضم ففتح كثير النوم ، يريد به البعيد عن مشاركة الأشرار في شرورهم ، فإذا رآوه
لا يعرفونه منهم وإذا غاب لا يفتقدونه (٤) السرى كالهدى السير في ليالى المشاكل .
وبقية الألفاظ يأتي شرحها بعد أسطر لصاحب الكتاب (٥) ليتبين الصادق من

بَيْنَ النَّاسِ بِالْفَسَادِ وَالنَّمَامِ . وَالْمَذَائِعُ جَمْعُ مَذْيَاعٍ : وَهُوَ الَّذِي إِذَا سَمِعَ لَغَيْزِهِ بِفَاحِشَةٍ أَذَاعَهَا وَنَوَّهَ بِهَا . وَالْبَذْرُ جَمْعُ بَذُورٍ : وَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنَظِقَهُ^(١)

وَمِنْ حُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَقَدْ تَقَدَّمَ مَخَارِجُهَا بِخِلَافِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا . فَقَاتَلَ بَيْنَ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ . يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنَاجِيهِمْ ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ . يَحْسِرُ الْحَسِيرُ^(٢) وَيَقِفُ الْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ . حَتَّى أَرَاهُمْ مَنَاجِيَهُمْ ، وَيَوَافُهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ^(٣) ، وَأُسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ . وَإِيْمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ

الكاذب والمخلص من المريب، فتكون لله الحجة على خلقه (١) الذي في القاموس أن البذور بالفتح كالذي هو النام (٢) من حسر البعير كضرب إذا أعبا وكل ، والكسير المكسور ، أي أن من ضعف اعتقاده أو كلت عزيمته فتراخى في السير على سبيل المؤمنين ، أو طرقته الوسواس فهشمت قوائمه همتة بزلزال في عقيدته فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقيم على ملاحظته وعلاجه حتى ينصل من مرضه هذا ويلحق بالخلصين إلا من كان ناقص الاستعداد خيبه العنصر فلا ينجع فيه الدواء فيهلك (٣) كناية عن وفرة أرزاقهم، فإن الرجا إنما تدور على ما تطفح منه الحب . أو كناية عن قوة

سَاقَتَهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا ، وَاسْتَوَسَقَتْ فِي قِيَادِهَا ، مَا ضَعُفْتُ وَلَا
جَبُنْتُ ، وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ . وَأَيْمُ اللَّهِ لَا بَقْرَنَ الْبَاطِلَ ^(١) حَتَّى أُخْرِجَ
الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا :
خَيْرَ الدَّبْرِيةِ طِفْلًا ، وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا . أَطَهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً ، وَأَجْوَدَ
الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً ^(٢) . فَمَا أَخْلَوْتُ لَكُمْ الدُّنْيَا ، فِي لَذَّتِهَا وَلَا تَمَكَّنْتُمْ
مِنْ رِضَاعِ أُخْلَافِهَا ^(٣) ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَقْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا ^(٤) ،
قَلِقًا وَضِينًا . قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ ^(٥) ،

سلطانهم على غيرهم . والرحا رحا الحرب يطحنون بها . والقناة الرمح . واستقامتها
كناية عن صحة الاحوال وصلاحها (١) البقر بالفتح الشق ، أى لأشقن جوف الباطل
بقهر أهله فأنتزع الحق من أيدي المبطلين . والتمثيل في غاية من اللطف (٢) الديمة
بالكسر المطر يدوم في سكون . والمستمطر بفتح الطاء من يطلب منه المطر . والمراد
هنا النجدة والمعونة . فالنبي ﷺ أغزر الناس فيضا للخير على طلابه (٣) جمع خلف
بالكسر حلقة ضرع الناقة (٤) الخطام ككتاب ما يوضع في أنف البعير ليقاد به .
والوضين بطن عريض منسوج من سبور أو شعر يكون للرحل كالخزام للسرّج .
وجولان الخطام وقلق الوضين إما كناية عن الهزال ، وإما كناية عن صعوبة القيادة . فإن
الخطام الجائل لا يشتد على البعير فيجذبه ، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه لاضطراب
الرحل بقلق الوضين (٥) السدر بالكسر شجر النبق والمخضود المقطوع الشوك أو

وَحَلَّلَهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ . وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللَّهُ ظَلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ
مَعْدُودٍ . قَالَ أَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ ^(١) ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ ، وَأَيْدِي
الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْنُوفَةٌ ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ ، وَسُيُوفُهُمْ
عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ . أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دِيمٍ نَائِرًا ^(٢) ، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا . وَإِنَّ
النَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ ^(٣) . وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ
مَنْ طَلَبَ ، وَلَا يَقُوتُهُ مَنْ هَرَبَ . فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ
لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ . أَلَا وَإِنْ أَبْصَرَ الْأَبْصَارُ
مَا تَقَدَّ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ . أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبْلَهُ
أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعْظِ مُتَعِظٍ . وَأَمْتَا حُوا
مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّتَتْ مِنَ الْكَدْرِ ^(٤)

عِبَادَ اللَّهِ لَا تَرَوْا كُنُوزًا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ ،
فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ ^(٥) نَازِلٌ بِشَفَا جُرْفٍ هَارٍ ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى

منقنى الاغصان من نقل الجبل . والتشبيه في اللذة (١) . أى بعد بعثة النبي ﷺ شغرت لكم
الارض، أى لم يبق فيها من يجمعها دونكم ويمنعكم عن خيبرها (٢) نأره طلب بدمه
وقتل قاتله (٣) الطالب بدمائنا نأره حتما كانه هو القاضى بنفسه لنفسه ليس
هناك من يحكم عليه فيما نعه عن حقه (٤) امتاحوا: استقوا وانزعوا الماء لرى عطشكم
من عين صافية صفت من الكدر وهى عين علومه عليه السلام (٥) منزل الركون
الى الجهالة والانقياد للهوى . وشفا الشيء حرقه . والجرف بضمين ما جرفته السيول

ظَهَرَهُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ^(١) لِرَأْيٍ يُجَدِّثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ
مَا لَا يَلْتَصِقُ وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ. فَاللَّهُ اللَّهُ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا
يُشْكِي شَجْوَكُمْ^(٢)، وَلَا يَنْقُضُ بَرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ
عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا مُحْمَلٌ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ. الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْإِجْتِهَادُ
فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلْسُنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ
السُّهُمَانِ عَلَى أَهْلِهَا^(٣). فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ^(٤)، وَمِنْ قَبْلِ
أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ^(٥). وَأَنْهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي

وأكلته من الارض . والهارى كالهائر : المتهدم أو المشرف على الانهدام ، أى انه يمكن
التهور في الهلكة (١) أى انه اذا نقل حل المهلكات فاما ينقله من موضع من ظهره
الى موضع آخر منه ، فهو حامل لها دائماً ، وانما يتعب في نقلها من اعلاه لوسطه أو اسفله
بأثرائه وبدعه ، فهو في كل رأى ينتقل من ضلالة الى ضلالة حيث ان مبنى السكل على
الجهالة والهوى (٢) يقال أشكاه اذا أزال مشتكاه ، والشجو الحاجة . يقول ان مانسوله
لكم الجهالات والاهواء من الحاجات يلزمكم أن تنصرفوا عن خيالها ولا تشكوها
الى ، فاني لا أتبع أهواءكم ولا أقضى هذه الرغبات الفاسدة ولاستطيع أن أنقض برأى
ما أبرم لكم في الشريعة الغراء (٣) السهمان بالضم جمع سهم بمعنى الحظ والنصيب ،
واصدار السهمان اعادتها الى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيئا . وسماه اصداراً
لأنها كانت منعها أربابها بالظلم في بعض الأزمان ثم ردت اليهم ، كالصدور وهو رجوع
الشاربة من الماء الى اعطائها (٤) التصويح التجفيف ، أى سابقوا إلى العلم وهو في
غضارته قبل أن يجف فلا تستطيعون احياه بعد يسه (٥) مستثار اسم مفعول

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ
أَزْكَاهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ^(١)، وَسَلَمًا لِمَنْ دَخَلَهُ^(٢)،
وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَنُورًا لِمَنْ أَسْتَضَاءَ
بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً
لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ أَعْظَا، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ،
وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ^(٣). فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ^(٤) وَاضِحُ
الْوَلَائِجِ^(٥)، مُشْرِفُ الْمَنَارِ^(٦)، مُشْرِقُ الْجَوَادِ^(٧)، مُضِيءُ الْمَصَائِجِ
كَرِيمُ الْمُضْمَارِ^(٨)، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ^(٩)، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ^(١٠)
شَرِيفُ الْفُرْسَانِ. التَّصَدِيقُ مِنْهَا جُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ

بمعنى المصدر. والاستنارة طلب النور وهو السطوع والظهور (١) علقه كعلمه: تعلق به
(٢) من دخله لا يحارب (٣) جنة بالضم أى وقاية وصونا (٤) أشد الطرق وضوحا
وأنورها (٥) الولائج جمع وليجة هى الدخيلة وهى المذهب (٦) مشرف بفتح الراء هو
المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شئ. ومنار الدين هى دلالته من العمل الصالح
يطلع منها البصير على حقائق العقائد ومكارم الأخلاق (٧) جمع جادة: الطريق الواضح
(٨) كريم المضمار أى اذا سوبق سبق (٩) الحلبة خيل تجمع من كل صوب للنصرة.
والاسلام جامعها يأتى اليه الكرائم والعناق (١٠) السبقه بالضم جزاء السابقين

غَايَتُهُ^(١) . وَالْذُّنْيَا مِضْمَارُهُ^(٢) ، وَالْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سَبْقَتُهُ^(٣)
 (مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى أَوْرى قَبْسًا
 لِقَابِسٍ^(٤) ، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ^(٥) ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ
 الدِّينِ وَبَعِيْثُكَ نِعْمَةً^(٦) . وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً . اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَكَ مَقْسَمًا
 مِنْ عَدْلِكَ^(٧) ، وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ
 أَلْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ^(٨) ، وَشَرِّفْ لَدَيْكَ مَنَزِلَتَهُ . وَآتِهِ
 الْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ^(٩) ، وَأَحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا^(١٠)
 وَلَا نَادِمِينَ وَلَا نَاكِبِينَ^(١١) ، وَلَا نَاكِثِينَ^(١٢) ، وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا
 مُضِلِّينَ ، وَلَا مَفْتُونِينَ (وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ إِلَّا أَنَّنَا

(١) يريد الموت عن الشهوات البهيمية والحياة بالسعادة الأبدية كما يعلم من قوله
 رفيع الغاية ، والأفالموت المعروف غاية كل حي (٢) لأنها مزرعة الآخرة من سبق فيها
 سبق في الأخرى (٣) سبقتة : جزاء السابقين به (٤) أوري أوفد . والقبس بالتحريك
 الشعلة من النار تقتبس من معظم النار . والقابس آخذ النار من النار . والمراد ان
 النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه (٥) الحابس من حبس ناقته وعقلها
 حيرة منه لا يدرى كيف يهتدى فيقف عن السير . وأنار له علما أى وضع له نارا في
 رأس جبل ليستنقذه من حيرته (٦) بعينك مبعوثك (٧) المقسم كمقعد ومنبر : النصيب
 والخط (٨) النزل بضمين ما هيء للضيف لأن ينزل عليه (٩) السناء كسحاب الرفة
 (١٠) خزاياء جمع خزيان من خزي إذا خجل من فيبج ارتكبه (١١) عادلين عن
 طريق الحق (١٢) ناكثين ناقضين للعهد

كَرَّرْنَاهُ هَهُنَا فِي الرِّوَايَتَيْنِ مِنَ الْأَخْتِلَافِ (مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ)
وَقَدْ بَلَّغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ لَكُمْ مَنَزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ
بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعْظَمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ
عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ.
وَقَدْ تَرَوْنَ عُهْدَ اللَّهِ مَنْقُوصَةً فَلَا تَفْضُبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمِّ آبَائِكُمْ
تَأْفِقُونَ. وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرْدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ
تَرْجِعُ. فَكُنْتُمْ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنَزِلَتِكُمْ، وَالْقَيْمُ إِلَيْهِمْ أَرْمَتَكُمْ
وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ. يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي
الشَّهَوَاتِ. وَإِيمُ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُواكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ
لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ^(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صِفِّينَ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَأَنْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمْ
الْجُفَاءَةُ الطَّغَامُ^(٢)، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ^(٣) وَيَا فَيْخُ

(١) أي أنكم ستجتمعون لقهر الظالمين ولن يكون في طاقتهم أن يفرقوكم،
حتى لو شئتوكم تشيت الكواكب في السماء لاجتماعهم لقتالهم. وقيل انه يريد أن البلاء
سيمع حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب طلباً لخلاصكم من البلاء لجمعكم الله لشر
يوم لم حتى يأخذكم البلاء كما يأخذهم (٢) الطغام كجراد : أوغاد الناس (٣) لاهم جمع
لهم بالكسر وهو السابق الجواد من الخيل والناس

الشَّرَفِ^(١) وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَالسِّنَامُ الْأَعْظَمُ. وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوَحَ صَدْرِي^(٢)
 أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ^(٣) تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَاذَوْكُمْ، وَتُرِيْلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ
 كَمَا أَزَالُوكُمْ. حَسًّا بِالنِّضَالِ^(٤)، وَشَجْرًا بِالرَّمَاكِ^(٥). تَرْكَبُ أَوْلَاهُمْ
 أَخْرَاهُمْ، كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ^(٦) تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا. وَتَذَادُ عَنْ
 مَوَارِدِهَا.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 وَهِيَ مِنْ خُطْبِ الْمَلَأِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلَّى لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ. خَلَقَ
 أَنْخُلُقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، إِذْ كَانَتْ الرُّوِيَّاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ
 وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ. خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّرَاتِ^(٧)،
 وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ (مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ) اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَشْكَاةِ الضِّيَاءِ^(٨)، وَذَوَابَةِ

(١) البياfix جمع يافوخ : هو من الرأس حيث يلتقى عظم مقدمه مع مؤخره
 (٢) الواوح جمع ووحوة صوت معه يحج يصدر عن المتألم. والمراد حرقه الغيظ (٣) الآخرة
 محرقة : آخر الامر. وجلة ان رأيتكم فاعل شفى (٤) الحس بالفتح القتل. والنضال
 المباراة فى الرمح. وفى رواية النضال بالصاد (٥) الشجر كالضرب : الطعن (٦) الهيم
 بالكسر العطاش. وتذاد: تمنع (٧) جمع سترة ما يستر به أيا كان (٨) المشكاة كل كوة

الْعَلِيَاءُ^(١) وَسُرَّةَ الْبَطْحَاءِ^(٢). وَمَصَائِجِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَائِجِ الْحِكْمَةِ (مِنْهَا) طَيْبُ دَوَّارٍ بِطَبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَامَهُ، وَأَنْحَى مَوَاسِمَهُ^(٣). يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُغْمِي، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَالسِّنَةِ بُكْمٍ. مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْخَيْرَةِ. لَمْ يَسْتَضِيضُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ^(٤)، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ. فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ. قَدْ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ^(٥). وَوَضَحَتْ حُجَّةُ الْحَقِّ لِخَاطِبِهَا^(٦)، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمَتَوَسِّمِهَا. مَالِي أَرَأَيْكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ، وَنَسَاكًا بِلَا صَلَاحٍ، وَتُجَارًا بِلَا أَرْبَاحٍ. وَأَيْقَاطًا نُومًا، وَشُهُودًا غُيْبًا، وَنَاطِرَةً عُغْمِيًا، وَسَامِعَةً صُمًّا، وَنَاطِقَةً بُكْمًا. رَأَيْتُ ضَلَالَةً قَدَافَتِ عَلَى قُطْبِهَا^(٧)،

غير نافذة ومن العادة أن يوضع فيها المصباح (١) النوازة الناصية أو منبتها من الرأس (٢) ما بين أخشي مكة كانت تسكنه قبائل من قريش ، ويقال لهم قريش البطاح (٣) مواسمه جمع ميسم بالكسر وهو المكواة، يجمع على مواسم ومياسم (٤) قوله لم يستضيضوا، يحكى حال من لم ينجع فيهم الدواء عن صار الفساد من مقومات أمزجتهم (٥) انجابت من قولهم انجابت الناقة اذا مدت عنقها للحلب، أى ان السرائر خضعت لتور البصائر فهو يكشفها ويملكها . وأهل البصائر يصرفون السرائر الى ما يريدون (٦) خاطبها: السائر عليها (٧) قامت على قطبها تمثيل لانتظام أمرها

وَتَفَرَّقَتْ بِشُعْبَيْهَا^(١) ، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا^(٢) ، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا^(٣) .
 فَأَيْدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ . فَلَا يَبْقَى يَوْمٌ مِنْكُمْ إِلَّا
 ثُفَالَةٌ كَثْفَالَةٍ الْقَدْرِ^(٤) ، أَوْ ثُفَاظَةٌ كَفُفَاظَةِ الْعِمِّ^(٥) . تَعْرِ كُكُمْ
 عَرَكَ الْأَدِيمِ^(٦) ، وَتَدُوسُكُمْ دَوَسَ الْحَصِيدِ^(٧) ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ
 مِنْ بَيْنِكُمْ أَسْتَخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ^(٨) مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ . أَيْنَ
 تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ ، وَتَتِيهُ بِكُمْ الْفَيَاهِبُ ، وَتَخْدَعُكُمْ الْكُوَاذِبُ .
 وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتُونَ وَآئِي تُؤْفَكُونَ . فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ
 إِيَابٌ . فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيكُمْ^(٩) ، وَأَخْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا
 إِنْ هَتَفَ بِكُمْ^(١٠) . وَلْيَصْذُقْ رَائِدُ أَهْلِهِ^(١١) ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلُهُ ، وَلْيُخْضِرْ ذَهْنُهُ .

واستحكام قوتها (١) جمع شعبة، أى انشئت بفروعها (٢) تكييلكم أى تأخذكم
 للهلاك جلة كما يأخذ السكيال ما يكيله من الحب (٣) تخبطكم، من خبط الشجرة ضربها
 بالعصى ليتناثر ورقها، أو من خبط البعير بيده الأرض أى ضربها . وعبر بالباع ليفيد
 استطالتها عليهم وتناولها لقربهم وبعيدهم (٤) الثفالة بالضم كالثفل . والثافل
 ما استقر تحت الشيء من كدرة . وثفالة القدر ما يبقى في قعره من عكارة . والمراد
 الأردال والسفلة (٥) الثفاضة ما يسقط بالنفض . والعكم بالكسر العدل بالكسر أيضاً،
 ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والمراد ما يبقى بعد تفريقه فى خلال نسيجه فينفض
 لينظف (٦) العرك كالنصر : شديد الدلك . وعركه حكه حتى عفاه . والاديم الجلد
 (٧) المحصود (٨) البطينة السمينة (٩) الربانى بتشديد الباء المثاله العارف بالله عز وجل
 (١٠) صاح بكم (١١) الرائد من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلا . ويتعرف
 سهولة الوصول إليها من صعوبته . وفى المثل «لا يكذب الرائد أهله» . يأمر الهداة

فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمْ الْأَبْرَ فَلَقَ الْخُرْزَةَ ، وَقَرَفَهُ قَرَفَ الصَّمْغَةِ ^(١) . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَاخِذَهُ ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ ، وَعَظُمَتِ الطَّاعِغَةُ ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ . وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبْعِ الْعُقُورِ . وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْبَاطِلِ نَعْدَ كُظُومٍ ^(٢) . وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ . وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ . وَتَحَابَّوْا عَلَى الْكَذِبِ . وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ . فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غِيْظًا ^(٣) ، وَالْمَطَرُ قَيْظًا ، وَتَفَيْضُ اللَّثَامِ فَيْضًا ، وَتَنْمِيزُ الْكِرَامِ غَيْضًا ^(٤) . وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذُنَابًا ، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا ، وَأَوْسَاطُهُ أَكْالًا ، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتًا . وَغَارَ الصِّدْقُ ، وَفَاضَ الْكَذِبُ : وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللَّسَانِ . وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ . وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا ، وَالْعَفَافُ عَجَبًا . وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفُرِّ وَمَقْلُوبًا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ . غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ . وَعِزُّ كُلِّ

والدعاة الذين يتلقون عنه ويوصيهم بالصدق في الصبيحة (١) قرف الصمغة قشرها، وخص هذا بالذكر لأن الصمغة اذا قشرت لا يبقى لها أثر كذا قالوا (٢) الفنيق الفحل من الابل . وبعد كظوم أى امساك وسكون (٣) يغيظ والده لشوبه على العقوق ، ويكون المطر قَيْظًا لعدم فائدته فان الناس منصرفون عن فوائدهم والانتفاع بما يفيض الله عليهم من خير إلى اضرار بعضهم ببعض ، ما أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان (٤) تفيض : من غاض الماء إذ اغار في الأرض وجفت

ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةٌ كُلُّ ضَعِيفٍ ، وَمَفْزَعٌ كُلُّ مَلْهُوفٍ . مَنْ
تَكَلَّمَ سَمِعَ نَظْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ
رِزْقُهُ . وَمَنْ مَاتَ قَالِيهِ مُنْقَلَبُهُ . لَمْ تَرَكَ الْيَمُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ . بَلْ
كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ . لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لَوْحْشَةٍ ، وَلَا
أَسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ . وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ ^(١) .
وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانُكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَرِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ،
وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاكَ ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ
أَمْرِكَ . كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ . أَنْتَ
الْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ الْمُنتَهَى لَا حَيْصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ الْوَعْدُ
لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ
نَسَمَةٍ . سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَصْفَرَ عَظِيمُهُ فِي جَنْبِ
قُدْرَتِكَ ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ
عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ نِعْمَكَ فِي الدُّنْيَا . وَمَا أَصْفَرَهَا فِي نِعَمِ
الْآخِرَةِ .

(مِنْهَا) مِنْ مَلَائِكَةِ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ،

هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ . لَمْ يَسْكُنُوا
الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضَمُّوا الْأَرْحَامَ ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ^(١) ، وَلَمْ
يَسْعَبَهُمْ رَيْبُ الْمُنُونِ ^(٢) . وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ ،
وَأُسْتَجْمَاعُ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ ، وَكَثْرَةُ طَاعَتِهِمْ لَكَ ، وَقِلَّةُ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ ،
لَوْ عَانِيُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لِحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرَوْا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ ^(٣) . وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ
طَاعَتِكَ . سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحُسْنِ بِلَاثِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ ^(٤) . خَلَقْتَ
دَارًا وَجَعَلْتَ فِيهَا مَادَّةً ^(٥) : مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا وَأَزْوَاجًا وَخَدَمًا وَقُصُورًا
وَأَنْهَارًا وَزُرُوعًا وَثِمَارًا . ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا . فَلَا الدَّاعِيَ
أَجَابُوا ، وَلَا فِيهَا رَغَبْتَ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ أَشْتَقُوا .
أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ أَفْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَأَصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ
شَيْئًا أَغَشَى بَصَرَهُ ^(٦) ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ . فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَاحِبِحَةٍ ،

(١) الميهن: الحفير، يربد اللطفة (٢) المنون الدهر. والريب صرفه. أى لم تفرقهم صروف
الزمان (٣) زرى عليه كرمى: عابه (٤) البلاء يكون نعمة ويكون نقمة، ويتعين الأول
بإضافة الحسن إليه ، أى ما عبدوك الا شكراً لنعمك عليهم (٥) المادبة بفتح الدال
وضمها ما يصنع من الطعام للمدعوين فى عرس ونحوه ، والمراد منها نعيم الجنة
(٦) أغشاه أعماه

وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ. قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ،
وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ. فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا. حَيْثُمَا زَالَ إِلَيْهَا
وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا. وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللَّهِ بَرَّاجِرٌ، وَلَا يَتَعَظُّ مِنْهُ بِوَاعِظٍ.
وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ^(١) - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رُجْعَةَ - كَيْفَ
نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ،
وَقَدُمُوا مِنْ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ. فَغَيَّرَ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ،
اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ. فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ،
وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ. ثُمَّ أَزْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وَلُوجًا^(٢). فَحِيلَ بَيْنَ
أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بَبْصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ،
عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبِقَائِمٍ مِنْ لُبِّهِ. يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرِهِ، وَفِيمَ أَذْهَبَ
دَهْرِهِ. وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالًا جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا^(٣)، وَأَخَذَهَا مِنْ
مُصَرَّحَاتِهَا وَمُسْتَبْهَاتِهَا. قَدْ لَزِمَتْهُ تَبَعَاتُ جَمْعِهَا^(٤)، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا،
تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا. فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لغيرِهِ^(٥)،

(١) على الغرة بالكسر : بقتة وعلى غفلة (٢) ولوجا: دخولا (٣) أغمض لم يفرق بين
حلال وحرام، كأنه أغمض عينيه فلا يميز. أو أغمض أى طلبها من أدق الوجوه
وأخفاها فضلا عن أنظرها وأجلاها (٤) تبعاتها بفتح فكسر ما يطالبه به الناس من
حقوقهم فيها، وما يحاسبه به الله من منع حقه منها وتخطي حدود شرعه في جمعها
(٥) المهنا ما أتاك من خير بلا مشقة

وَالْعَبْدُ عَلَى ظَهْرِهِ ^(١) . وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا ^(٢) . فَهُوَ يَعْصُ
يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ ^(٣) ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ
يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمْرِهِ . وَيَتَمَنَّى أَنْ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا
قَدْ حَازَهَا دُونَهُ . فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَايِعُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ
سَمْعَهُ ^(٤) . فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ ، يُرَدُّ
طَرَفُهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَ كَاتِ السِّنْتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ
كَلَامِهِمْ . ثُمَّ أَزْدَادَ الْمَوْتُ التَّيَاطُبَ ^(٥) . فَقَبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ .
وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيْفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ
جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ . لَا يُسْعَدُ بَأَكِيَا ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِيَا . ثُمَّ
حَمَلُوهُ إِلَى مَخْطِ فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَأَنْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ ^(٦) .
حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَالْأَبْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَالْحَقُّ آخِرُ الْخَلْقِ
بَأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ، أَمَادَ السَّمَاءِ وَفَطَرَهَا ^(٧)
وَأَرْجَ الْأَرْضِ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا . وَدَكَ بَعْضَهَا بَعْضًا مِنْ

(١) العبد: الحمل والثقل (٢) غلقت رهونه: استحقتها امرئتها، وأعوزته القدرة على تخليصها
كناية عن تعذر الخلاص (٣) أصحره له: من أصحرا إذا برز في الصحراء، أي على ما ظهر له
واكتشف من أمره (٤) خالط لسانه سمعه: شارك السمع اللسان في العجز عن أداء
وظيفته (٥) التباطأ أي التصاقاً به (٦) زيارته (٧) أمداد: جواب إذا بلغ الكتاب الخ .

هَيْبَةً جَلَالَتِهِ وَخُوفَ سَطْوَتِهِ . وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا . فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ اخْلَاقِهِمْ ^(١) .
وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ . ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ
وَخَفَايَا الْأَفْعَالِ . وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْتُمْ عَلَى هُوَلَاءِ وَأَنْتُمْ مِنْ هُوَلَاءِ .
فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَتَانَهُمْ بِحُورِهِ ، وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ الْتَزَالُ ،
وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ . وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ ^(٢) ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ ،
وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ ^(٣) . وَأَمَّا أَهْلُ
الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ ، وَفَرَنَ النَّوَاصِي
بِالْأَقْدَامِ ، وَالْبَسَهُمْ سَرَائِلَ الْقَطِرَانِ ^(٤) ، وَمُقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ ^(٥) . فِي عَذَابٍ
قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٍ قَدْ أَطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ وَلَجِبٌ ^(٦) ،
وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيفٌ هَائِلٌ ^(٧) ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يَقَادِي أُسِيرُهَا
وَلَا تُقْصَمُ كِبُولُهَا ^(٨) . لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنِي ، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى ،
(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا

وَأَمَادَهَا حَرَكَهَا عَلَى غَيْرِ انْتِظَامٍ . وَفَطَرَهَا صَدْعَهَا (١) أَخْلَاقَهُمْ بِالْفَتْحِ : مِنْ قَوْلِهِمْ
ثُوبٌ أَخْلَاقٌ إِذَا كَانَتْ الْخُلُوقَةُ شَامِلَةً لَهُ كُلُّهَا . وَالْخُلُوقَةُ الْبَلَى (٢) لَانُوبُهُمُ الْافْزَاعُ :
جَمْعُ فَزَعٍ بِمَعْنَى الْخَوْفِ (٣) أَشْخَصَهُ : أَزْعَجَهُ (٤) السَّرَائِلُ : الْقَمِيصُ . وَالْقَطِرَانُ
مَعْرُوفٌ (٥) الْمُقَطَّعَاتُ كُلُّ ثُوبٍ يَقْطَعُ كَالْقَمِيصِ وَالْجَبَّةِ وَنَحْوِهَا ، بِخِلَافِ مَا لَا يَقْطَعُ
كَالْأَزَارِ وَالرِّدَاءِ . وَالْمُقَطَّعَاتُ أَشْمَلُ لِلْبَدَنِ وَأَشَدُّ اسْتِحْكَامًا فِي إِحْتَوَانِهِ (٦) عَبْرَ الْكَلْبِ
مَحْرُكًا عَنْ هَيْبَانِهَا . وَاللَّجِبُ الصَّوْتُ الْمُرْتَفِعُ (٧) الْقَصِيفُ أَشَدُّ الصَّوْتِ (٨) جَمْعُ كَبَلٍ

وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوْنَهَا. وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا^(١)، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ
اُخْتِقَارًا. فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ
تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا^(٢)، أَوْ يَرْجُو فِيهَا مُقَامًا.
بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا^(٣)، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا
نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَنَحْطُ الرُّسَالَةِ، وَتُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةُ^(٤)،
وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَاسِغُ الْحُكْمُ. نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا
وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطَوَةَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ الْإِيمَانُ بِهِ
وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ
فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ. وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ. وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ
وَاجِبَةٌ. وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ. وَحِجُّ الْبَيْتِ
وَأَعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ^(٥). وَصِلَةُ الرَّحِمِ،

بفتح فسكون : الفيد. وتفصم تنقطع (١) زواها: قبضا (٢) الرياش: اللباس الفاخر
(٣) معذراً : مبنياً لله حجة تقوم مقام العذر في عقابهم ان خالفوا أمره (٤) مختلف
الملائكة بفتح اللام محل اختلافهم أى ورود واحد منهم بعد آخر، فيكون الثاني كأنه
خلف للأول وهكذا (٥) رحضه - كمنعه - غسله

فَإِنَّهَا مَنَازِلٌ فِي الْمَالِ ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ ^(١) . وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكْفِّرُ
الْخَطِيئَةَ . وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِثَّةَ الشُّؤْمِ . وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ
فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ . وَأَرْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ
الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ . وَأَقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ .
وَأَسْتَنْوُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ . وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ
الْحَدِيثِ ، وَتَقَهَّوْا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ ، وَأَسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ
شِفَاءُ الصُّدُورِ . وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ ، فَإِنَّ الْعَالَمَ الْعَامِلَ
بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْخَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ
أَعْظَمُ ، وَالْحُسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ الْيَوْمَ ^(٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلُومٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ
وَتَحَيَّتْ بِالْمَاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَالِ ، وَتَزَيَّنَتْ

(١) مَنْسَأَةٌ : مَطَالٌ فِيهِ وَمَزِيدٌ (٢) الْيَوْمَ : أَشْدَلُومًا لِنَفْسِهِ بَيْنَ أَيْدِي اللَّهِ لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ مِنْهَا
عَنْرًا يَقْبَلُ أَوْ يَرِدُ

بِالْمُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا ^(١) ، وَلَا تُؤْمِنُ فَجَعَتْهَا . غَرَارَةٌ ضَرَارَةٌ . حَائِلَةٌ
 زَائِلَةٌ ^(٢) نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ ^(٣) ، أَكَالَةٌ غَوَالَةٌ ^(٤) . لَا تَعْدُو - إِذَا تَنَاهَتْ
 إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا ^(٥) - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 سُبْحَانَهُ « كَمَا أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا
 تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ » ^(٦) وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا « لَمْ يَكُنْ أَمْرُوهُ
 مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عِبْرَةٌ » ^(٧) ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَاهَا بَطْنًا ^(٨) إِلَّا
 مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَاهَا ظَهْرًا . وَلَمْ تَطْلُهُ فِيهَا دِيمَةٌ رَخَاءً ^(٩) إِلَّا هَتَنْتَ عَلَيْهِ
 مُزْنَةً بَلَاءً . وَحَرَى إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةٌ أَنْ تُسَمَّى لَهُ مُتَنَكِّرَةٌ
 وَإِنْ جَانِبُ مِنْهَا أُعْذُوذِبَ وَأَحْلَوْى أَمْرًا مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى ^(١٠) . لَا يَنَالُ
 أَمْرُوهُ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغْبًا ^(١١) إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا ^(١٢) .

(١) الخبرة بالفتح السرور والنعمة (٢) حائلة : متغيرة (٣) نافذة : فانية . بائدة أي هالكة (٤) غوالة :
 مهلكة (٥) أي أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانهم فلا تتجاوز الوصف الذي ذكره
 الله في قوله كفاء الخ . فقله ان تكون مفعول تعدو (٦) الهشيم : النبات اليابس المكسر
 (٧) بالفتح : الدفعة قبل أن تفيض ، أو تردد البكاء في الصدر ، أو الحزن بلا بكاء
 (٨) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والادبار (٩) الطل : المطر الضعيف . وطلت السماء
 أمطرت . والديمعة مطر يدوم في سكون لا رعد ولا برق معه . والرءاء السعة . وهتنت
 المنز : انصب (١٠) أوبى صار كثير الوباء . والوباء : هو المعروف بالريح الأصفر (١١) الغضارة
 النعمة والسعة . والرغب - بالحريك - الرغبة والمرغوب (١٢) أرهاقته التعب : الحقة به

وَلَا يُنْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ^(١). غَرَارَةٌ
 غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَإِنْ مَنْ عَلَيْهَا. لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا
 التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ. وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا
 اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْبِقُهُ^(٢)، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ مِنْ وَائِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ^(٣)،
 وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ. وَذِي أُهْمَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا^(٤) وَذِي نَخْوَةٍ
 قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا^(٥). سُلْطَانُهَا دِوَلٌ^(٦)، وَعَيْشُهَا رَتَقٌ^(٧)، وَعَذَابُهَا أَلْجَاجٌ^(٨)
 وَحُلُوهَا صَبْرٌ^(٩)، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ^(١٠)، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ^(١١). حَيْثُهَا بَعْرَضٍ
 مَوْتٌ. وَصَحِيحُهَا بَعْرَضٌ^(١٢) سَقَمٌ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ
 وَمَوْفُورُهَا مَنَكُوبٌ^(١٣). وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ^(١٤). السُّمُّ فِي مَسَاكِينِ
 مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ
 عَدِيدًا، وَأَكْثَفَ جُنُودًا. تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَىَّ تَعَبَّدَ، وَآثَرُوهَا أَىَّ إِثَارَ.

(١) القوادم - جمع قادمة - الواحدة من أربع أو عشر ريشات في مقدم جناح الطائر، وهي
 القوادم (٢) يهلكه (٣) أوجعته بفقد ما يعز عليه (٤) أهمة بضم فتشديد : عظمة
 (٥) النخوة بالفتح : الافتخار (٦) جمع دولة : هي انقلاب الزمان (٧) رتق - بفتح
 فكسر - كدر (٨) ما لحشد الملوحة (٩) الصبر - ككتف - عصاره شجر مر (١٠) جمع رسم
 مثلث السبن، وهو من المواد ما إذا حاط المزاج أفسده فقتل صاحبه (١١) جمع رمة بالضم
 وهي القطعة البالية من الحبل، أى ما يتمسك به منها فهو بال منقطع (١٢) موفورها
 ما كثر منها ماصب بالنسبة، وهي المصيبة، أى في معرض لذلك (١٣) من حربه حرباً

ثُمَّ ظَنُّوا عَنْهَا بَغِيرَ زَادٍ مُبْلَغٍ وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٌ ^(١) فَهَلْ بَلَّغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا
سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ ^(٢)، أَوْ أَعَاتَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ أَوْ أَحْسَنْتَ لَهُمْ صُحْبَةً.
بَلْ أَرْهَقْتَهُمْ بِالْقَوَادِحِ ^(٣)، وَأَوْهَشْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعَعْتَهُمْ بِالنَّوَائِبِ ^(٤)
وَعَفَّرْتَهُمْ لِلْمُنَاجِرِ ^(٥)، وَوَطَّئْتَهُمْ بِالْمُنَاسِمِ ^(٦)، وَأَعَاتَتْ عَلَيْهِمْ رِيبَ
الْمُنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكَّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا ^(٧)، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لَهَا ^(٨)،
حَتَّى ظَنُّوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ ^(٩). وَهَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّغْبَ ^(١٠)، أَوْ
أَحْلَتَهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ ^(١١)، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ ^(١٢)، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ
إِلَّا النَّدَامَةَ. أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟
فَبَيَّسَتْ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَّاعِنُونَ عَنْهَا. وَأَتَعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا
«مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً». حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا ^(١٣)،

بالتحريك إذا سلب ماله (١) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق (٢) أي سخت
نفسها لهم بقاء (٣) أرهقتهم: غشيتهم بالقوادح بالقاف جمع قاذح وهو أكال يقع
في الشجر والاسنان، أي بما ينهكهم ويمزق أجسادهم. وفي نسخة القوادح بالفاء من
فدحه الأمر إذا أنقله (٤) وضععتهم: ذللتهم (٥) كبتهم على مناخرهم في العفر وهو
التراب (٦) جمع مسم وهو مقدم خف البعير أو الخف نفسه (٧) دان لها: خضع
(٨) ركن إليها (٩) أي فراق مدته لانهاية لها (١٠) السغب - محرقة - الجوع (١١) الضنك
الضيق (١٢) أو نورت لهم الخ لم يكن لهم مما ظنوه نورا لها إلا الظلام (١٣) لا يقال لهم

وَأَنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ^(١) . فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانَا . وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ
أَجْنَانٌ^(٢) ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ^(٣) ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ^(٤) ، فَهُمْ
جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً . إِنْ جِيدُوا
لَمْ يَفْرَحُوا^(٥) ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ
وَهُمْ أَبْعَادٌ . مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ^(٦) ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ . حُلُمَاءٌ قَدْ
ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ ، وَجُهَلَاءٌ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لَا يُخْشَى فَجْمُهُمْ^(٧) ، وَلَا
يُرْجَى دَفْعُهُمْ . اسْتَبَدُّوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّمَةِ ضَيْقًا ، وَبِالْأَهْلِ
غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً . فَجَاءُواهَا كَمَا فَارَقُواهَا^(٨) ، حُفَاءً عُرَاءً . قَدْ ظَنَعُوا
عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالْدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ « كَمَا
بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »

ركبان جمع راكب لأن الراكب من يكون مختاراً وله التصرف في مركوبه (١) القبور
(٢) الصفيح: وجه كل شيء عريض، والمراد وجه الأرض . والاجنان جمع جان محرّكة
وهو القبر (٣) لأن أكفانهم تبلى ولا يغشى أبدانهم سوى التراب (٤) الرفات
العظام المنسقة المحطومة (٥) جيدوا : مطروا (٦) متقاربون لا يزور بعضهم بعضا
(٧) لا تخاف منهم أن يفجعوك بضرر (٨) جاءوا إلى الأرض وانصلوا بها بعد ما
فارقوها وانفصلوا عنها في بدء خلقتهم ، فانهم خلقوا منها كما قال تعالى « منها خلقناكم
وفيهما نعیدکم » وقوله قد ظعنوا عنها يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم
إما إلى نعيم وإما إلى شقاء ، أو الظعن عنها هو البعث منها يوم القيامة ومفارقتها
إما إلى الجنة وإما إلى النار كما يرشد إليه الاستشهاد بالآية

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ فِيهَا مَلَكُ الْمَوْتِ وَتَوَفِّيَةُ النَّفْسِ

هَلْ تُحْسِبُهُ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَدًا؟، بَلْ كَيْفَ
يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . أَيْلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا^(١)؟ أَمْ
الرُّوحُ أَجَابَتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟. كَيْفَ يَصِفُ
إِلَهُهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ^(٢)، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ^(٣). قَدْ
تَرَيْنَتْ بُغْرُورَهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارُهَا نَتَّ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا
وَحَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلُوهَا بِمُرِّهَا. لَمْ يُصِفْهَا اللَّهُ تَعَالَى
لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ. خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ^(٤).
وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرُبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ

(١) يلج: يدخل (٢) القلعة كهزة وطرفة ودجنة: من لا يثبت على السراج، أو من
يزل قدمه عند الصراع، أي هي منزل من لا يستقر (٣) النجعة بالضم طلب الكلاء
في موضعه، أي لبست محط الرجال ولا مبلغ الآمال (٤) حاضِر

تَقْضِ الْبِنَاءَ، وَعُمْرٍ يَفْنَى فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ.
 اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَمِكُمْ^(١)، وَأَسْأَلُوهُ مِنْ آدَاءِ حَقِّهِ
 مَا سَأَلَكُمْ. وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنْ
 الرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبَكَّى قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ
 فَرَحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا^(٢). قَدْ غَابَ
 عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الْآمَالِ. فَصَارَتْ
 الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ،
 وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرِ،
 وَسُوءُ الضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذُلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ.
 مَا بِالْكُمِ تَفَرُّحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ وَلَا يَحْزُنُكُمْ
 الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحْرِمُونَهُ. وَيُقْلِقُكُمْ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ
 حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زَوَى مِنْهَا عَنْكُمْ^(٣).
 كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ. وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ. وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ

(١) مطلوبكم، أى اجعلوا الفرائض من مطالبكم التى تسعون لئليها ، واسألوا الله أن
 يمنحكم ما سألكم من آداء حقه، أى أن يمن عليكم بالتوفيق لآداء حقه (٢) اغتبطوا:
 غبطهم غيرهم بما آناههم الله من الرزق (٣) قلة صبركم عطف على وجوهكم . وزوى من
 زواه إذا نجاه

أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا خَافَهُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ . قَدْ
تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً
عَلَى لِسَانِهِ^(١) . صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَعَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى
آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أَمَرَتْ
بِهِ^(٢) ، السَّرَاعَ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُ
كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ^(٣) . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيْمَانًا مِنْ
عَيْنِ الْغُيُوبِ وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ، إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشُّرْكَ وَيَقِينُهُ
الشُّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ
وَتُرْفَعَانِ الْعَمَلَ . لَا يَخِفُ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانُ
تُرْفَعَانِ عَنْهُ

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ : زَادٌ

(١) عبر باللعقة عن الافرار باللسان مع ركون القلب الى مخالفته (٢) البطاء بالكسر
جمع بطيئة . والسراع جمع سريعة (٣) غير تارك شيئاً الا احاط به

مُبْلَغٌ وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ. دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ
دَاعِيَهَا وَفَازَ وَاعِيَهَا

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُحَارِمَهُ^(١). وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ
مُخَافَتَهُ، حَتَّى أَشْهَرَتْ لِبَائِهِمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ^(٢). فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ
بِالنَّصَبِ^(٣)، وَالرَّيَّ بِالظَّمِّ. وَأَسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا
الْأَمَلَ فَلَا حَظُّوا الْأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغَيْرٍ وَغَيْرٍ فَمِنْ
الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتَرٌ قَوْسُهُ^(٤)، لَا تُخْطِي سِهَامُهُ، وَلَا تُوسِي جِرَاحُهُ^(٥).
يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسُّقْمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ. آكِلٌ
لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ^(٦). وَمِنْ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ
وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ. ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ لَا مَالَ حَمَلَ، وَلَا بَنَاءَ تَقَلَّ.
وَمِنْ غَيْرِهَا^(٨) أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا لَيْسَ
ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ^(٩)، وَبُؤْسًا نَزَلَ. وَمِنْ غَيْرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى

(١) رعاها فهمها وحفظها (٢) حتى الشيء منعه أى منعهم ارتكاب محرماته
(٣) أظمأتها بالصيام (٤) التعب (٥) فن أسباب الفناء كون الدهر قد أوتر قوسه
ليرمى بها أبناءه (٦) نوسى نداوى من أسوت الجرح داووته (٧) لا ينقع - كينقع -
لا يشتفى من العطش بالشرب (٨) غيرها بكسر ففتح قلبها . والمرحوم الذى ترق
له وترجى لسوء حاله يصبح مغبوطاً على ما تجدد له من نعمة (٩) من زل فلان
زليلا وزلولا إذا مر سريعا . والمراد انتقل . أو هو الفعل اللازم من أزل اليه نعمة أسداها

أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ . فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ وَلَا مُوَمِّلٌ يُتْرَكُ ، فَسُبْحَانَ
 اللَّهِ مَا أَغْرَسُورَهَا وَأَظْلَمَ رِيَّهَا وَأَضْحَى فَيْتَهَا^(١) . لَاجَاءُ يَرُدُّ^(٢) ، وَلَا
 مَاضٍ يَرْتَدُّ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقَةِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ
 الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ لَا تَقْطَاعُهُ عَنْهُ

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِبَشَرٍ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ
 الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ . وَكُلُّ
 شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْغِيَابِ
 السَّمَاعُ ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي
 الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا . فَكَمْ مِنْ
 مَنْقُوصٍ رَاجِعٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ : إِنَّ الَّذِي أَمَرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي
 نَهَيْتُمْ عَنْهُ . وَمَا أَحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . فَذَرُوا مَا قَلَّ
 لِيَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِيَا اتَّسَعَ . قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأَمَرْتُمْ بِالْعَمَلِ ،
 فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوَّلَى^(٣) بِكُمْ مِنَ الْمَقْرُوضِ
 عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدْ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخَلَ الْيَقِينُ^(٤) ،

(١) أضْحَى كضحي كدعى: برز للشمس. والنيء الظل بعد الزوال أو مطلقاً (٢) الجأئ
 يريد به الموت (٣) طلبه مبتدأ خبره أولى وجعلتهما خبر يكون (٤) دخل -

حَتَّى كَانَ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ ، وَكَانَ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُصِعَ عَنْكُمْ . فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بَقْعَةَ الْأَجَلِ ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ ^(١) . مَا فَاتَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَدَا زِيَادَتُهُ . وَمَا فَاتَ أَمْسٍ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ . الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِ ، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي . فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

فِي الْإِسْتِسْقَاءِ

اللَّهُمَّ قَدْ أَنْصَحْتَ جِبَالَنَا ^(٢) ، وَأَغْبَرْتَ أَرْضَنَا ، وَهَامَتِ دَوَابُّنَا . وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا ، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الشَّكَاكِيِّ عَلَى أَوْلَادِهَا ، وَمَلَّتِ التَّرْدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا ، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا . اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أُنِينَ آلَانَةِ ، وَحَنِينَ الْحَانَةِ . اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا ، وَأُنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا ^(٣) .

كفرح - خالطه فساد الأوهام (١) الذي يفوت من العمر لا يرجى رجوعه بخلاف الذي يفوت من الرزق فإنه يمكن تعويضه (٢) انصاحت جفت أعلى بقولها ويبست من الجذب . وليس من المناسب تفسير انصاحت بانسقت إلا أن يراد المبالغة في الحرارة التي اشتدت لتأخر المطر حتى اتقد باطن الأرض نارا وتنفست في الجبال فانسقت . وتفسير بقية الألفاظ يأتي في آخر الدعاء لصاحب الكتاب (٣) مداخلها في

اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ أَعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَايِرُ السُّنَيْنِ، وَأَخْلَفَتْنَا
مَخَائِلُ الْجُودِ^(١). فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَلِسِ^(٢)، وَالْبَلَغَ لِلْمُلْتَمِسِ.
نَدْعُوكَ حِينَ قَطَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ^(٣)، أَنْ
لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخِذَنَا بِذُنُوبِنَا. وَأَنْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ
الْمُنْبَعِقِ^(٤)، وَالرَّيِّعِ الْمُغْدِقِ^(٥)، وَالنَّبَاتِ الْمُوْنِقِ^(٦). سَحًّا وَابِلًا^(٧)
تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ. اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ مُحْيِيَّةً
مُرْوِيَّةً، تَامَةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَيِّئْهُ مَرِيعةً^(٨). زَاكِيًا
نَبِيهاً^(٩)، ثَامِرًا فَرْعُهُا، نَاضِرًا وَرْقُهَا، تَنْعَشُ بِهَا الضَّعِيفُ مِنْ عِبَادِكَ،
وَتُحْيِي بِهَا أَلْمِيتَ مِنْ بِلَادِكَ. اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا^(١٠)،
وَتَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا، وَيُغْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا^(١١)، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا،
وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدِي بِهَا أَقْاصِينَا^(١٢)،

المرابض (١) مخايل جمع مخيلة - كمصيبة - هي السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر.
والجود بالفتح: المطر (٢) الذي مسته البأساء والضراء. واللاغ الكفاية (٣) جمع سائمة
البهيمة الراعية من الابل ونحوها (٤) انبعق المزن انفرج عن المطر كأنما هو حي
انسقت بطنه فزل ما فيها (٥) أغدق المطر كثر ماؤه (٦) من آتقنى اذا أعجبني. أو من
آتقه إذا سره وأفرحه (٧) سحاً: صباءً. والوايل الشديد من المطر الضخم القطر
(٨) المريعة بفتح الميم: الخصلة (٩) زاكياً نامياً. وثامراً مثمرآ آتياً بالتمر
(١٠) جمع نجد ما ارتفع من الأرض. والوهاد جمع وهدة ما انحفض منها (١١) الجنب
الناحية (١٢) القاصية الناحية أيضاً، أو هي بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا في

وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا^(١) . مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةَ
عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمَلَةِ^(٢) ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ . وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضَلَةً^(٣)
مِذْرَارًا هَاطِلَةً . يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ^(٤) ، وَيَحْفَظُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ^(٥)
غَيْرَ خَلْبٍ بَرَقْمَا^(٦) ، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا^(٧) ، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا^(٨) ، وَلَا
شَفَانٍ ذِهَابُهَا^(٩) ، حَتَّى يُخْصِبَ لِأَمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ ، وَيَحْيَى بِرِكَاتِهَا
الْمُسْتَنْتُونَ^(١٠) ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ
وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ

تَفْسِيرُ مَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ مِنَ الْغَرِيبِ

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (أَنْصَحَتْ جِبَالُنَا) أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمُحُولِ ،
يُقَالُ : أَنْصَحَ الثَّوْبُ إِذَا أَنْشَقَ . وَيُقَالُ أَيْضًا : أَنْصَحَ الثَّبْتُ وَصَاحَ
وَصَوَّحَ إِذَا جَفَّ وَيَبَسَ . وَقَوْلُهُ : (وَهَامَتْ دَوَابُّنَا) أَيْ عَطِشَتْ ،
وَالْهَيْأَةُ الْمَطْشُ . وَقَوْلُهُ : (حَدَايِرُ السَّيْنِ) - جَمْعُ حِدَابٍ - وَهِيَ

مقابلة جانبنا (١) ضاحية المال التي تشرب ضحى . والضواحي جمعها (٢) بصيغة
الفاعل : الفقيرة (٣) مخضلة من أخضله إذا بله (٤) الودق المطر (٥) يحفز : يدفع
(٦) البرق الخلب ما يطعمك في المطر ولا مطر معه (٧) الجهام بالفتح السحاب الذي
لامطر فيه . والعارض ما يعرض في الأفق من السحاب (٨) الرباب السحاب الأبيض
(٩) جمع ذهبة بكسر الذال المطرة القليلة وهو المراد بالبيئة في تفسير صاحب الكتاب
(١٠) المقطعون

النَّاقَةُ الَّتِي أَنْضَاهَا السَّيْرُ ، فَشَبَّهَ بِهَا السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا الْجَذْبُ ،
قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

حَدَايِيرُ مَا تَنَفَّكَ إِلَّا مُنَاخَةٌ عَلَى الْخُسْفِ أَوْ نَزَمِي بِهَا بَلَدًا قَرًّا
وَقَوْلُهُ : (وَلَا قَزَعُ رَبَابُهَا) الْقَزَعُ الْقِطْعُ الصَّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ
السَّحَابِ . وَقَوْلُهُ : (وَلَا شَفَانٍ ذِهَابُهَا) فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ وَلَا ذَاتِ شَفَانٍ
ذِهَابُهَا . وَالشَّفَانُ الرِّيحُ الْبَارِدَةُ ، وَالذَّهَابُ الْأَمْطَارُ اللَّيْنَةُ . فَحَذَفَ
ذَاتَ لِيَعْلَمَ السَّامِعُ بِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ . فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ
غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ ^(١) ، وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ ^(٢) .
إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى ، وَبَصُرَ مَنْ اهْتَدَى (مِنْهَا) لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوَى
عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ ^(٣) تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ،
وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ^(٤) . وَلَتَرَكَتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا

(١) وان : متباطيء متناقل (٢) واهن ضعيف . والمعذر من يعتذر ولا يثبت
له عذر (٣) الصعدات بضمين جمع صعيد بمعنى الطريق ، أى لتركتم منازلكم
ومعهم في الطرق من شدة الخوف (٤) الالتدام ضرب النساء صدورهن أو وجوههن

خَالِفَ عَلَيْهِمَا^(١)، وَلَهَمَّتْ كُلُّ أَمْرِي نَفْسُهُ^(٢) لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا .
وَلَكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ
رَأْيَكُمْ ، وَتَشَتَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ . وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي
وَبَيْنَكُمْ وَالْحَقَنِي بَيْنَ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللَّهِ مَيَّامِينَ
الرَّأْيِ^(٣)، مَرَجِيحُ الْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ . مَضَوْا قَدُمًا^(٤) ،
عَلَى الطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ^(٥) ، فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَالْكَرَامَةِ
الْبَارِدَةِ^(٦) . أَمَّا وَاللَّهِ لَيُسَلِّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفٌ الذِّيَالُ الْمِيَالُ^(٧) .
يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَجَمَتَكُمْ إِلَيْهِ أَبَا وَذَحَةَ . (أَقُولُ :
الْوَذَحَةُ الْخُنْفَسَاءُ . وَهَذَا الْقَوْلُ يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى الْحِجَاجِ ، وَلَهُ مَعَ الْوَذَحَةِ
حَدِيثٌ^(٨) لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ)

للنياحة (١) الخالف من تركه في أهلك ومالك إذا خرجت لسفر أو حرب (٢) همته :
حزته وشغلته (٣) ميامين - جمع ميمون - المبارك . ومرجيج أى علماء ، من رجع إذا
نقل ومال بغيره . والمراد الرزاة أى رزناء الحلم بكسر الحاء وهو العقل . ومقاول - جمع
مقوال - من يحسن القول . ومتاريك - جمع متراك - المبالغ في الترك (٤) القدم بضمتي
المضى أمام ، أى سابقين (٥) الوجيف ضرب من سير الخيل والابل . وأوجف خيله
سيرها بهذا النوع ، أى أسرعوا على الطريق المستقيمة (٦) من قولهم عيش بارد أى
هنيء (٧) الذيال الطويل القد الطويل الدليل المتبختر في مشيته (٨) قالوا ان الحجاج
رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده فلعسته
فورمت يده وأخذته حتى من اللسعة فأهلكته ، قتله الله بأضعف مخلوقاته وأهونها

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

‘فَلَا أَمْوَالَ بَدَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا. تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ^(١)، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ. فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِلِ إِخْوَانِكُمْ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجَنُّ يَوْمَ الْبَاسِ^(٢)، وَالْبَطَانَةُ دُونَ النَّاسِ^(٣). بِكُمْ أَضْرِبُ الْمَذِيرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ. فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْفِئَةِ سَلِيمَةٍ مِنَ الرِّيبِ. فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَوَّلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسَ وَحَضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فَسَكَتُوا مِلْيَةً^(٤)

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا بَالَكُمْ أَخْرَسُونِ أَنْتُمْ؟ (فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ

(١) كرم الشيء - كحسن يحسن - أى عز ونفس، أى أنكم تصبرون اعزاء بنسبتكم للإيمان بالله ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالإحسان إلى عبادِهِ (٢) الجن - بضم ففتح - جمع جنة بالضم. وهى الوقاية . والبأس الشدة (٣) بطانة الرجل خواصه وأصحاب سره (٤) قال بعضهم أن أمير المؤمنين قال هذا الكلام عندما كان يغير أهل الشام على

الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ :
لَا سُدُّتُمْ لِرُشْدِ^(١) ، وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدِ ، أَيْ مِثْلُ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟
إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ يَمْنُ أَرْضَاهُ مِنْ شُجَمَائِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ،
وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدْعَ الْجُنْدَ وَالْمَضَرَ وَيَنْتَ الْمَالَ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعَ
أُخْرَى أَتَقَلُّلُ تَقَلُّلُ الْقَدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ^(٢) ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى
تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ^(٣) مَدَارُهَا وَأَضْطَرَبَ مِفَالُهَا^(٤)
هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ . وَاللَّهِ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوِّ
لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ -^(٥) لَقَرَبْتُ رِكَابِي^(٦) ، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا
أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ^(٧)
مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا

أطراف أعماله بعد واقعة صفين (١) سده : وفقه للسداد (٢) القدح بالكسر السهم
قبل أن يراش وينصل . والجفير الكنانة توضع فيها السهام . وإنما خص القدح لأنه
يكون أشد قلقلة من السهم المراس حيث أن حد الريش قد يمنع من القلقلة أو يخففها
(٣) استحار : تردد واضطرب (٤) المفال كغراب وكتاب : الحجر الأسفل من الرحى
وكتاب ما وقيت به الرحى من الأرض (٥) حم : قدر (٦) حزمت ابلى وأحضرتها
للكوب . وشخصت أي بعدت عنكم وتخلت عن أمر الخلافة (٧) الغناء - بالفتح
والد - النفع

يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ^(١)، مَنْ أَسْتَقَامَ فَلِيَ الْجَنَّةِ وَمَنْ زَلَّ فَلِيَ النَّارِ

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ^(٢)، وَتَمَامَ
الْكَلِمَاتِ. وَعِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ. أَلَا وَإِنَّ
شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلُهُ قَاصِدَةٌ^(٣). مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ،
وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ. اْعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَاثِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ
السَّرَائِرُ. وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أُعْجِزُ^(٤)، وَغَائِبُهُ أُعْزِزُ^(٥).
وَاتَّقُوا نَارًا حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا
صَدِيدٌ^(٦). أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْعَمْرِ فِي النَّاسِ خَيْرَ لَهُ
مِنْ أَلْمَالٍ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ^(٧)

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: نَهَيْتُنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتُنَا

(١) الذي حتم هلاكه لتمسك الفساد من طبعه وجبلته (٢) جمع عِدَّة
يعنى الوعد (٣) مستقيمة (٤) عازبه: غائبه، أى من لم ينتفع بعقله الموهب له الحاضر في
نفسه فأولى به أن لا ينتفع بعقل غيره الذى هو غائب عن نفسه. أى ليس من صفاتها
بل من صفات الغير (٥) عوز الشيء كفرح: أى لم يوجد (٦) الصديد ماء الجرح
الرفيق والجيم (٧) اللسان الصالح: الذى ذكر الحسن

بِهَا فَمَا نَذَرِي أَى الْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِخْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ :

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ ^(١) . أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا ، فَإِنْ أَسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ ، وَإِنْ أَعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ ، وَإِنْ أَيْتَمْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ ، لَكَانَتْ الْوُثْقَى ، وَلَكِنْ يَمُنْ وَإِلَى مَنْ ؟ . أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي ، كَنَاقِشِ الشَّوْكََةِ بِالشَّوْكََةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلَعَهَا مَعَهَا ^(٢) . اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطْبَاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوَى ^(٣) ، وَكَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ ^(٤) . أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ . وَهَيِّجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلَّوْهُا وَلَهُ اللَّفَاحُ إِلَى أَوْلَادِهَا ^(٥) ، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا . وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصَفًّا صَفًّا . بَعْضُ هَلَاكَ وَبَعْضُ نَجَا . لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ ^(٦) ، وَلَا

(١) ما حصل عليه المنافذ من حرب الخارجين عن البيعة حتى يكون الظفر أو الهزينة (٢) الضلع ينسكين اللام الميل . وأصل المثل « لا تنفش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها » يصر الرجل بأصم آخر ويستعين عليه بن هو من قرابته أو أهل مشرته . ونفش الشوكة اخراجها من العضو تدخل فيه (٣) الدوى بفتح فكمز : المولم (٤) كات : ضعفت . والنزعة جمع نازع . والاشطان جمع شطن وهو الحبل . والركي جمع ركبة وهي البئر ، أي ضعفت قوة النازعين لمياه الملوثة من آبار هذه الأمم الناضية المائنة (٥) اللقاح جمع افوح وهي النافذة . ولها الى اولادها فزعا اليها اذا فارقتها . (٦) اذا قيل لهم نجا فلان فبقى حيا لا يفرحون لأن افضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق . ولا يعززون اذا قيل لهم مات فلان فان الموت عندهم حياة السعادة الابدية .

يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتِ . مُرَّةُ الْعِيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ^(١) . مُخَصَّصُ الْبَطُونِ^(٢) مِنْ الصِّيَامِ . ذُبُلُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ^(٣) . صُمْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ . عَلَى وَجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ . أُولَئِكَ إِخْوَانِي الذَّاهِبُونَ . فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمًا إِلَيْهِمْ وَنَعَضَ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ^(٤) ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ^(٥) . فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَاغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ^(٦) . وَأَقْبِلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ ، وَأَعْقِلُوا هَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ^(٧) .

وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْخَوَارِجِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى مُعَسَّكَرِهِمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى انْكَارِ الْحُكُومَةِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

أَكُلُّكُمْ شَهِيدٌ مَعَنَا صَفِّينَ ؟ فَقَالُوا : مِمَّنْ شَهِدَ وَمِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ . قَالَ : فَأَمْتَارُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَسْكُنْ مَنْ شَهِدَ صَفِّينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّى أَكَلَمَ كُلًّا بِكَلَامِهِ . وَنَادَى النَّاسَ فَقَالَ : أُمْسِكُوا عَنِ

الْكَلَامِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ، فَنَنْشُدُنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِمِلَّةٍ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ (مِنْهُ) :

(١) مره بضم فسكون جمع امره من مرهت عينه اذا فسدت او ابيضت حاميا لها (٢) خمس البطون ضوايرها (٣) ذبلت شفته جفت وبست لذهاب الريق (٤) يسنى يسهل (٥) يعطيك الفرقه بدل الجماعة كأنه بينهم الثانية بالاول (٦) فاصدفوا ، اي فأعرضوا عن وساوسه (٧) اعقلوها ، احبسوها على انفسهم لا تتركوها فتضيع منكم فتخسرون .

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةٌ وَغِيْلَةٌ ، وَمَكْرًا وَخَدِيْعَةً :
 إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، اسْتَقَالُوا نَاوَأَسْتَرَا حُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ،
 فَالْرَأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ . فَقُلْتُ لَكُمْ : هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ
 إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ . فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ،
 وَالزَّمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَاضُوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ . وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى
 نَاعِقٍ نَعَقَ : إِنْ أُجِيبَ أَصْلٌ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلِكَ . وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفَعْلَةُ ،
 وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أُعْطِيتُمُوهَا ^(١) ، وَاللَّهُ لَنْ أَيْبُتَهَا مَا وَجَبَتْ عَلَى فَرِيضَتِهَا ،
 وَلَا حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا . وَاللَّهُ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لِلْمُحِقِّ الَّذِي يُتَّبَعُ . وَإِنَّ
 الْكِتَابَ لَمَعِي . مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ . فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ ،
 فَمَا نَزَدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَانًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ ، وَتَسْلِيمًا
 لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجَرَّاحِ . وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا
 فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْإِعْوَجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالشَّوْكِيلِ .
 فَإِذَا طَيَعْنَا فِي خَصَلَةٍ ^(٢) يَلُمُّ اللَّهُ بِهَا شَعْمَنَا وَتَتَدَانِي بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا
 بَلَّغْنَا رَغْبَتَنَا فِيهَا وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

(١) انتم الذين اعطيتم لها صورتها هذه التي حارت عليها برايكم (٢) المراد من الخصلة بالفتح هنا الوسيلة . ولم شعثه : جمع امره . وتناداني : تتقارب الى ما بقى بيننا من علائق الارباط .

— فهرست الجزء الاول من سهج البلاغة —

صفحة		صفحة
٤٣	ومن خطبة له في وعيده لقوم	٢ من هو الامام علي (ع)
٤٣	ومن كلام له في وصيته لابنه محمد بن الحنفية بالثبات والحذر في الحرب	٣ مقدمة مفسر الكتاب الشيخ محمد عبده
٤٤	ومن كلام له في ان له محبين في اصلاص الرجال ، وكلام في ذم اهل البصرة	١٠ مقدمة جامع الكتاب السيد الشريف الرضي
٤٦	ومن كلام له في ذم اهل البصرة وفيما رده على المسلمين من قطائع عثمان	١٣ باب المختار من خطب أمير المؤمنين وما يجري مجراها
٤٦	ومن كلام له لما بوع بالمدينة وفيه يكون من امر الناس وكلامه في الوصية بلزوم الوسط	٢٠ ومن خطبة له في ابتداء خلق السموات والارض وخلق آدم وفيها تمجيد الله وبيان قدرته
٥١	ومن كلام يصف به من ينصدي للحكم بين الناس وليس لذلك بأهل	٢٧ صفة خلق آدم ومنها في ذكر الحج وحكمته
٥٤	ومن كلام له يذم به اختلاف العلماء في الفتيا	٢٧ ومن خطبة له بعد انصرافه من صفين يصف فيها حال الناس قبل بعثة النبي وتنتهي بمزايا آل البيت
٥٦	ومن كلام له في نجيبه الأشعث بن قيس	٣٠ الخطبة الشقشقية وفيها تألمه من جور مشيري الفتنة في خلافته وحكاية حاله مع من سبقه
٥٧	ومن كلام له في تعظيم ما بعد الموت والحث على العبادة	٣٨ ومن خطبة له في هداية الناس وكال بقينه ومن خطبة له في النهي عن الفتنة
٥٩	ومن خطبة له فيمن اتهموه بقتل عثمان رضي الله عنه	٤١ ومن كلام له في انه لا يندع
٦٠	ومن خطبة له النهي عن التعاسد والوصية بالقرابة والعشيرة	٤٢ ومن خطبة له في ذم قوم باتباع الشيطان ومن كلام له في دعوى الزبير انه لم يبائع بقلبه
٦٣	ومن خطبة له في الحث على قتال الخارجيين	٤٢ ومن كلام له في أنهم أرعدوا وهو لا يرعد حتى يوقع

صفحة	صفحة
٩٢ ومن كلام له في اتباع الهوى وفي ادبار الدنيا وكلام في الاناة بالحرب مع لزوم الاستعداد	٦٣ ومن خطبة له في الضجر من تناقل اصحابه وبيان ان الباطل قد يعلو بالاتحاد والحق يضيغ بالاختلاف
٩٣ ومن كلام له بعد ارساله جريراً الى معاوية	٦٦ ومن خطبة له في حالم قبل البعثة وشكواه من اذفراده وبعدها وذمة لمن يبيع بشرط
٩٤ ومن كلام له في هروب مصقلة بن هبيرة الى معاوية	٦٧ ومن خطبة له في الحث على الجهاد وذم القاعدين
٩٥ ومن خطبة له في تعظيم الله وتصغير الدنيا	٧٠ ومن خطبة له في ادبار الدنيا واقبال الآخرة والحث على التزود لها
٩٦ ومن كلام له في تضرعه الى الله عند الذهاب الى الحرب	٧٣ ومن خطبة له في ذم المتخاذلين
٩٧ ومن كلام له في ذكر الكوفة	٧٥ ومن كلام له في معنى قتل عثمان رضي الله عنه
٩٧ ومن خطبة له عند المسير لحرب الشام	٧٦ ومن كلام له في وصف طلحة والزبير واستعطافها
٩٨ ومن كلام له في تمجيد الله	٧٧ ومن خطبة له في الدهر واهله في حال الناس قبل البعثة وبعدها وتعديد اعماله
٩٩ ومن كلام له يذكر كيف تكون الفتن	٨٠ ومن خطبة له عند خروجه لقتال اهل البصرة
١٠٠ ومن خطبة له في التحريض	٨٢ ومن خطبة له في استنفار الناس الى اهل الشام
١٠١ ومن خطبة له في الدنيا	٨٤ ومن خطبة له في لوم الناس بعد التحكيم
١٠٢ ومن كلام له في ذكر الاضحية يوم النحر	٨٦ ومن خطبة له في تخويف اهل النهروان
١٠٣ ومن خطبة له في قزاحم الناس لبيعتهم ثم اختلاف بعضهم عليه	٨٨ ومن كلام له في ثباته في الامر بالمعروف
١٠٤ ومن كلام له في تهاونه بالموت لكنه يحب السلم	٨٩ ومن خطبة له في معنى الشبهة
١٠٤ ومن كلام له في وصف حربهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم	٩٠ ومن خطبة له في ذم المتقاعدين عن القتال
١٠٥ ومن كلام له يخبر به عن يأمر بسبه	٩١ ومن كلام له في الخوارج يبين ان لا بد للناس من أمير
١٠٦ ومن كلام له مع الخوارج	٩٢ ومن خطبة له في الوفاء
١٠٧ ومن كلام له لما عزم على حرب الخوارج	
١٠٨ ومن كلام له عند ماخوف من القبيلة	

صفحة	صفحة
ومن خطبة له في الدنيا ١٤٣	١٠٨
ومن كلام له في عمرو بن العاص ١٤٧	١٠٩
ومن خطبة له في الوعظ ١٤٨	بعد الموت
ومن خطبة له في صفة الجنة والحد على العمل وذكر نعمة الدين وذم الرياء والكذب ١٤٩	١١٢
ومن خطبة له فيها صفات من يحبه الله وحال امير المؤمنين مع الناس ١٥١	١١٤
ومن خطبة له فيها وصف الامة عند خطبها ١٥٥	١١٦
ومن خطبة له في حال الناس من قبل البعثة وان الناس اليوم لا يختلفون عن سلفهم ١٥٦	١١٦
ومن خطبة له في تعدد شيء من صفات الله تعالى ١٥٨	١١٧
ومن خطبة له تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل الخطب وفيها من وصف السماء والارض والسحاب وغير ذلك ١٦٠	١١٨
ومن خطبة له لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان ١٨١	١١٨
ومن خطبة له يذكر فيها ما كان من تغلبه على فتنة الخوارج وما يصيب الناس من بني امية ١٨٢	١٢٠
ومن خطبة له بصف فيها الانبياء ١٨٤	١٢٣
ومن خطبة له في حال الناس عند البعثة وما كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ١٨٦	١٢٤
ومن كلام له في نبيخ اصحابه على النباطه على نصره الحق ١٨٧	١٢٥
	١٢٥
	١٢٦
	١٢٧
	١٢٨
	١٢٩
	١٣٠
	١٣٠
	١٣٢
	وتسمى الغراء

صفحة	صفحة
٢٠٩ ومن خطبة له في تمجيد الله ووصف ملائكته وانصراف الناس عما وعدم الله ووصف الانسان عند الموت والمعاد وشأنه	١٩٠ ومن كلام له في وصف بني أمية وحال الناس في دولتهم
٢١٥ ومن خطبة له في فرائض الاسلام	١٩١ ومن خطبة له في وصف الدنيا
٢١٦ ومن خطبة له في وصف الدنيا	١٩٣ ومن خطبة له أخرى في صفة دليل السنة يعني بذلك نفسه ويبان ما يكون من أمره مع اصحابه
٢٢١ ومن خطبة له يذكر فيها ملوك الموت	١٩٤ ومن خطبة أخرى يوصي بعدم عصيانه ويصف مشير الفتنة عليه
٢٢١ ومن خطبه له في التحذير من الدنيا	١٩٦ ومن كلام له فيه وصف فتنة مقبلة
٢٢٣ ومن خطبة له فيها الحض على التقوى وذكر شيء من اوصاف الدنيا والفرق بينها وبين الآخرة ووصف حال الناس في العمل لها	١٩٧ ومن خطبة له في التهديد ووصف الناس في بعض الازمان
٢٢٦ ومن خطبة له في الاستسقاء	١٩٩ ومن خطبة له في حال الناس قبل البعثة وما صاروا اليه بعدها
٢٢٩ ومن خطبة له في تعظيم ما حجب عن الناس وكشف له والاخبار بما سيكون من أمر الحجاج الثقفي	٢٠٠ ومن خطبة له في الموضوع نفسه مع زيادة كلام في شأن آل البيت وبني أمية وفي التهي عن طلب ما لا يطلب
٢٣١ ومن كلام له في التوبيخ على البخل بالمال والنفس وكلام في دعوة اصحابه لنصرته	٢٠٣ ومن خطبة له في شرف الاسلام ووصف النبي صلى الله عليه وسلم وما وصل للمسلمين بالاسلام وما وصلوا اليه بتساهلهم في امره
٢٣١ ومن كلام له في تزيينهم على التقاعد وفي أن الرئيس لا يلزمه تناول صفار الاعمال	٢٠٥ ومن كلام له عندما تأخر قومه في الحرب ثم تراجعوا على الدو
٢٣٣ ومن كلام له في وصف نفسه الحث على طلب الحمد	٢٠٦ ومن خطبة له وهي من خطب الملاحم يذكر فيها طيب الحكمة وحال الناس معه وأمر الفتن وما تفعل ووصف الناس في بعض الازمان
٢٣٣ ومن كلام له في توبيخ اصحابه وذكر الاولين في شجاعتهم وتقام وتحريك الحمية	
٢٣٥ ومن كلام له في احتجاجه على الخوار	